

الوقف من وقفين

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الوقف من وقفين

مدير إدارة الصحافة والنشر
والثقافة المصرية

مطبوعات دار الأمان

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

في عشرين جزءاً


مضبوطة ومشروحة ومعلّقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

المجلد الأول

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ محمد العزيز توفيق جاويد

شيخ المترجمين - القاهرة

مكتبة

شيخ المترجمين

سيد العزيز توفيق جاويد

مكتبة

شيخ المترجمين

سيد العزيز توفيق جاويد

الدكتور نزيه بن فهد

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

مدير إدارة الصحافة والنشر
والثقافة المصرية

مطبوعات دار المأمون

سلسلة المصادر العربية

نفع الطيب

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

في عشرين جزءا

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة مكتبة عرب
أهداه

٧٩٢١٤

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

٤٥٧٤

٩٤٠٨

١٨٢٩٧٨

٧٠١

A

B

اعتراف بالجميل

تدين هذه السلسلة من المصادر العربية لمكتبة القراءة والثقافة الأدبية إلى حضرة صاحب المعالي الأستاذ الجليل على زكي العرابي باشا وزير المعارف ، ووكيله الأستاذ العالم محمد المشاوي بك ، وحضرات معاونيهما الأبحاد في تقرير مبدأ مراجعة الوزارة لأصولها النهائية خدمة للغة والأدب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي غَدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا الْكَانَ مُنَحْنَنَ ،
وَلَوْ قُدَّ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِغْلَا النَّفْسِ عَلَى جَهْلِيَّةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

كَلِمَةُ اللَّهِ هَمْدُهُ

الى يساد اللغته ، ونصير الادب . وحابل اللوا ، ومنزع الغريب ، وعامى
المثبة والدين ، والدأود عن الوطن وأندب الركبن . الى زين الشباب ، وإبرى العلوم
والاداب ، وأجى العلم والكتاب .

الى الفرع النصير من الذخيرة الباسقة ، والضمير الباني . من الترحمة السامقة ،
والفرقة الناصحة من الشجرة الحسنة المؤققة والبرهان السالط ، والآية الناطقة . على
رفعة مفضلة ثابتة في اجمل الزمان ، وأزكى المنفوان .

الى الذكاء في أشد ابتعاد ، والجمد البانيخ في طريفه وتلاوه ، والروح البصيرة
الصادق في أبلغ الوضوح ، وأجى البيان .

الى بصيرة كفا في فرد ، والفردية في لغة ، والصورة بحسنة في أفهم الحاد للوطن
لغة ، والسجى والذمار ، والمخلص الوافية ، بمعنى المكيبة السامية ، امترجت بالأمه
الوليتة السفاينة ، فكانت منها أقدس وحدة ، وأزوع اندماج ، وأسى تعنان .
الى في الغرش المفدى بالنج ، وحابل التيبل والشمس المؤبر والنج
والزنج الباسم والروغن المنبجج ، والديار العزيرة ، والحبل الباسق والنج ، واض
أحضارة التي غلبت الانسان ، ورفعت البنيان ، وكانت شابة ، والدنيا
والزمان ليعلمان بمحبوان .

الى ورث الغرابية والغرب ، وأخير العنيم الذي منج من الله ووجب ،
وسيل البيت الزنج النسب ، والأسرة اخلاوية المجيدة الذكر الفرقة بحسب .

إلى بقعة مبيت الخلد لا ينفك بالنعيم فاروق لكونه ملك مقدر

أهـ

في عهد وزارة الزراعة والذئور والأتمه ، وزارة الرئيس المحبوب مصطفى
الشمس باشا . هذه الطبعة الجديدة من " نفع الطيب " في تاريخ الأندلس
الطيب ، الذي خار الله لي ، أن أؤفر على إعادة نشره للناس . في هذا
الكتاب يخلق به ، وهذه الحقة الحقة المواتمة له ، والخدمة التي تفتن
الأنظار ، وتأخذ الأعين ، وتعين على المسألة ، وتغري بالدرس
والمرحبة ، وتخلع على الأدب العربي أجمل الألوان .

وإني لأتجوز في معنى الكتاب وما حوى ، وهذا التاريخ الأندلسي وما
نشر وطوى خالرا يلهم القلب ، ويورجى إلى الشيء - أن يدعوا الله جل وعلا ،
أن يحبس عنهم كل البصير كعنده ، ومجدكم في مثل مجده ، ومزدهر أدب
ومجنى علم ، وتغش ثقاته ، ومزدا وخير ، ومزجا وكشبا ، بما تشد
البلاد من عبرة وحريه واستقلال

اتحاد المحصل الأمين

والمرزوق رفاقي

٢١ من ربيع الأول ١٣٥٥هـ

دار المأمون في ١١ من يونيو ١٩٣٦هـ



ترجمة المقرئ صاحب كتاب نفع الطيب

« الشيخ أحمد^(١) » بن محمد بن أحمد بن يحيى
ابن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقرئ
الثمساني المولود ، المالكي المذهب ، تزل فاس ، ثم
القاهرة ، حافظ المغرب ، جاحظ البيان ، ومن لم ير
نظيره في جودة القريحة ، وصفاء الذهن ، وقوة البديهة ،
وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ،
ومعجزاً باهرًا في الأدب والمخاضات ، وله المؤلفات
الشائعة ، منها : عرف الطيب في أخبار ابن الخطيب^(٢) .
وفتح المتعال ، الذي صنفه في أوصاف نعل النبي صلى
الله عليه وسلم . وإضاءة الدجنة^(٣) في عقائد أهل السنة .
وأزهار الكمامة . وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض .

(١) راجع تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر طبع مصر
صفحة ٣٠٢ جزء أول (٢) ذكر في كشف الظنون أنه سماه بعد ذلك
(نفع الطيب) (٣) الدجنة : الظلمة

وَقَطَفُ الْمُتَخَصَّرِ ، فِي أَخْبَارِ الْمُتَخَصَّرِ . وَإِتِّحَافُ الْمُتَغَرَّى فِي
تَكْمِيلِ شَرْحِ الصُّغَرَى . وَعَرَفُ النَّشَقِ فِي أَخْبَارِ دِمَشَقَ .
وَالنَّثُ وَالسَّيْنُ ، وَالرَّثُ وَالثَّيْنُ . وَرَوْضُ الْأَسِ الْعَاظِرِ
الْأَهْلَاسِ ، فِي ذِكْرِ مَنْ لَقِيَتْهُ مِنْ أَغْلَامِ مَرَاكُشَ وَفَاسِ .
وَالذُّرُّ الثَّيْنُ فِي أَسْمَاءِ الْهَادِي الْأَمِينِ . وَحَاشِيَةُ شَرْحِ
أُمِّ الْبَرَاهِينِ . وَكِتَابُ الْبِدَاةِ وَالنَّشَاةِ ، كُلُّهُ أَدَبٌ وَنَظْمٌ .
وَلَهُ رِسَالَةٌ فِي الْوَفْقِ الْمُحَمَّسِ أَخْلَالِي الْوَسْطِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .
وُلِدَ تِلْمِسَانُ ، وَنَشَأَ بِهَا ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ ، وَقَرَأَ وَحَصَلَ بِهَا
عَلَى عَمِّهِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْعَالِمِ ، أَبِي عُثْمَانَ سَمِيدِ بْنِ أَحْمَدَ
الْمَقَرِّي مُنْفِي تِلْمِسَانَ سِتِينَ سَنَةً ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا قَرَأَ عَلَيْهِ ،
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَرَوَى عَنْهُ الْكُتُبُ السَّتَّةُ
بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ التَّنْسِيِّ ^(١) ، عَنْ وَالِدِهِ حَافِظِ عَصْرِهِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّنْسِيِّ ، عَنْ الْبُخَارِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ مَرْزُوقٍ ،
عَنْ أَبِي حَيَّانَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِي الرَّيِّسِ .
عَنْ أَتْقَايِ عِيَاضٍ ، بِأَسَانِيدِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِ الشُّفَا .
وَالْأَحَادِيثُ الْمُسْتَنْدَةُ فِي الشُّفَا ، جَمِيعُهَا سِتُونَ حَدِيثًا ، أَفْرَدَهَا

(١) (تنس) بلدة بالمغرب قرب وهران قرب يامن البحر ، وقد خربها الماء وهدمها

بَعْضُهُمْ فِي جُزْءٍ . مَنْ أَرَادَ رِوَايَةَ الْكِتَابِ أُلْسِنَهُ مِنْ
طَرِيقِهِ ، فَلْيَأْخُذْهَا مِنْ كِتَابِ الشُّفَا ، أَوْ مِنْ الْجُزْءِ الْمَذْكُورِ ،
وَكَانَ يُخْبِرُ عَنْ بَلَدِهِ تِلْكَ سَنَ : أَنَّهَا بَلَدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَحَاسِنِ
بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَأَنَّهَا فِي يَدِ الْعُمَايِيِّينَ سَلَاطِينَ مَمْلَكَتِنَا ،
وَهِيَ أَلْحَدُ الْمَضْرُوبِ بَيْنَ سُلْطَانِنَا وَسُلْطَانِ الْمَغْرِبِ ،
وَرَحَلَ إِلَى قَاسٍ مَرَّتَيْنِ ، مَرَّةً سَنَةً تَسَعُ بَعْدَ أَلْفٍ ، وَمَرَّةً
سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَكَانَ يُخْبِرُ أَنَّهَا دَارُ اخِلَافَةِ لِلْمَغْرِبِ ،
وَكَانَ بِهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ مَوْلَايَ أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ ، الْمَشْهُورُ
بِالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، الْمَقْدَّمُ ذِكْرُهُ ، وَأَنَّ الْفَتْوَى صَارَتْ
إِلَيْهِ فِي زَمَانِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ . لَمَّا اخْتَلَّتْ أحوَالُ الْمَمْلَكَةِ
بِسَبَبِ أَوْلَادِهِ ، إِلَى حَدِيثٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ ، أُرْتَحَلَ تَارِكًا
لِلْمَنْصِبِ (١) وَالْوَطَنِ ، فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ
وَعِشْرِينَ بَعْدَ أَلْفٍ ، قَاصِدًا حَاجَّ يَتَى إِلَهُ الْحَرَامِ ، وَأَنشَدَ
صَاحِبَ مَرَاكُشَ مُتَمَثِّلًا قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْحَضَرِيِّ :

(١) المنصب : ما يتولاه الرجل من العمل كأنه محل لنصبه أي نعبه وجده ،
قال ابن الوردي : « نصب المنصب أو هي جلدى » وقد يكون من نصب
نفسه للأمر ينصب كضرب يضرب

مَحَبَّتِي تَقْتَضِي مُقَامِي وَحَالِي تَقْتَضِي الرَّحِيلَ .
فَاجَابَهُ صَاحِبُ مَرَاكَشَ بِقَوْلِهِ :

لَا أَوْحَسَ اللَّهُ مِنْكَ قَوْمًا تَمَوَّدُوا صُنْعَكَ الْجَبِيلَا
« قُلْتُ » وَيَتُّ الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلُ آيَاتٍ ثَلَاثَةٍ ،
كَتَبَ بِهَا لِمِزَّ الدَّوْلَةِ ابْنِ سَقْمُونٍ وَكَانَ فِي خِدْمَتِهِ ، وَبَعْدَهُ :
هَذَانِ خَصْمَانِ لَسْتُ أَقْضِي بَيْنَهُمَا خَوْفَ أَنْ أَمِيلَا
فَلَا يَزَالَانِ فِي خِصَامٍ حَتَّى أَرَى رَأْيَكَ الْجَبِيلَا
فَوَقَّعَ عِزُّ الدِّينِ عَلَى وَرَقَتِهِ : الرَّأْيُ الْجَبِيلُ أَنْ تُنْمَعَ مِنْ
الرَّحِيلِ وَتُسَوَّغَ الْإِقَامَةُ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ ^(١) وَإِحْسَانِ نَعْمَانَةٍ .
قَالَ الْمَقْرِيُّ : وَكَتَبَ إِلَى الْفَقِيهِ الْكَاتِبِ ، أَبُو الْحَسَنِ
عَلَى الْخَزَرَجِيِّ الْفَاسِيِّ الشَّهِيدِ بِالسَّاحِي بِمَا كَتَبَهُ أَبُو جَعْفَرٍ
أَحْمَدُ بْنُ خَاطَمَةَ الْمَرْيُ الْمَغْرِبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَشْيَاخِهِ :

أَشْمَسَ الْغَرْبَ حَقًّا مَا سَمِعْنَا بِأَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْإِقَامَةِ
وَأَنَّكَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى طُلُوعِ إِلَى شَرْقِ سَمَوْتِ ^(٢) بِهِ عَلَامَةٌ
لَقَدْ زَلَزَلْتَ مِنَّا كُلَّ قَلْبٍ بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُقِمِ الْقِيَامَةَ

(١) الدوحة : الشجرة الظليظة الملتفة الأغصان (٢) سموت :

علوت ورقبت

ثُمَّ وَرَدَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ أَدَاءِ الْحُجِّ فِي رَجَبٍ، سَنَةِ ثَمَانٍ
وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ، وَتَزَوَّجَ بِهَا مِنَ السَّادَةِ الْوَفَائِيَّةِ، وَسَكَنَهَا،
وَقَدْ سُئِلَ عَنْ حَظِّهِ بِهَا فَقَالَ: قَدْ دَخَلَهَا قَبْلَنَا ابْنُ الْحَاجِبِ،
وَأَنْشَدَ فِيهَا قَوْلَهُ:

يَا أَهْلَ مِصْرٍ وَجَدْتُ أَيْدِيَكُمْ فِي بَذْلِهَا بِالسَّخَاءِ مُنْقَبِضَةً
لَمَّا عَدِمْتُ الْقَرَى^(١) بِأَرْضِكُمْ أَكَلْتُ كُنْثَى كَأَنِّي أَرْضُهُ^(٢)
وَأَنْشَدَهُ هُوَ لِنَفْسِهِ:

تَرَكْتُ رُسُومَ عِزِّي فِي بِلَادِي وَصِرْتُ بِمِصْرَ مَنْثَى الرُّشُومِ
وَنَفْسِي عَفْثَا^(٣) بِالذَّلِّ فِيهَا وَقُلْتُ لَهَا عَنِ الْعَلْيَاءِ صُومِي
وَلِي عَزْمٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَاضٍ وَلَكِنَّ اللَّيَالِي مِنْ خُصُومِي
ثُمَّ زَارَ يَنْتَ الْمَقْدِسَ فِي شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ، سَنَةِ
تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ، وَرَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَكَرَّرَ مِنْهَا
الذَّهَابَ إِلَى مَكَّةَ، فَدَخَلَهَا بِتَارِيخِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ خَمْسَ
مَرَّاتٍ، وَأَمْلَى بِهَا دُرُوسًا عَدِيدَةً، وَوَفَدَ عَلَى طَبِيبَةِ سَبْعِ

(١) القرى: إكرام الضيف (٢) أرضة بالتحريك: دويبة تأكل

الحشب والورق (٣) عفتها: كرهتها

مَرَّاتٍ ، وَأَمَلَى الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ بِمَرَأَى مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَمَسْمُوعٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصْرَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ تِسْعٍ
وَتَلَاثِينَ ، وَدَخَلَ الْقُدْسَ فِي رَجَبٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ ، وَأَقَامَ
خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ وَرَدَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَخَلَهَا فِي
أَوَائِلِ شَعْبَانَ ، وَأَنْزَلَتْهُ الْمَغَارِبَةُ فِي مَكَانٍ لَا يَلِيقُ بِهِ ،
فَارْسَلَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ شَاهِينَ مِفْتَاحَ مَدْرَسَةِ الْجُمْهُومِيَّةِ ،
وَكَتَبَ مَعَ الْمِفْتَاحِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

كَتَفُ^(١) الْمَقْرِي شَيْخِي مَقْرِي

وَإِلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ مَقْرِي

كَتَفُ مِثْلُ صَدْرِهِ فِي اتِّسَاعِ

وَعُلُومِ كَالْبَحْرِ فِي ضَمْنِ بَحْرِ

أَيَّ بَدْرِ قَدْ أَطْلَعَ الدَّهْرُ مِنْهُ

مَلَأَ الشَّرْقَ نُورُهُ أَيَّ بَدْرِ ؟؟

أَحْمَدُ سَيِّدِي وَشَيْخِي وَذُخْرِي

وَسَمِيِّ وَذَاكَ أَشْرَفُ فَخْرِي

لَوْ بَغَيْرِ الْأَقْدَامِ يَسْمَى مَشُوقٌ

جِثُّهُ زَائِرًا عَلَى وَجْهِ شُكْرِي

فَأَجَابَهُ الْمَقَرِّيُّ بِقَوْلِهِ :

أَيُّ نَظْمٍ فِي حُسْنِهِ حَارَ فِكْرِي

وَتَحَلَّى بِدُرِّهِ صَدْرُ ذِكْرِي ؟ ؟

طائر^(١) الصَّيْتِ لِابْنِ شَاهِينَ يُنَمِّي

مَنْ بِرَوْضِ النَّدَى لَهُ خَيْرٌ ذِكْر^(٢)

أَنحَدُ الْمُتَطِينِ^(٣) ذِرْوَةَ مَجْدٍ

لِعَوَانٍ^(٤) مِنْ أَلْمَالِي وَبِكْرِ

حَلٍّ مِفْتَاحُ فَضْلِهِ بَابَ وَصْلِ

مِنْ مَعَانِي تَعْرِيفِهِ دُونَ نُكْرِ

يَا بَدِيعَ الزَّمَانِ دُمُ فِي أَرْذِيَادٍ

بِالْعَلَى وَأَرْذِيَادٍ تَجَنِّسِ شُكْرِي

(١) طائر الصيت : أي شائع الذكر . وينمى : ينسب . والندى :

السخاء والعطاء والجلود (٢) لعلها (وكر) وهو عن الطائر ؟ (٣) المتطين :

الراكين . وذروة المجد : أعلاه (٤) العوان : النصف في سننها من كل

شيء . والعوان : الثيب ضد البكر

وَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا أُعْجِبَتْهُ، فَتَقَلَّ أَسْبَابُهُ إِلَيْهَا، وَأَسْتَوْطَنَهَا
مُدَّةَ إِقَامَتِهِ، وَأَمَّلَى صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ بِالْجَامِعِ، تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ
بِمَدِّ صَلَاةِ الصُّبْحِ. وَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ بَعْدَ أَيَّامٍ، خَرَجَ إِلَى
صَحْنِ الْجَامِعِ، تُجَاهَ الْقُبَّةِ الْمَرْوُوفَةِ بِالْبَاعُورِيَّةِ، وَحَضَرَهُ
غَالِبُ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ دِمَشْقَ، وَأَمَّا الطَّلَبَةُ فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ
أَحَدٌ، وَكَانَ يَوْمُ خْتَمِهِ حَافِلًا جِدًّا، اجْتَمَعَ فِيهِ الْأُلُوفُ مِنَ
النَّاسِ، وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ، فَتَقَلَّتْ حَلَقَةُ الدَّرْسِ
إِلَى وَسَطِ الْبَصْحَنِ، إِلَى الْبَابِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِلْمُ النَّبَوِيُّ،
فِي الْجُمُعَاتِ مِنْ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ، وَاتَّقَى لَهُ بِكَرْسِيِّ
الْوَعْظِ، فَصَمِدَ عَلَيْهِ: وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فِي الْعَقَائِدِ وَالْحَدِيثِ،
لَمْ يُسْمَعْ نَظِيرُهُ أَبَدًا، وَتَكَلَّمَ عَلَى تَرْجُمَةِ الْبُخَارِيِّ، وَأُنْشَدَ
لَهُ يَتْنَيْنِ، وَأَفَادَ أَنْ لَيْسَ لِلْبُخَارِيِّ غَيْرُهُمَا وَهُمَا :

اِغْتَمَّ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَحَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَعْتَهُ^(١)
كَمْ صَحِيحٌ قَدْ مَاتَ قَبْلَ سَقِيمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الْفَيْسَةُ فَلْتَهُ^(٢)؟
« قُلْتُ » : وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَجَامِيعِ تَقْلًا عَنْ

الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ ، أَنَّهُ وَقَعَ لِلْبُخَارِيِّ ذَلِكَ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ ،
وَهَذِهِ مِنَ الْفَرَايِبِ ، انْتَهَى . وَكَانَتْ الْجُلُوسَةُ مِنْ طُلُوعِ
الشَّمْسِ إِلَى قُرْبِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ خَتَمَ الدَّرْسَ بِآيَاتٍ قَالَهَا حِينَ
وَدَّعَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

يَا شَفِيعَ الْمُصَاةِ أَنْتَ رَجَائِي
كَيْفَ يَخْتَلِي الرَّجَاءُ عِنْدَكَ خِيْبَةً ؟

وَإِذَا كُنْتَ حَاضِرًا بِهُوَادِي
غِيَّةِ الْجِسْمِ عَنْكَ لَيْسَتْ بِغِيَّةٍ

لَيْسَ بِالْعَيْشِ فِي الْبِلَادِ انْقِطَاعٌ
أَطْيَبُ الْعَيْشِ مَا يَكُونُ بِطَيْبَةٍ^(١)

وَنَزَلَ عَنِ الْكُرْسِيِّ ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ ،
وَكَانَ ذَلِكَ نَهَارَ الْأَرْبَعَاءِ ، سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ
وِثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْوَارِدِينَ إِلَى
دِمَشْقَ ، مَا اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْخُطُوبَةِ^(٢) وَإِقْبَالَ النَّاسِ ، وَكَانَ بَعْدَ

(١) طيبة : مدينة يثرب ، وهي المدينة للنورة (٢) الخطوة : السكّانة
والنزلة من دى سلطان ونحوه :

مَا رَأَى مِنْ أَهْلِهَا مَا رَأَى، أَكْثَرَ الْإِهْتِمَامِ بِمَدْحِهَا، وَقَدْ عَقَدَ
فِي كِتَابِهِ عَرَفَ الطَّيِّبِ فَضْلًا يَتَلَقُّ بِهَا وَبِأَهْلِهَا، وَأُورِدَ فِي
مَدْحِهَا أَشْعَارًا، وَمِنْ مَحَاسِنِ شِعْرِهِ فِي حَقِّهَا قَوْلُهُ:

مَحَاسِنُ الشَّامِ جَلَّتْ^(١) عَنْ أَنْ تُقَاسَ بِحَدِّ
لَوْلَا حَيُّ الشَّرْعِ قُلْنَا وَلَمْ تَقِفْ عِنْدَ حَدِّ
كَأَنَّهَا مُعْجَزَاتُ مَقْرُونَةٍ^(٢) بِالتَّحْدِي
وَقَوْلُهُ:

قَالَ لِي مَا تَقُولُ فِي الشَّامِ حَبْرٌ^(٣)
شَامٌ مِنْ بَارِقِ الْمَلَا مَا شَامَةٌ؟

قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ فِي وَصْفِ أَرْضِ
هِيَ فِي وَجَنَةِ الْمَحَاسِنِ شَامَةٌ؟

وَقَوْلُهُ:

قُلْ لِمَنْ رَامَ^(٤) النَّوَى عَنْ وَطَنِ
قَوْلَةٌ لَيْسَ بِهَا مِنْ حَرَجٍ^(٥)

(١) جلت: عظمت وعلت (٢) التحدى: طلب الشيء مقرونا بالاعجاز
(٣) الحبر: العالم، وشام: نظر. والشامة: علامة تخالف البدن الذي
هي فيه (٤) رام: طلب وقصد. والنوى: الرحيل والنزوح والبعد.
(٥) من حرج: أى من اثم، أولوم.

فَرَجَّ اللَّهُ بِسُكْنَى جِلْقٍ^(١) إِنَّ فِي جِلْقٍ بَابَ الْفَرْجِ
وَجَرَى يَنْتَهُ وَيَنْ أَدْبَانَهَا وَعِلْمَانَهَا مُطَارَحَاتٍ^(٢) شَتَّى ،
فَمِنْ ذَلِكَ : مَا كَتَبَهُ إِلَى الشَّاهِينِ مَعَ خَاتَمٍ وَمُسْبَحَةٍ
أَرْسَلَهُمَا إِلَيْهِ :

يَا نَجَلَ شَاهِينَ الَّذِي حَازَ الْمَعَالِي وَالْمَعَالِمَ
يَا مَنْ دِمَشْقُ بِطِيبٍ مَا يُبْدِيهِ عَاطِرَةُ النَّوَاسِمِ^(٣)
قَالَ تَهْرُ مِنْهَا ذُو صَفَا وَالزَّهْرُ مُفْتَرٍ^(٤) الْمُبَاسِمِ
وَالْعُضْنُ يَنْثِي عِطْفَهُ^(٥) طَرَبًا لِتَغْرِيدِ الْحَمَامِ
يَا أَحْمَدَ الْأَوْصَافِ يَا مَنْ حَازَ أَنْوَاعَ الْمَكَارِمِ
أَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي مِنْنًا لَهَا تَعْنُو^(٦) الْأَعَاطِمِ
فَمَتَى أَوْدَى شُكْرَهَا وَالْعَجْزُ لِي وَصَفٌ مُلَازِمٌ ؟

(١) جلق بفتح اللام وكسرهما : دمشق أو غوطتها (٢) المطارحة :
الناظرة ، والمجاوبة : بأن يلقى كل منهما الأسئلة على الآخر
(٣) النواسم : جمع نسيم : كل ريح لينة لاتحرك شجرا ولا تعفى أثرا .
ولعل هذا الجمع سماعي أو هو جمع ناسمة من نسمت الريح نسيما ونسيما
إذا تنفست ، والنسيم الريح الطيبة (٤) مفتر : مفتوح ، وللناسم جمع مبسم
وهو ما يظهر من ثنايا الانسان عند الضحك (٥) عطف كل شيء : جانبه
(٦) تعنو : تخضع .

وَالْعُذْرُ بَادٍ إِنْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ جِنْسِ الرِّثَامِ^(١)
تَسْبِيحَةَ الذِّكْرِ الَّتِي جَاءَتْ بِتَضْجِيفٍ مُلَاقٍ
وَبِحَاقَتِهِ دَاعٍ إِلَى فَيْضِ النَّدَى^(٢) مِنْ كَفِّ حَاتِمٍ
فَآمِدُّ عَلَى جَهْدِ الْمُقِلِّ^(٣) مِ رُوقٍ صَفَحٍ ذَا دَعَائِمٍ
لَا زِلْتَ سَابِقَ غَايَةٍ بَيْنَ الْأَعَارِبِ وَالْأَعَاجِمِ
سَيِّدِي لَا يَخْفَاكَ أَنِّي بَعَثْتُ بِهَا رَتِيمَةً ، وَلَوْ أُمَكَّنْتِي
لَأَهْدَيْتُ مِنْ الْجَوَاهِرِ مَا يَتُوفُ^(٤) عَلَى قَدْرِ الْقِيَمَةِ . فَهَمَّا
- أَغْنَى الْحَاتِمَ وَالْيَسْبَحَةَ - تَذَكِيرٌ لِيَدِ الثَّلَى بِخَالِصِ الْوِدَادِ ،
وَفِي الْمَثَلِ « لَا كُفْلَةَ بَيْنَ مَنْ تَثَبَّتْ بَيْنَهُمُ الْأُلْفَةُ »
حَتَّى فِي الْوَرَقِ وَالْمِدَادِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيكَ الْبَقَاءَ الْجَمِيلَ ، وَيُسَلِّطُكَ
غَايَةَ التَّامِيلِ . وَالْعَفْوُ مَطْلُوبٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَ مُنْكَسِرَةِ الْقُلُوبِ
وَهُوَ الْمَسْتُورُ أَنْ يَحْرُسَكُمْ بِعَيْنِ عِنَايَتِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ،
بِحَاكِ مَنْ تَرَقَّى إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ، وَلِلَّهِ دَرْ الْقَائِلِ .

(١) الرثام : جمع رتيمة . وهي : خيط يشد في الأصبع لتتذكر به الحاجة

(٢) الندى : العطاء . (٣) جهد القلب : وسعه وطاقته . والقل : الفقير

وفيه بقية (٤) ينوف : يزيد .

هَدِيَّةُ الْعَبْدِ عَلَى قَدَرِهِ وَالْفَضْلُ أَنْ يَقْبَلَهَا السَّيِّدُ
فَالْعَيْنُ مَعَ تَعْظِيمِ مِقْدَارِهَا تَقْبَلُ مَا يُهْدَى لَهَا الْوَرْدُ^(١)
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الشَّاهِنِيُّ قَصِيدَةً مَطْلَعُهَا :

يَا سَيِّدًا شِعْرِي لَهُ مَا إِنْ يُقَاوَى أَوْ يُقَاوِمُ
« مِنْهَا » وَهُوَ مَحَلُّ ذِكْرِ مَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ :

قَدْ جَاءَ مَا شَرَّفْتَنِي بِخُصُوصِهِ دُونَ الْأَعَاظِمِ
مِنْ خَاتَمٍ كَفَى بِهَا وَرِثْتُ سُلَيْمَانَ الْعَزَائِمِ
وَبِسُبْحَةِ شَبَّهْتُهَا بِالشَّهْبِ فِي أَسْلَاكِ نَاطِمِ
فَلْتَحْسُدِ الْجُوزَاءُ^(٢) مَا أُخْرِزَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَكَارِمِ
هِيَ آلَةٌ لِلذِّكْرِ لَكِنْ لَيْسَ ذِكْرًا فِي الْحِيَازِمِ^(٣)
فَهَوَاكَ فِي قَلْبِي وَمَا فِي الْقَلْبِ جَلٌّ عَنِ الرَّتَائِمِ
مَا ذِي رَتَائِمٍ سَيِّدِي بَلْ إِنَّهَا عِنْدِي تَمَامٌ^(٤)
لَوْ أَنَّهَا مِنْ جِنْسٍ مَا يُطْوَى غَدَتِ فَوْقَ النَّعَامِ^(٥)

(١) الورد : الليل يكتحل به (٢) الجوزاء برج في السماء .

(٣) الحيازيم جمع حيزوم : وهو الصدر . لأنه موضع الحزم (٤) تمام

جمع تيممة : وهي خريزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق

(٥) النعام : منزل من منازل القمر صورته كالنعامة .

لَكِنِّهَا قَدْ زَيَّنْتَ كَفِّي وَأَزَرْتَ بِإِخْوَاتِي
وَأَتَّقَ لِمَقَرِّي مَجْلِسَ فِي دَعْوَةِ بَعْضِ الْأَعْيَانِ ، وَكَانَ
الْمُقْتِي الْعِمَادِيُّ وَالشَّاهِدِيُّ صُحْبَتُهُ فِي تِلْكَ الدَّعْوَةِ ، فَمَسَّ
ثَلَجًا وَقَالَ : أَلَمَاسُ هَذَا ؟ فَأَنْشَدَ الشَّاهِدِيُّ مُرْتَجِلًا :

شَيْخُنَا الْمَقَرِّيُّ وَهُوَ النَّاسُ وَالَّذِي بِالْأَنَامِ لَيْسَ يُقَاسُ
مَسَّ ثَلَجًا وَقَالَ أَلَمَاسُ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَلَمَاسُ عِنْدَنَا أَلَمَاسُ
ثُمَّ أَرْتَجِلُ آخَرِينَ فِي الثَّلَجِ :

غَنِيْتُ بِالْثَّلَجِ عَنْ سَوْدَاءَ كَا حِلَّةٍ
مِنْ قَهْوَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
وَقُلْتُ لَمَّا غَدَا خَلِيٌّ يُعَنِّفُنِي (١) :

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ (٢)

فَقَالَ الْعِمَادِيُّ :

يَا بَرْدَهَا ثَلَجَةٌ جَاءَتْ عَلَى كَبِدِ
حَرَاءٍ مِنْ فُرْقَةٍ الْأَخْبَابِ فِي وَجَلِ

(١) يعنفي : يؤنبني (٢) زحل : كوكب من الحنسن سمي به لبعده
وتنحيه ، وهو مثل في الملو والبعد . ويقال له شيخ النجوم . وعجز
البيت من قول أبي الطيب .

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس مايفنيك عن زحل

فَقَالَ الْمَقْرِيُّ :

تَحْلُو إِذَا كُرِّرْتَ ذَوْقًا وَعَادَهُ مَا
أُعِيدَ أَنْ يُلْتَقَى ^(١) بِالْكُرِّهِ وَالْمَلَلِ

فَقَالَ الْعِمَادِيُّ :

لَعَلَّ إِغْلَالَةً ^(٢) بِالشَّلْجِ ثَانِيَةً
يَدِبُ مِنْهَا نَسِيمُ الْبَرِّ فِي عَلِيٍّ
فَقَالَ الْمَقْرِيُّ :

إِذَا دَعَانِي بِمِصْرٍ ذِكْرُ مَعَهْدِهَا
أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ ^(٣)

فَقَالَ الْعِمَادِيُّ :

لَوْ كَانَ فِي مِصْرٍ مَاءٌ بَارِدٌ لَكُنِّي عَنْ الشَّلْجِ ، وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ

(١) التقي الشيء : تلقاه . وقد ضمن قول أبي الطيب في مطلع قصيدة :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والابل

(٢) العال محركة : الشرب الثاني . يقال « علل بعد نهل »

وأعله وعله : سقاه شربة ثانية ، وينبغي أن يكون عجز البيت :

(يدب منها نسيم البر في علي » لأن في الأبيات كلها تضمينا من أقوال

الشعراء ، وهو هنا قد أخذ عجز البيت من قول الطفرائي :

لعل للامة بالجزع ثانية يدب منها نسيم البر في علي

أو لعله : يدب منها نسيم البرد في غلى (والغلل شدة العطش)

(٣) الطلل : الشخص من آثار الديار .

وَمِنْ شِعْرِ الْمَقْرِيَّ قَوْلُهُ مُضْمَنًا مَعَ الْاِكْتِفَاءِ وَالتَّوْرِيَةِ:
لَمْ أَنْسَ يَوْمًا لِلنَّوَاعِيرِ ^(١) بِهِ
فِي نَهْرِ فَاكِسٍ شَجْنٌ ^(٢) هَاجَ الْجَوَى
فَقُلْتُ إِذْ ذَكَرْتَنِي مَعَاهِدًا:
لِلَّهِ مَا قَدْ هَجَّتْ يَا يَوْمَ النَّوَى
وَالْيَصْرَاعُ الثَّانِي ضَمَنَهُ مِنْ مَقْصُورَةٍ حَازِمٍ ، وَبَعْدَهُ:
« عَلَى فُؤَادٍ مِنْ تَبَارِيحٍ ^(٣) الْجَوَى »
وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَجَامِيعِ تَقْلًا عَنْ خَطِّ الْمَقْرِيَّ قَالَ:
أَنْشَدَنِي صَاحِبُنَا الْعَلَامَةُ الْبَلِيغُ النَّاطِمُ التَّائِرُ الْقَاضِي مُحَمَّدٌ
الْمُنَوِّفِيُّ لِبَعْضِ مَنْ قَصَدَهُ الدَّهْرُ بِسِهَامِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ صَبْرًا
لِإِشْكَالِ صَبْرِهِ وَأُنْبِيَاهِهِ ، قَوْلُهُ:
وَأَخْفَيْتُ صَبْرِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ
وَلَكِنَّ عَيْنِي فِي الْأَحَايِينِ تَدْمَعُ
فَقُلْتُ مُضْمَنًا ، وَفِيهِ لُزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ :

(١) جمع الناعورة : الدلوالب ودلو يستقي بها ، أو ما يدبره الماء من
المنجنونات (٢) الشجن . الهم والحزن (٣) تباريح الجوى : توهجه ،
جمع تبريح .

وَقَائِلَةً مَالِي رَأَيْتُكَ ذَا شَجَبِي
وَلَمْ يَكْ قِدَمًا فِيكَ لِلشَّجْوِ مَطْمَعُ !
فَقُلْتُ : أَصَابَنِي مِنَ الدَّهْرِ عَيْنُهُ
وَخَالَفْتُ ذَا نُصْحٍ لَهُ كُنْتُ أَسْمَعُ
فَقَالَتْ : تَصَبَّرُوا كَتُمِ الْأَمْرَ تَسْتَرْخِ
وَلَا تَسْأَمَنَّ فَالْخَيْرُ فِي ذَاكَ أَجْمَعُ
فَقُلْتُ لَهَا : أَرَشَدْتَ مِنْ لَيْسَ جَاهِلًا
وَأَنْشَدْتُمَا وَالْحَيُّ لِلسَّيْرِ أَرْمَعُوا :
وَأَخْفَيْتُ صَبْرِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ
وَلَكِنَّ عَيْنِي فِي الْأَحْيَاءِ تَدْمَعُ
قَالَ : وَكَانَ شَيْخُ مَسَائِحِنَا الْقَاضِي الْأَجَلُ سَيِّدِي
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْوَانْشَرِيشِيِّ ^(١) أَلْتَلِسَانِي الْأَصْلِ ،
قَاضِي قُضَاةِ فَارِسِ الْمَحْرُوسَةِ نَظَمَ يَتَنَّا ، وَرَمَزَ فِيهِ لِلْمَوَاضِعِ
الَّتِي لَا يُصَلِّي فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
عَلَى عَاتِقِي مُحْمَلَتُ ذَنْبِ جَوَارِحِ تَعَبْتُ بِهَا وَاللَّهُ لِلذَّنْبِ غَافِرُ

(١) وانشریش : بالنون وشينين معجمتين وراء بينهما ياء جبل
بنواحي المغرب قرب تلمسان ، ينسب اليه محمد بن عبد الله الوانشریشي
الذي أعان محمد بن تومرت على أمره يوم قام بدعوة عبد المؤمن بن علي

وَهَذَا بَيَانُ مَا رَمَزَ عَلَى التَّرْتِيبِ : عَطَاسٌ عِبْرَةٌ ، سَحَابٌ
 ذَيْبٌ جِجَاعٌ تَعْجَبُ بَيْعٌ ، فَقُلْتُ : إِنَّ قَوْلَهُ : وَاللَّهُ لِلذَّنْبِ
 غَافِرٌ ، لَا مَحَلَّ لَهُ فِي الرَّمْزِ ، مَعَ أَنَّهُ يَقِيْتُ أَشْيَاءَ أُخْرَى ، لَوْ
 جُمِلَتْ مَكَانَ هَذَا الْكَلَامِ لَكَانَ أَحْسَنَ . وَأَيْضًا ، فَإِنَّ
 يَتَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ مُرَادُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَطَأْتُ
 لَهُ بِبَيْتٍ صَرَّخْتُ فِيهِ بِالنَّمْرِ ، وَأَبْدَلْتُ قَوْلَهُ : وَاللَّهُ
 لِلذَّنْبِ غَافِرٌ ، بِالرَّمْزِ لِمَا أَغْفَلَهُ ، قُلْتُ - وَالْفَضْلُ
 بِالتَّقْدِمِ لَهُ - :

يُزَيَّرُهُ ذِكْرُ الْمُصْطَفَى فِي مَوَاضِعٍ
 لَهَا رَمَزُ الْفَاطِمَةِ تَبَدَّى شُمُولُهَا

عَلَى عَاتِقِي مُحْمَلْتُ ذَنْبَ جَوَارِحٍ
 تَعَبْتُ بِهَا قَدْ أَثْقَلَتْنِي مَحْمُولُهَا
 رَمَزْتُ لِلْقَدَرِ وَالْأَكْلِ وَحَاجَةِ الْإِنْسَانِ . لَا يُقَالُ :
 إِنَّ الْحَاجَةَ تَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ مُحْمَلْتُ ، لِأَنَّا نَقُولُ : إِنَّهُ كَرَّرَ فِي
 قَوْلِهِ : عَلَى عَاتِقِي ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُكْتَفَى بِالْفِعْلِ
 الْوَاحِدِ . ثُمَّ ظَهَرَ لِي بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ أَنَّ قَوْلِي يُزَيَّرُهُ إِلَى آخِرِهِ

لَيْسَ فِيهِ التَّضَرُّعُ بَعْدَ صَلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقُلْتُ بَدَلَهُ :

صَلَاةً عَلَى الْمُخْتَارِ دَعَى فِي مَوَاضِعٍ
لَهَا رَمَزُ الْفَاطِ تَبَدَّى شُمُولُهَا

عَلَيْكَ يَا كَثَارَ الصَّلَاةِ عَلَى الَّذِي
رَسَّائِثُهُ لِلْخَلْقِ بَادٍ شُمُولُهَا

وَدَعَاهَا بِعَشْرِ قُلْتُ فِي رَمَزٍ عَدَّهَا
كَلَامًا ، عُيُونِي زَادَ مِنْهُ هُمُولُهَا

عَلَى عَاتِقِي مُحِلْتُ ذَنْبَ جَوَارِحٍ
لَعِبْتُ بِهَا قَدْ أَثْقَلَتْنِي حُمُولُهَا

وَمِنْ إِمْلَائِهِ لِبَعْضِ فَضْلَاءِ دِمَشْقَ أَنَّهُ قَالَ :

حُكِيَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ كَتَبَ إِلَى بِقْرَاطَ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ
مِنْهُ : إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ إِنْ أَجَبْتَ عَنْهَا تَلَمَذْتُ لَكَ.
فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِقْرَاطُ : سَلْ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
أَخْبِرْنِي مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ؟ وَمَتَى يَضِيعُ أَمْرُ النَّاسِ ؟
وَمَا تُثَلَّقُ بِهِ النُّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِقْرَاطُ : أَمَّا

أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ثَلَاثَةٌ : الْبَرُّ يَكُونُ فِي سُلْطَانٍ
فَاجِرٍ ، فَهُوَ الدَّهْرُ حَزِينٌ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ . وَالْعَاقِلُ فِي تَدْوِيرِ
الْجَاهِلِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ مُتَعَبٌ مَغْمُومٌ . وَالكَرِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى
اللَّيْمِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ . وَأَمَّا تَضْيِيعُ أُمُورِ النَّاسِ :
فَإِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ
لَا يَسْتَمِيلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يُنْفِقُهُ . وَأَمَّا مَا بِهِ تُتَلَقَّى
الْنِّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ : فَبِكَثْرَةِ الشُّكْرِ ، وَلِزُومِ طَاعَتِهِ ،
وَأَجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ . فَاقْبَلْ إِلَيْهِ أَفْلَاطُونُ وَصَارَ تَلْمِيزًا
لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ . قَالَ الْمَقْرِيُّ : وَقَدْ نَظَمْتُ هَذَا
السُّوْأَلَ وَالْجَوَابَ فِي قَوْلِي :

أَرْسَلَ أَفْلَاطُونُ وَهُوَ الَّذِي قَدَّمَ مَا فِي النَّاسِ بِالْحِكْمَةِ
لِشَيْخِهِ بِقَرَّاطٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَدْ حَوَى عِلْمَهُ
إِنْ أَنْتَ حَقَّقْتَ جَوَابِي عَلَى ثَلَاثَةِ مَحْضُتِكَ ^(١) أَخْلَصْتَهُ
وَكُنْتُ تَلْمِيزًا مُقَرًّا بِمَا تُسَدِّدِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حُرْمَةٍ
فَقَالَ يَتْنُهَا فَقَالَ : أَوْ كَشِفْنَ عَنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ؟

وَعَنْ أُمُورِ النَّاسِ أَوْضَحَ مَتَى تَضِيعُ ، وَاسْتَقْبَلْنَا النِّعْمَةَ ؟
 مِنْ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ مَا الَّذِي بِهِ تُلَقَّى فَأَشْرَحِ الْقِسْمَةَ
 فَقَالَ بِقِرَاطٍ : أَحَقُّ الْوَرَى بِرَحْمَةٍ يَا مُوفِي^(١) الذِّمَّةُ
 ذُو الْعَقْلِ فِي تَدْيِيرِ ذِي الْجَهْلِ لَا وَالْبَرِّ إِنْ أَضْحَى بِسُلْطَانٍ مَنْ
 فُجُورُهُ عَمَّ الْوَرَى نِقْمَةُ يُحْزِنُهُ مَا يَسْمَعُ أَوْ مَا يَرَى
 مِنْهُ لِأَنَّ الظُّلْمَ ذُو ظُلْمَةٍ كَذَا كَرِيمُ النَّفْسِ ذُو حَاجَةٍ
 إِلَى لَيْسِمٍ سَاقِطِ الْهِمَّةِ يَغْدُو ذَلِيلًا خَاضِعًا خَاشِعًا لَهُ
 وَنَاهِيكَ بِذَا وَصْنِهِ^(٢) فَاسْأَلْ مِنَ الرَّعْمَنِ سُبْحَانَهُ
 عَنِ الثَّلَاثِ الْخِفْظِ وَالْعِصْمَةِ وَذِي ثَلَاثٍ إِنْ تَكُنْ فِي الْوَرَى
 ضَاعَتْ أُمُورُ النَّاسِ فِي مَهْمَةٍ^(٣) أَلْمَالُ فِي كَفِّ أَمْرِي وَمُمْسِكٍ
 لَهُ يَرَى إِنْفَاقَهُ ثُلْمَةً^(٤) وَالرَّأْيُ إِنْ كَانَ لَدَى مَنْ أَبَوَا
 مِنْهُ قَبُولًا وَأَبَوَا حَزْمَهُ وَذُو سِلَاحٍ لَيْسَ مُسْتَعْمِلًا
 لَهُ وَلَمْ يَكْسِبْ بِهِ حِشْمَةً^(٥) وَذِي ثَلَاثٍ غَيْرُهَا أَوْضَحَتْ
 عَمَّا بِهِ تُسْتَقْبَلُ النِّعْمَةُ

(١) موفى : كامل (٢) الوصمة : العار والعيب (٣) المهمة : اللقظة (٤) ثلمة
 خلل و عيب (٥) حشمة : أحشمة : أغضبته ، والاسم الحشمة وهو
 الاستحياء والغضب أيضا . والراد هنا لازم الغضب وهو الحمية والاباء وبهما
 يكون المرء ذا هيبة ووقار .

تَرَكَ الْمَعَاصِيَ وَلَزُومُ التَّقَى وَكَثْرَةُ الشُّكْرِ فَصُنْ نَظْمَهُ
وَذَكَرَ فِي بَعْضِ مُحَاضَرَاتِهِ : أَنَّ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ،
ذَكَرَ فِي الْكُنْيَةِ الْكَامِنَةِ فِي أَبْنَاءِ الثَّامِنَةِ جَوَابًا عَنْ
الْبَيْتَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ ، وَمُهَا قَوْلُهُ :

كَسَرْتُ لَمَّا قَدْ قُلْتُ قَلْبِي وَلَمْ تُضِفْهُ إِلَى فُلَانٍ
مَا يَمْلِكُ الْمُسْتَهَامُ^(١) قَلْبًا يَا ظَالِمَ اللَّفْظِ وَالْمَعَانِي
قَالَ وَالْبَيْتَانِ الْمَشْهُورَانِ اللَّذَانِ هَذَانِ جَوَابٌ عَنْهُمَا مُهَا
قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا سَاكِنًا قَلْبِي أَلْمَعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ ثَانِي
لِأَيِّ مَعْنَى كَسَرْتُ قَلْبِي وَمَا التَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ
وَرَأَيْتُ لِبَعْضِهِمْ جَوَابًا عَنْهُمَا ، وَقَدْ أَجَادَ إِلَى الْغَايَةِ بِقَوْلِهِ :
سَكَنَتْهُ وَهُوَ ذُو سُكُونٍ لَمْ يَثْنِهِ عَنْ هَوَايَ ثَانِي
فَكَانَ كَسَرِي لَهُ قِيَاسًا لَمَّا التَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ^(٢)
وَأَجَابَ الْمَقْرِئُ بِقَوْلِهِ :

نَحَلْتَنِي^(٣) طَائِعًا فُوَادِي فَصَارَ إِذْ حُزْنُهُ مَكَانِي
لَا غَرْوَ إِنْ كَانَ لِي مُضَافًا إِنِّي عَلَى الْكَسْرِ فِيهِ بَانِي

(١) المستهَام : المهام العاشق المتحير (٢) سا كنان : يعني قلبه ومحبوبه

(٣) نحلتنى : أعطيتنى . وحزنته : أخذته .

قُلْتُ : وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَيْمَانَ ،
 أَنَّهُ ذَكَرَ هَذَا السُّؤَالَ فِي يَتَيْنِ وَقَالَ : إِذَا لُتِيَ سَاكِينَانِ
 كُسِرَ أَحَدُهُمَا لَا مَحَلَّ لَهُمَا ، وَكَوْنُ الْمُرَادِ بِالْمَحَلِّ الْكَلِمَةَ
 الَّتِي فِيهَا ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ أَحَدُهُمَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى
 الْكُسْرِ كَأَمْسٍ ، لَا تَحْتَمِلُهُ الْبَلَاغَةُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ
 هَذَا مِمَّا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلِي فِي هَذَا الْمَعْنَى :
 إِنَّ ذَا الدَّهْرِ لَا يَزَالُ يَرَى جَمْعَ شَمْلِ الْكِرَامِ مُتَمِّعًا
 فَهَوَ حَتْمًا مُحَرِّكٌ أَبَدًا أَحَدَ السَّاكِينِ مَا اجْتَمَعَا
 وَلِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، هُوَ الَّذِي أَلْفَ صَاحِبُ
 التَّرْجَمَةِ كِتَابَهُ « عَرَفَ الطَّيِّبِ » فِي أَخْبَارِهِ . وَمِنْ غَرِيبِ
 خَبَرِهِ - وَالْأَيَّامُ تُرَى الْغَرِيبَ مِنْ أَعْمَالِهَا ، وَتُسْمِعُ الْعَجِيبَ
 مِنْ أحوَالِهَا - أَنَّهُ رَحَلَ مِنْ غِرْنَاطَةَ ، وَدَخَلَ إِلَى مَدِينَةِ
 فَاسٍ ، فَبَالَغَ سُلْطَانُهَا فِي إِكْرَامِهِ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ أَعْدَاؤُهُ
 بِالْأَنْدَلُسِ ، وَاثْبَتُوا عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ مَنسُوبَةً إِلَى الزُّنْدَقَةِ ^(١)
 تَكَلَّمَتْ بِهَا ، فَسَجَّلَ ^(٢) الْقَاضِي بِبُيُوتِ زَنْدَقَتِهِ ، وَحَكَمَ بِإِرَاقَتِهِ

(١) الزندقة : إبطان الكفر واطهار الايمان « النفاق » (٢) سجل : حكم

دَمِهِ ، وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى سُلْطَانِ فَاسٍ فُسِّجَ بِهَا ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ
بَعْضُ الْأَوْغَادِ^(١) السَّجْنَ وَقَتْلَهُ خَنْقًا ، وَأَخْرَجُوا رِمْتَهُ
فَدَفَنَتْ ، فَأَصْبَحَ غُدْوَةً دَفَنِهِ طَرِيحًا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ ،
وَقَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْأَحْطَابُ ، وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النَّارُ فَاحْتَرَقَ
شَعْرُهُ وَأَسْوَدَتْ بَشَرَّتُهُ ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى حُفْرَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ
سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا وَقَعَ لَهُ
أَنَّهُ كَانَ نَظَّمَ هَذَا الْمَقْطُوعَ وَهُوَ :

قِفْ لِتَرَى مَغْرِبَ شَمْسِ الضُّحَى

بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ

وَأَسْتَزِجِمِ اللَّهَ قَتِيلًا بِهَا

كَانَ إِمَامَ الْعَصْرِ فِي الْمَغْرِبِ^(٢)

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ قُتِلَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ ، فَأَلْمَرَادُ مِنْ

شَمْسِ الضُّحَى نَفْسُهُ ، وَقَوْلُهُ : وَأَسْتَزِجِمِ اللَّهَ قَتِيلًا بِهَا ،

مَعْنَاهُ أَسْأَلَ اللَّهَ رَحْمَةً لِلْقَتِيلِ بِشَمْسِ الضُّحَى ، فَضْمِيرُ بِهَا

عَائِدٌ إِلَى شَمْسِ الضُّحَى ، عَلَى سَبِيلِ الْأِسْتِخْدَامِ ، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ

(١) الاوغاد : الأزدال الحمقى ، جمع وغد (٢) المغرب : بلاد المغرب

مَجَازِيٍّ . وَقَدْ أَطْلَنَّا الْكَلَامَ حَسْبَمَا أَقْتَضَاهُ الْمَقَامُ ، فَلَنَرْجِعْ
إِلَى الْفَرَضِ مِنْ ذِكْرِ بَقِيَّةِ خَبَرِ الْمَقَرِّيِّ فنَقُولُ :
وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بِدِمَشْقَ دُونَ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ رَحَلَ
مِنْهَا فِي خَامِسِ شَوَّالٍ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى مِصْرَ ، وَعَادَ إِلَى
دِمَشْقَ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ ، وَحَصَلَ لَهُ
مِنْ الْإِكْرَامِ مَا حَصَلَ فِي قَدَمَتَيْهِ ^(١) الْأُولَى . وَحِينَ فَارَقَهَا
أَنشَدَ قَوْلَهُ :

إِنْ شَامَ ^(٢) قَلْبِي عَنْكَ بَارِقَ سَلْوَةٍ
يَا شَامُ كُنْتُ كَمَنْ يَحُونُ وَيَغْدِرُ

كَمْ رَاحِلٍ عَنْهَا لِفَرَطٍ ضُرُورَةٍ
وَعَلَى الْقَرَارِ بَغِيرَهَا لَا يَقْدِرُ ؟

مُتَصَاعِدُ الزَّفَرَاتِ ^(٣) مَكْلُومُ الْحُشَا ^(٤)
وَاللَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَحَدَّرُ

(١) القدمة : بالضم : السابقة في الأمر . والقدمة بالفتح : المرة من القدوم
قدم من سفره يقدم (٢) شام البرق شيا : نظرا إليه أين يقصد . وشام مخايل
الشيء إذا تطلع نحوها ببصره منتظرا له (٣) الزفرات : جمع زفرة :
استيعاب النفس من شدة الغم والحزن (٤) مكلوم الحشا : مجروح القلب
(٣ - نفع الطيب - اول)

وَدَخَلَ مِصْرَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا مُدَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ
الْوَفَائِيَّةَ ، وَأَرَادَ الْعَوْدَ إِلَى دِمَشْقَ لِلتَّوَطُّنِ بِهَا ، فَقَاجَأَهُ
الْحِمَامُ^(١) ، قَبْلَ نَيْلِ الْمَرَامِ . وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي مُجَادَى الْآخِرَةِ
سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَلْفٍ . وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُجَاوِرِينَ .
وَقَالَ الْأَدِيبُ إِبْرَاهِيمُ الْأَكْرَمِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَقَاتِهِ :

قَدْ خُتِمَ الْفَضْلُ بِهِ فَأَرْخُوهُ خَاتَمُ

وَالْمَقَرِّيُّ بِفَتْحِ الْيَمِ وَتَشْدِيدِ الْقَافِ وَآخِرُهَا رَاةٌ
مُهْمَلَةٌ ، وَقِيلَ بِفَتْحِ الْيَمِ وَسُكُونِ الْقَافِ لِقَتَانِ أَشْهُرُهُمَا
الْأُولَى - نِسْبَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى تِلْمَسَانَ وَإِلَيْهَا نِسْبَةٌ
آبَائِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ ، الدَّلِيلُ الْمُضْطَرُّ الْحَقِيرُ ، مَنْ هُوَ ^{المقدمة} مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَرِيٌّ ^(١) ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّهِيرُ بِالْمَقَرِيِّ الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ ، أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَهُ ، وَجَعَلَ فِي مَرْضَاتِهِ حِلَّهُ وَتَرَحَّالَهُ ، وَحَا بَغِيثِ الطَّاعَةِ وَالرُّضْوَانِ إِحْمَالَهُ ^(٢) ، وَأَنْجَحَ بُلُوغِ آمَالِهِ أَنْتَحَاءَهُ وَأَنْتَحَالَهُ

(أَحْمَدُ) مَنْ عَرَفَ مِنْ حُلِيِّ ^(٣) الْأَمْصَارِ وَعَلِيِّ ^(٤) الْأَعْيَانِ ، عَلَى تَدَاوُلِ الْأَعْصَارِ وَتَطَاوُلِ الْأَخْيَانِ ، مَا فِيهِ ذِكْرِي لِأُولَى الْأَبْصَارِ ، وَإِرْشَادُ إِلَى مَعْرِفَةِ الدِّيَانِ ، وَأُعْتِبَارُ بِأَخْبَارِ رَاعٍ وَصَفُهَا أَوْ رَاقٍ ^(٥) . « وَشَرَفَ » مَنْ صَرَفَ الْمَطَامِيحَ وَالْمَطَامِيْعَ إِلَى تَفْصِيلِ مَا أَفَادَ لِسَانُ الدِّينِ مِنْ كَلِمٍ جَوَامِعَ ، وَتَخْصِيْلِ

(١) مجرد (٢) الاعمال : الجذب (٣) ويصح أن يكون من حلى الأمصار وعلى الأعيان ، الأول جمع حلية ، والثاني جمع عليا ، يريد من أحسن المدن وأكابر الناس (٤) راق الشيء : حسن .

مَا أَجَادَ مِنْ حِكْمٍ بَوَالِغٍ^(١)، سُحْبُ بَلَغَتَهَا هَوَامِعُ^(٢)، وَأَقْنَاءُ
 ذَخَائِرِ الْمُهْتَدِينَ ، أَلَّتِي تَشَنَّفَتْ بِدُرَرِهَا اللَّوَامِعِ إِلَّا ذَانُ
 وَالْمَسَامِعِ ، مِنْ كُلِّ مُنْحَطٍّ عَنْ رُتْبَةِ الْبَرَاعَةِ أَوْ رَاقٍ^(٣) .
 « حَتَّى » تَوَجَّحَ الْخَطِيبُ الْمَجِيدُ رُؤُوسَ الْمَنَارِ بِفَرَائِدِ
 الْكَلَامِ ، وَحَلَّى الْكَاتِبُ الْمَجِيدُ صُدُورَ الْمَزَابِرِ^(٤) مِنْ
 فَوَائِدِ الْأَعْلَامِ ، وَكَحَلَ الْحَكِيمُ الطَّيِّبُ الْأَرِيبُ الْمُفِيدُ
 مِنْ إِيْمِدٍ^(٥) الْمَحَارِيرِ بِمَرَاوِدِ الْأَقْلَامِ عُيُونَ أَوْ رَاقٍ^(٦)
 « وَأَشْهَدُ » أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الَّذِي
 ابْتَدَأَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ وَبَرَأَ^(٧) ، وَقَسَمَ الْعِبَادَ إِلَى حَاضِرٍ وَبَادٍ

(١) جمع بالغة (٢) سحابة هامة وجمعها هوامع : غزيرة المطر (٣) راق
 من الرقي : أى مرتفع ، مقابل للنحط (٤) الكتب والرسائل - من الزبر
 وهو الكتابة (٥) نوع من الكحل (٦) جمع ورقة ما يكتب فيه . وفى قوله
 وكحل الحكيم الخ تشبيهات مؤكدة أضيف فيها التشبه به الى التشبه .
 فشبه الماهر بالامد ، والأقلام بالمراد ، والأوراق بالعيون ، ووجه التشبه فى
 الأخير أن صور الرئيات ترسم على شبكية العين كما تدون الكتابة
 على صفحة القرطاس ، وقد يكون أمداً لهما براستعارة لمدادها ، وقد يراد من
 عيون الأوراق مواضع الكتابة فيها . وقد ذكر ثلاث كلمات بلفظ « أوراق »
 الأولى فيها أو عاطفة وراق فعل ماض . والثانية فيها أو عاطفة أيضاً وراق
 اسم فاعل . والثالثة جمع ورقة على سبيل الجنس الذى هو أحد الحسنات
 البدعية اللفظية . وقد كانت مراعاة الحسنات فى الماضى من أنواع البراعة
 الانشائية . الا أن حياة اللغة قضت عليها (٧) برا : أى خلق ، وأصلها برا
 بالهمزة ، وحذفها للوازنة بينها وبين « الكبرا »

وَزَاهِرٍ وَخَامِلٍ ، وَقَاصِرٍ وَكَامِلٍ ، تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْأَنَامِلِ أَيْدَى
الْكُبَرَا . وَأَبْدَى فِي اخْتِلَافِ ذَوَاتِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ ،
وَتَبَايُنِ أَدَوَاتِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ ، وَتَغَايُرِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَمَكْنَتِهِمْ ،
وَأَزْمِنَتِهِمْ وَالْوَانِهِمْ وَأَكْوَانِهِمْ ، وَمَنَاصِبِهِمْ وَمَنَاسِبِهِمْ
عَبْرًا . وَجَعَلَ الدُّنْيَا لِمَنْ أُتِيحَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، وَلَبَسَ مِنْهُمْ
مُسُوحًا أَوْ حَبِيرًا ، وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ أَوْ صَعِدَ مِنْبَرًا ، جِسْرًا^(١)
إِلَى الْآخِرَةِ وَمَعْبَرًا . وَحَكَمَ - وَهُوَ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ - عَلَى
الْجَمِيعِ بِالْمَوْتِ ، فَكَانَ لِمُبْتَدئِهِمْ خَبَرًا ، فَيَأْتِيهِ مِنْ دَاءِ أَعْيَا
كُلِّ مُعَالِجٍ أَوْ رَاقٍ^(٢)

(فَسُبْحَانَهُ) مِنْ : إِلَهٍ أَنْفَرَدَ بِوُجُوبِ الْقَدَمِ
وَالْبَقَا ، وَأَخْتَصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ فَارْتَقَى ، وَعَمَّ « تَعَالَى »
ذَوَى السَّعَادَةِ وَالشَّقَا ، بِالْحُدُوثِ وَالْفَنَاءِ ، وَأَذَاقَ مِنْ
فِرَاقِ الدُّنْيَا كُلِّ مَنْ فِيهَا بَلَا أَسْتَشْنَأُ . فَمَنْ وَفَّقَ^(٣) فَتَنَى

(١) مفعول ثانٍ لجلد (٢) أو عاطفة ، وراق اسم فاعل من رقى
المريض رقية : عودته وقرأ له شبتا من القرآن أو غيره بقصد الشفاء ،
وهى مع ما تقدمها من الجنس اللفظي (٣) الأشبه بالسياق أن تكون
هذه الفاء مقحمة ومن وفق الخ بدل من قوله « كل من فيها » بدل بعض
من كل ، فصله به بين الفعل أذاق ، وبين مفعوله طعم شعوب ، ويكون المعنى :
وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها موفقا كان أو مخذولا طعم اللوت الكريه

عَنْ جَفْنِهِ وَسَنًا^(١) . أَوْ خُذِلَ ، فَجَرَّ فِي مَيْدَانِ الْأَعْتِرَارِ
رَسَنًا^(٢) ، وَزَيَّنَ لَهُ - عِيَادًا بِاللَّهِ - سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا
طَعَمَ شَعُوبَ^(٣) الْمَرْءِ الْجَنَى^(٤) . فَلَمْ يُغْنِ مِنْهُ عَنْ ذَوَى الْفَنَاءِ
وَالْفَنَى^(٥) ، وَأَهْلِ السَّنَاءِ^(٦) وَالسَّنَا^(٧) مَنْ اسْتَظْهَرُوا بِهِ مِنْ
أَرْبَابِ الصُّوَارِمِ^(٨) وَالْقَنَاءِ^(٩) ، وَأَصْحَابِ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ
وَالْجِدَالِ وَالْفَخْرِ وَالْمَدْحِ وَالْتِنَاءِ . فَأُولَئِكَ أَلْقَوْا السَّلَاحَ
مُذْعِنِينَ^(١٠) ، مُسْتَبْصِرِينَ مُوقِنِينَ ، إِذْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ وَوَلَّى الْأَمِيرَ^(١١) . وَهُوَ لَا تَرَكُوا الْأَصْطِلَاحَ مُعْلِنِينَ ،
عَالِمِينَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي التَّمْوِيهِ^(١٢) مُحْسِنِينَ . وَكَيْفَ لَا ؟
وَقَدْ أَضْمَحَلَّ الْفُرُورُ وَالْإِجْتِرَاءُ . وَذَهَبَ - وَاللَّهِ - الْجَوْرُ
وَالْإِفْتِرَاءُ^(١٣) ، وَبَدَّلَ مَذَقَ^(١٤) الْإِطْرَاءِ بِصِدْقِ الْإِطْرَاقِ

(١) الوسن النوم (٢) حبل تشد به الدابة في عنقها أو رأسها ، أو ما كان من
زمام على أنف (٣) اسم للنية وهي معرفة لا تنصرف (٤) الثمر (٥) الفناء بفتح
الفين وولد : الكفاية ، تقول في هذا غناء عن غيره . أي كفاية (٦) السناء
مدودا : الشرف (٧) السنامقصو راالنور (٨) جمع صارم وهو السيف القاطع
(٩) الزماح (١٠) الاذعان : التسليم والخضوع (١١) الشك . مقصور
المدود للموازنة بين القواصل (١٢) النفس والحئل وتصور الباطل في
سورة الحق (١٣) الكذب والبهتان (١٤) مذاق الود أي لم يخلصه .
والاطراء : المدح ، والمعنى بدل الثناء الزائف بالسكوت الصادق .

« وَأَشْكُرُهُ » جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَنْ عِلْمَ بِالْقَلَمِ مَا لَمْ
تَعْلَمْ ، وَنَبَّهَ بِأَثَرِهِ الدَّالَّةَ عَلَى اقْتِدَارِهِ إِلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ
الْأَقْوَمِ الْوَاضِحِ الْمَعْلَمِ ^(١) ، وَأَرْشَدَ مَنْ أَشْرَقَ فِكْرُهُ وَأَصَا ،
إِلَى التَّفْوِيزِ لِأَحْكَامِ الْقَضَا ، وَمَنْ ذَا يَرُدُّ مَا أَمْضَى ؟
أَوْ يَنْقُضُ مَا أَبْرَمَ ، وَالتَّسْلِيمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْلَمٌ . وَأَمَرَ
- جَلَّ أَسْمُهُ - بِالتَّذَبُّرِ ^(٢) فِي أَنْبَاءِ مَنْ مَضَى ، وَالنَّظَرَ فِي
عَوَاقِبِ أَحْوَالِ الَّذِينَ زَالَ أَمْرُهُمْ وَانْقَضَى ، مِنْ صُنُوفِ الْأُمَمِ ،
وَوَبَّخَ مَنْ دَجَا ^(٣) قَلْبُهُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ ذَلِكَ وَأَظْلَمَ ،
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اللَّهِ وَالْمُتَذَكِّرِ ، وَالسَّامِيِ وَالْمُتَفَكِّرِ ،
وَالنَّاجِيِ وَالْهَالِكِ الْمُتَحَيِّرِ ، وَالْدَّاجِيِ الْخَالِكِ وَالْمُشْرِقِ
الْثَّيِّرِ ، وَمَا يَسْتَوِي الظِّلُّ وَالْحُرُورُ ، وَالْحُزْنُ وَالشُّرُورُ
وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، ذُو النُّهْجَةِ وَالْإِشْرَاقِ .

« وَأَصْلِي » أَرْكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، هَدِيَّةٌ لِحَضْرَةِ سَيِّدِ
الْأَنَامِ ، وَلَبِنَةِ ^(٤) التَّمَامِ ، مَنْ زُوِيَتْ ^(٥) لَهُ مِنْ الْأَرْضِ

(١) العلامات والصوى (٢) التأمل والتفكير (٣) أظلم (٤) أى اللبنة
التي تم بها بناء صرح الدين (٥) زوى الشيء بزويه زيا : جمعه ، أى جمعت
له . وفى الحديث الشريف « زويت لى الأرض فأريت مشارقها
ومغاربها » .

الْمَغَارِبُ وَالْمَشَارِقُ، وَتَمَّ بِهِ نِظَامُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ الْعِظَامِ،
وَأَزَاحَ نُورُهُ الظُّلَامَ وَالضُّلَالَ، حَتَّى أَضَاءَتْ بِوَسْمِهِ^(١)
الْمَسَاجِدُ، وَأَزْدَانَتْ بِاسْمِهِ الْمَهَارِقُ^(٢)، وَالتَّقَى الْمُؤَقَّقُ
الْمُؤَافِقُ لِدَعْوَتِهِ يَدِ الْإِسْلَامِ. وَذَلِكَ شَأْنُ ذَوِي الْقُفُولِ
الرَّاجِعَةِ وَالْأَحْلَامِ^(٣)، غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ عَتَبٍ وَلَا مُتَرَقِّبٍ
لِلْعَلَامِ. فَأَمِنْ مِنَ الطَّوَارِقِ^(٤) وَالطَّوَارِقِ^(٥). وَتَمَّتْ
كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي اتَّضَحَ بُرْهَانُهُ لِدَى بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ
لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ الْإِعْلَامِ، وَعَلَتْ سَيْوْفُ تَوْحِيدِ الْمَلِكِ
الْعَلَامِ، مِنَ الْعَمَائِدِ الْمُفَارِقِ الْمُفَارِقِ^(٦)، وَخَضَبَتْهَا بِجَنَاءِ
النَّجِيعِ^(٧) أَلْرَفَرَاقِ.

« النَّبِيُّ » الْأُمِّيُّ الْأَمِينُ، الدَّاعِي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ إِلَى سُلُوكِ

(١) بَنَاتِيهِ - يُقَالُ وَسَمَهُ يَسْمُوهُ كَوَعْدِ إِذَا أَثَرُ فِيهِ بَكَى أَوْ نَحْوَهُ .
وَالرَّادُ أَنَّ الْمَسَاجِدَ أَضَاءَتْ بِفَضْلِ جِهَادِهِ وَتَأْيِيدِ اللَّهِ لَهُ (٢) جَمْعُ مَهْرَقٍ
وَهُوَ الصَّحِيفَةُ . فَارْسِي مَعْرَبُ (٣) جَمْعُ حِلْمٍ وَهُوَ الْعَقْلُ (٤) طَرَأَ عَلَيْهِ :
طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ ، وَالرَّادُ التَّوَازُلُ (٥) الطَّوَارِقُ جَمْعُ طَارِقٍ : وَهُوَ
مَنْ يَأْتِيكَ لَيْلًا (٦) جَمْعُ مَفْرَقٍ : وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَمَوْضِعُ فَرْقِ الشَّعْرِ ، أَيْ
عَلَتْ سَيْوْفُ التَّوْحِيدِ رُؤُوسَ الشُّرَكَائِ الْمَفَارِقِينَ لِمَجَاعَةِ الْإِسْلَامِ (٧) دَمُ
أَحْمَرٍ يَخَالُطُهُ سَوَادٌ .

مِنْهَاجٍ^(١) ، مَا لَهُ مِنْ هَاجٍ^(٢) ، ذِي أضواءٍ وشَوَارِقٍ ، سَيِّدِ الرُّسُلِ
الْفَرُّ الِّمَيَّامِينَ ، مَلَجًا الْأُمَّةَ ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ نَجَا بِاللَّجَا إِلَيْهِ
آمِينَ . الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، هَدَى لِلنَّاسِ وَيَنَاتٍ
مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، وَأَنْشَقَّ لَهُ الرُّبْرَقَانُ^(٣) ، وَنَبَعَ الْمَاءُ
مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ زِيَادَةً فِي الْإِيقَانِ^(٤) . وَسَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْجَارُ ،
وَأَنْقَادَتْ لِأَمْرِهِ الْأَشْجَارُ ، مُتَقِيَّةً^(٥) ظِلَالَهُ الشَّرِيفَةَ ،
وَحَطَّتْ فِي الْأَرْضِ أَسْطُرًا مُبْدَعَةً الْإِتْقَانِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ مُعْجَزَاتِهِ الْخَوَارِقِ^(٦) . فَهُوَ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ الْجَامِعَةِ^(٧) ،
وَالْبَرَاهِينِ اللَّامِعَةِ^(٨) ، وَالْأَدِلَّةِ الَّتِي سَقَتِ الشَّجَرَةَ الطَّيْبَةَ
غُيُوثُهَا النَّافِعَةُ الصُّبْيَةَ^(٩) ، الْهَامِيَةَ الْهَامِعَةَ ، الصَّادِقَةَ

(١) للنهاج : الطريق (٢) الهاجى : الزام . ولا يخفى ما بين منهاج الأولى
ومن هاج الثانية من الجنس ، ولبعض المتصوفة :

وصالككم مذهبي والحب منهاجى . فقول منهاج هذا الصب من هاجى
(٣) القمر (٤) اليقين وهو الاعتقاد الجازم عن دليل (٥) تفيأت الظلال
تقلبت ، وتفيأت أنا فى فيها . والفاء من فاء ، إذا رجع ، وهو ما بعد الزوال
من الظل ، سعى بذلك لرجوعه (٦) جمع خارقة . أى أن المعجزة هى آية
الرسول الدالة على صدقهم فيما يبالغونه عن ربهم ، وهى الأمر الخارق لناموس
العادة مع التعبدى بحيث يعجز البشر عن الاتيان بمثله (٧) أى أنه عليه
الصلاة والسلام مرسل الى الناس كافة قال تعالى : « وما أرسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا » (٨) الواضحة (٩) الصيب : السحاب ذو الصوب .
والصوب نزول المطر ، وبابه قال : والهامية ، والهامعة : السحاب الماطر .

الْبَوَارِقِ^(١) ، فَأَثَمَرَتِ النَّجَّاءَ وَالْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ ، وَأَوْرَقَتْ
بِالْهُدَى أَحْسَنَ إِرَاقٍ^(٢) .

« أَسْنَى^(٣) » رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَعْظَمُهُمْ جَلَالَةً
وَأَكْثَرُهُمْ تَابِعًا فِي الطُّولِ مِنْهَا وَالْعَرْضِ ، وَلِمَ لَا ؟ وَقَدْ
ظَهَرَ بِهِ الْحَقُّ لِمَنْ أَمَّهُ^(٤) مُسْتَرَشِدًا وَجَلَالَةً^(٥) ، وَأَسْمَى مَنْ
جَاءَ بِتَبْيِينِ السُّنَّةِ وَالْفَرْضِ ، وَأَعْظَمُهُمْ دَلَالَةً ، مُنْقِذُ الْبَرَايَا
فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْعَرْضِ ، أَلَا خِذْ بِحُجَزِهِمْ^(٦) عَنِ النَّارِ
وَالضَّلَالَةِ ، الدَّاعِي إِلَى تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَحُسْنِ الْقَرْضِ^(٧) ،
الْحَرِيصُ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ ، الْمُبْلَغُ لَهُمْ أَحْكَامَ الْحَقِّ ، مِنْ
غَيْرِ ضَجَرٍ وَلَا مَلَالَةٍ ، ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ
مِنْ أَهْلِ الْقَوْلِ اثْنَانِ ، وَالْمَجْدُ الصِّيمِ ، الثَّابِتُ الْأَصُولِ ،

(١) البرق الصادق ما أعقبه المطر (٢) مصدر أورق ، وأصلها اوراق
وقفت الواو ساكنة اثر كسرة فأبدلت ياء مثل ميلاد وميعاد وميقات
وميزان الخ (٣) من السناء : أى أشرف (٤) قصده (٥) وضع وبان ،
أى للمسترشد، وفيه تجنيس بينه وبين قوله (وأعظمهم جلاله) (٦) جمع
حجزة بوزن غرفة : معقد الازار . وحجزة السراويل أيضا التى فيها
التسكة وهومن الحديث فأنا آخذ بحجركم (٧) المراد العاملة ، أو
لمله عمل البر والاحسان لقوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له أضعافا كثيرة » .

الْبَاسِقِ^(١) الْأَفْزَانِ^(٢)، الْمُشْتَقَى^(٣) مِنْ مُحَمَّدٍ^(٤) مَعْدَنْ عَدَنَانَ،
الْمُتَّخَبُ مِنْ خَيْرِ غُنْصِرٍ وَأَطْهَرِ سُلَالَةٍ، شَفِيعُنَا وَمَلَاذُنَا،
وَعِصْمَتُنَا وَمَعَاذُنَا^(٥) وَمَائِلُنَا^(٦)، الَّذِي نَجَحَتْ بِهِ آمَالُنَا،
وَزَكَتْ^(٧) أَقْوَالُنَا وَأَعْمَالُنَا. وَوَسَّيْلَتُنَا الْكُبْرَى،
وَعُمْدَتُنَا الْعُظْمَى، فِي الْأُولَى وَالْآخِرَى، وَكَتَرْنَا الَّذِي
أَعْدَدْنَاهُ لِإِرَاحَةِ الْغُومِ ذُخْرًا، وَغَيْثُنَا وَغَوْثُنَا، وَسَيِّدُنَا
وَنَبِيَّنَا، وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ الطَّيِّبُ الْمُنَابِتِ^(٨) وَالْأَعْرَاقِ^(٩).
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَوَجَّهَ وَفُودَ التَّعْظِيمِ إِلَيْهِ، مِنْ مُفْرَدٍ
فِي جَمَالِهِ، صَارَ لَجَمْعِ الْأَنْبِيَاءِ تَمَامًا، وَفَذِ^(١٠) فِي كَمَالِهِ، تَقَدَّمَ
فِي حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ الَّتِي أُسِّسَتْ عَلَى التَّشْرِيفِ أَعْظَمَ
تَأْسِيسٍ بِالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا، وَصَدَرَ^(١١) تَحَلَّى بِجَمِيلِ الْأَوْصَافِ،
كَالْوَفَاءِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّدْقِ، وَالْإِنصَافِ، فَزَكَا فِي

(١) المرتفع (٢) جمع فن وهو النصف، كناية عن رفعة أصوله وفروعه
(٣) المختار (٤) الجرثومة والأصل والأرومة (٥) ملجؤنا (٦) ثمل القوم:
أغاثهم وأطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم (٧) خلصت وطهرت (٨) و (٩) للنابت
والأعراق: الأصول حيث ينبت الرجل وتمتد عروق أصوله إلى فروعه
(١٠) المنفرد (١١) عظيم يقدم في صدور المجالس لجلالته.

أَعْمَالِهِ ؛ وَبَلَغَ الرَّاجِيَ مُنْتَهَى آمَالِهِ ، وَلَمْ يُخْلِفْ وَعْدًا ،
وَلَمْ يَخْفَرْ^(١) دِمَامًا ، وَسَيِّدٌ كَسَى حُلْلَ الْعِصْمَةِ ، مِنْ كُلِّ
مُخَالَفَةٍ وَذَنْبٍ وَوَصْمَةٍ^(٢) ، فَلَمْ يَصْرِفْ لِقَبْرِ طَاعَةِ مَوْلَاهُ ،
الَّذِي أَوْلَاهُ مِنَ التَّفْضِيلِ مَا أَوْلَاهُ ، اهْتِبَالًا^(٣) وَاهْتِمَامًا ،
وَعَلَى آلِهِ وَعِثْرَتِهِ^(٤) الْفَائِزِينَ بِأَثَرَتِهِ^(٥) ، أَنْصَارَ الدِّينِ
وَالْمُهَاجِرِينَ الْمُهْتَدِينَ وَأَشْيَاعِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، الطَّالِعِينَ نُجُومًا فِي
سَمَاءِ شَهْرَتِهِ ، وَاتِّبَاعِهِمُ الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِ نُصْرَتِهِ . أَرْبَابَ
الْمَقْلِ الرَّصِينِ^(٦) ؛ الْقَائِمِينَ بِسُيُوفِ دَعْوَتِهِ أَبْوَابَ الْمَعْقِلِ^(٧)
الْحَصِينِ ، حَتَّى بَلَغَتْ أَحْكَامُ مِلَّتِهِ ، وَأَعْلَامُ بَعَثَتِهِ ، مَنْ
بِالْأَنْدَلُسِ وَالصِّينِ^(٨) ، فَضْلًا عَنِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
« وَرَضِيَ » اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ الْمُصَنِّفِينَ فِي جَمِيعِ

(١) خفر ذمته وذمامه : نكت عهد (٢) الوصمة ما يشين (٣) اهتبال
الفرصة : اغتنمها ، أى لم يدع فرصة في سبيل الله الا انتهزها (٤) عترة
الرجل : نسله ورهطه الاذنون (٥) الاثرة بفتححتين والاثارة من الشيء
بقية منه . أى الفائزين بأثاره الشريفة ، أو الاثرة هنا بكسر الهمزة وضمها
وسكون التاء من الاشارة أى التفضيل يقال فلان أثير عند فلان وذو اثره
اذا كان خاصا (٦) المحكم الثابت (٧) المعقل : الحصن ، والحصين
المنيع . والمراد به معقل الشرك الذى ثبتت دعائمه على تطاوُل الدهور
في القلوب ، أو يراد به الحصون الحقيقية التى فتحها المسلمون ويراد من
المعقل جنسه (٨) أى من المغرب والشرق .

الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ ، وَعُظَمَاءِ سُنَّتِهِ ، الْمُؤَقِّنَ لِلطَّلَابِ
بِالْأَرَابِ^(١) ، الْمُحَقِّقِينَ لَهُمُ الظُّنُونِ . وَحُكَمَاءَ شِرْعَتِهِ ،
الْمُبَصِّرِينَ بِمُحْدُوثِ مَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ ،
وَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْآثَاءُ وَالذُّهُورُ ، وَالْأَعْوَامُ وَالسَّنُونُ ،
الْمُتَدَبِّرِينَ فِي عَوَاقِبِ مَنْ كَانَ يَهْدِيهِ الْبَسِيطَةُ مِنَ السُّكَّانِ .
الْمُتَذَكِّرِينَ عَلَى قَدْرِ الْإِمْكَانِ بِمَنْ طَحَّتْهُ رَحَا أَلْمُنُونِ
مِنْ أَمْلَاكِ^(٢) الْمُصُورِ الْخَالِيَةِ ، وَمُلَاكِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ ،
وَذَوِي الْأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ بِسُلُوكِ الْإِخْتِلَافِ حَالِيَةٌ : مِنْ بَصِيرِ
وَأَعْمَى ، وَفَقِيرِ وَذِي نَعْمَى ، وَغُثَّالٍ^(٣) تَرَدَّى بِكِبَرِيَّائِهِ ،
وَمُغْتَالٍ عَلَى مَا يَأْتِيهِ النَّاسُ بِسُمْعَتِهِ وَرِيَّائِهِ ؛ وَغَافِلٍ أَحْسَنَ
الْعَمَلِ ، وَغَافِلٍ أَفْتَنَ بِالْأَمَلِ ، وَكَارِعٍ^(٤) فِي حِيَاضِ
الشَّرِيعَةِ ، وَرَاتِعٍ بِرِيَاضِ الْأَدَابِ الْمَرِيعَةِ^(٥) ، وَذِي وَرَعٍ
سَدَّ عَمَّا رَأَى الدَّرِيعَةَ^(٦) ، وَأَخِي طَمَعٍ فِي أَنْ يُدْرِكَ آرَابَهُ
مِنَ الدُّنْيَا الْوَشِيكَةِ^(٧) الزَّوَالِ السَّرِيعَةِ ، وَمُقْتَبِسٍ مِنْ
نَبْرَاسِ^(٨) الرُّوَايَةِ ، وَمُلْتَبِسٍ بِأَدْنَسِ الْغَوَايَةِ^(٩) ، وَشَاعِرٍ

(١) جمع أرب وهو للطلب والحاجة (٢) جمع ملك (٣) معجب
فخور (٤) كراع للواء : تناوله بفيه من موضعه ، كناية عن الإحاطة بتمام
الشريعة والعمل بها (٥) للريعة : الحصبة (٦) النريعة : الوسيلة (٧) الوشكة :
القرية (٨) النبراس بالكسر : اللصباح (٩) الغواية : الضلال والعمالة .

هَامَ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَقَالَ مَا لَمْ يَفْعَلْ ، فَكَانَ لِلْعَاوِينَ مِنْ
الرُّوَادِ^(١) ، وَجَاهِلٍ عَمَرَ الْخَرَابَ ، وَخُدِيعَ السَّرَابِ^(٢)
عَنْ أَغْذَبِ الشَّرَابِ ، وَمُحَقِّقِ عِلْمٍ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ عَمِيَ
الْبَصَرُ ، يَمْنُ كَانَ أَخْذَرُ مِنْ غُرَابٍ ، وَمُوقِقٍ تَيَقَّنَ أَنَّ
غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّ ، وَكُلَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ . وَمِنْ مُتَخَلِّقٍ
مُتَجَرِّدٍ تَصَوَّفَ ، وَمُتَعَلِّقٍ مُتَفَرِّدٍ تَشَوَّقَ إِلَى مَا فِيهِ رِضًا
الرَّبِّ وَتَشَوَّفَ^(٣) ، وَنَاهٍ ذِكْرَ بَيَّامِ اللَّهِ وَوَعْظَ وَخَوْفَ ،
وَلَاهِ اغْتَرَّ بِالْبَاطِلِ ، فَهُوَ بِالْحَقِّ مُمَاطِلٌ ، وَطَالَمَا أَخْرَهُ
وَسَوَّفَ^(٤) ، وَأَبْعَدَ الْإِتِّجَاعَ^(٥) ، ثُمَّ أَوَى مِنْ بَاطِنِهِ إِلَى يَنْتِ
قَعِيدَتُهُ^(٦) لِكَاعٍ ، نَفْسُ أَمَّارَةٍ بَعْدَ مَا طَوَّفَ ، وَمِنْ مَادِحٍ

(١) جمع رائد : وهو الذي يرسل في طلب الكلاء ، أى فكان دليل الضلالة
(٢) السراب : الذي تراه نصف النهار كأنه ماء (٣) تطلع الى الامر المرغوب
فيه (٤) التسويف : التأخير الى الزمن البعيد ، أى أخره قائلاً سوف أفعل
(٥) أطال الأمل . والاتّجاع أصله طلب الرعى (٦) قعيده الرجل
زوجه ، وامرأة لكاع أى لثيمة ، ورجل لكع . يريد أن اللاهى المخدوع
بالدنيا يطيل الأمل ويؤخر العمل تصحبه نفس لثيمة . وشبه هذه النفس
بالمرأة الخبيثة يأوى اليها الرجل بعد طوافه في طلب الرزق فتورثه وصبا
ونضيه عنتا ، قال الشاعر :

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى بيت قعيده لكاع

نَظَّمَ الْآلَاءَ^(١) نَظْمَ اللَّالِ^(٢) ، وَكَادِحٍ طَمَسَ لَآلَاءَ^(٣)
 الْغَزَّ بِظُلْمَةِ ذُلِّ الْأَسْوَالِ ، فَجَعَلَ الْقَصَائِدَ مَصَائِدَ ،
 وَالرَّسَائِلَ وَسَائِلَ ، وَالْمَقْطَعَاتِ مُرَقَّعَاتٍ ، قَالَ أَمْرُهُ إِلَى
 مَا آلَ^(٤) ، وَمِنْ مُخْبِرٍ بِمَا سَمِعَ وَرَأَى ، حِينَ اغْتَرَبَ عَنْ مَكَانِهِ
 وَنَأَى^(٥) ، أَوْ أَقَامَ فِي أَوْطَانِهِ فَبَلَغَ مَا قَدَّرَ وَوَأَى^(٦) ، وَمِنْ
 مُجَازِفٍ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْغَثِّ^(٧) وَالسَّيِّئِ^(٨) وَالْإِمْرَارِ^(٩)
 وَالْإِخْلَاءِ^(١٠) ، وَعَارِفٍ ثِقَةٍ أَمِينٍ ، نَظَّمَ دُرَّ الصَّدَفِ الشَّيْنِ فِي
 أَسْلَاكِ الْكِتَابَةِ وَالْإِمْلَاءِ ، وَعَاشِقٍ خُنْسَاءَ^(١١) فَكَّرِهِ ذَاتُ
 الصَّدَارِ^(١٢) مِنَ الشُّجُونِ وَالشُّعَارِ ، تَبْكِي عَلَى صَخْرِ قَلْبِ
 الْمَحْبُوبِ . وَتَذْكُرُهُ كُلَّمَا طَلَعَتْ شَمْسُ أَوْ كَانَ

٠ (١) جمع الى وهي النعمة ، وفي التنزيل « فبأى آلاء ربكم اتكذبان »
 أى بأى نعمة : مثل معى وأمعاء وحشا وأحشاء (٢) اللال : جمع لؤلؤة
 (٣) اللالاء : الاشراق والضياء . شبه به الغز ، كما شبه ذل السؤال
 بالظلمة (٤) أى الى مآل شر مآل (٥) بعد (٦) وعد : أى أدرك
 ما قدره وفعله في نفسه ووعداها به من الآمال (٧) الهزيل (٨) الضخم
 (٩) مصدر أمر الشيء صار مرا (١٠) مصدر أحلى (١١) الخنساء أخت
 صخر الشاعرة المشهورة بالبكاء (١٢) الصدر : قيص يغشى الصدر
 بلاكمين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ، والشعار ما يلبس على
 الجسد فيلانس الشعر

لِلصَّبَا^(١) هُبُوبٌ ، فَتَأْتِي بِمَا يُطْغِي وَفُودَ الْجَوَى الْمَشْبُوبِ^(٢)
 مِنْ بَحَارِ الْأَشْعَارِ ، وَلَيْلَى شَوْفِهِ الْعَفِيفَةُ عَنِ الْعَارِ ، تَرْفُلُ
 فِي ثَوْبٍ مِنَ التَّصْبُرِ مُعَارٍ^(٣) ، وَقَيْسُ تَوْفِهِ^(٤) مِنْ ثَوْبِ
 السَّلْوِ عَارٍ ، قَدْ تَوَلَّهَ وَأَشْتَقَ ، خُصُوصًا عِنْدَ انْتِشَاقِ^(٥)
 الْبَشَامِ^(٦) وَالْعُرَارِ ، وَقَلِقَ لَمَّا أَرِقَ فَلَمْ يَقَرَّ بِهِ قَرَارٌ ،
 فَأَعْتَرَاهُ مَا بَرَّاهُ^(٧) ، وَالْفِ الْبُكَاءِ بِحُكْمِ الْإِضْطِرَارِ ،
 وَلَيْسَ ثِيَابَ النُّحُولِ وَالْإِضْفِرَارِ ، وَأَسِرَ لَمَّا هُزِمَتْ
 جِيُوشُ صَبْرِهِ ، وَأَزْمَعَتِ الْفِرَارَ ، فَتَحَيَّرَ مِمَّا شَجَّاهُ ، وَسَالَ
 النَّجَاءَ مِنْ أَسْرِ الْفِرَاقِ :

سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْخُطُوبُ ظَ فَلَا عِتَابَ وَلَا مَلَامَةَ
 أَعْمَى وَأَعْشَى^(٨) ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاءُ^(٩) الْيَمَامَةِ

(١) الصبا : ريح الشمال (٢) للتقد : تقول شببت النار اذا أذكيها
 (٣) من المارية (٤) التوق : شدة الشوق (٥) الشم والاستيف (٦) البشام
 والعرار : من نباتات بلاد العرب كالسبيح والقيصوم يذكرونها في أشعارهم
 (٧) أهرله وأضناه (٨) الأعشى : النى لا يبصر ليلا (٩) هي حسنام
 الجديسية وكانت تبصر مدى ثلاثة أيام كما يقولون ، فصارت مضرب للثل
 في حدة البصر ، فيقال أبصر من زرقاء اليمامة ، وفي جمهرة الامثال قصتها
 مبسطة مشروحة

وَمُسَدَّدٌ^(١) أَوْ جَارِدٌ^(٢) أَوْ حَاطِرٌ يَشْكُو ظُلَامَهُ^(٣)
لَوْ لَا اسْتِقَامَةُ مَنْ هَذَا هُ لَمَا تَبَيَّنَتْ الْعِلَامَةُ
وَتُجَاوِرُ الْفَرَرِ^(٤) الْمَخِيفِ لَهُ الْبِشَارَةُ بِالسَّلَامَةِ
وَأَخُو الْحَجَا^(٥) فِي سَائِرِ الْأَنْفَاسِ مُرْتَقِبٌ حِمَامَهُ^(٦)
وَكَأَمْضَى مَنْ قَبْلَهُ يَمْضِي وَلَمْ يَقْضِ التَّزَامَةَ^(٧)
وَالْجَاهِلُ الْمُفْتَرُّ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ التَّقْوَى اغْتِنَامَةً
فَذِيرُفُضِ الْإِصْيَانِ مَنْ يَخْشَى مِنَ اللَّهِ اتِّقَامَةً
وَلْيَعْتَبِرْ بِسِوَاهُ مَنْ لِصَلَاحِهِ صَرَفَ أَهْتِمَامَهُ
فَالْعِيشُ فِي الدُّنْيَا الدَّيَّيَّةُ غَيْرُ مَرْجُوٍّ الْإِدَامَةُ
مَنْ أَرْضَعَتْهُ تَدْيِيهَا فِي سُرْعَةٍ تُبْدِي فِطَامَةً
مَنْ عَزَّ جَانِبُهُ بِهَا تَنْوِي عَلَى الْفَوْرِ اهْتِضَامَةً^(٨)
وَإِذَا نَظَرْتَ فَأَيْنَ مَنْ مَنَعَتْهُ أَوْ مَنَحَتْ مَرَامَهُ^(٩)؟

(١) سالك طريق السداد (٢) أى الحائد عن الهج القويم (٣) أى للظلمة
(٤) الفرر بفتحين : الخطر (٥) أى المقل (٦) أى اللوت (٧) أى ماوجب
عليه ولزومه (٨) اهتضمه : ضامه وأذله (٩) أى مايطلب ويرجو . وقد تنازع
اللفعول كل من الفعلين منعت ومنحت : أى أين من مننوا مطالبهم ومن
منحوها ؟ ذهب كل الى الفناء .

وَمَنِ الَّذِي وَهَبَتْهُ وَصَ لَا تُنْمِمْ أَنْ يَخْنَسَ أَنْصِرَامَهُ^(١) ؟
وَمَنِ الَّذِي مَدَّتْ لَهُ حَبَلًا فَلَمْ يَخَفِ أَنْفِصَامَهُ^(٢) ؟
كَمْ وَاحِدٍ غَرَّتْهُ إِذْ سَرَّتْهُ خُفْيَةُ الدَّمَامَةِ^(٣) ؟
قَعَدَتْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ فَلَمْ يَمْلِكْ قِيَامَهُ
أَيْنَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَانَتْ بِهَا ذَاتَ أَسْتِهَامَةٍ^(٤) ؟
أَيْنَ الَّذِينَ تَقَيَّمُوا^(٥) ظِلَّ السِّيَادَةِ وَالزَّعَامَةِ^(٦) ؟
أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُووُ الرِّيَا سَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالصَّرَامَةِ^(٧) ؟
وَبَنُو أُمَيَّةَ حِينَ جَمَعَ عَصَرُهُمْ لَهُمْ فِتْنَامَهُ^(٨) ؟
وَتَحَكَّنُوا مِمَّنْ يُحَا وَلِ تَقَضَّ مَا شَاءُوا أَنْبِرَامَهُ^(٩) ؟
وَتَعَشَّقُوا لَهَا بَدَا لَهُمْ مُحْيَا الْأَرْضِ شَامَهُ^(١٠) ؟

(١) أى انقطاعه (٢) فصم الشيء : قطعه من غير أن يبين (٣) الدمامة : قبيح الصورة . أى سرته بزخرف ظاهرها الذى أخفى عن الأعين قبيحها قال الحسن بن هانئ :

إذا اختبر الدنيا لبيب نكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق
(٤) الولع والحب (٥) أى استظلوا بوارف ظل الرياسة والسلطان
(٦) الزعامة : الرياسة (٧) البأس والشدة (٨) الفئام : الجماعة من الناس لا واحده من لفظه (٩) أى قتله ، أى تغلبوا على معارضهم (١٠) الشامة : نقطة سوداء فى البشرة تغاير لونها ، قيل هى الحال ، وقيل ان الحال نقطة سوداء بارزة وقد ينبت فيها الشعر ، والشامة نقطة سوداء بمساواة الجلد . والمراد أن الأرض زينت لهم وحسنت فى أعينهم كما يحسن موقع الشامة من النظر

وَتَأْمَلُوا وَجْهَ الْبَسِيطَةِ فَانْتَوَى هُوَ وَنَشَامَهُ (١)
 حَتَّى تَقْلَصَ ظِلُّهُمْ وَأَرَاهُمْ الدَّهْرُ اخْتِرَامَهُ (٢)
 أَيْنَ اخْتِلَافُ مِنْ بَنِي آلِ عَبَّاسٍ وَالْبُرُ الْقِسَامَةُ (٣)؟
 أَيْنَ الرَّشِيدُ وَأَهْلُهُ وَبَنُوهُ أَصْحَابُ الشُّهَامَةِ؟
 وَوَزِيرُهُ يَخْيِي وَجْهَ فَرُّ ابْنِهِ الرَّاويِ اخْتِشَامَهُ
 وَالْفَضْلُ مُدْنِي مَنْ يَقُو لُ لِمَنْ يَلُومُ عَلَى النَّدَى مَه (٤)
 أَمْ أَيْنَ عَنَتُهُ (٥) الشُّجَا عُرُوذُ الْجَدَا كَمَب (٦) بِنُ مَامَةِ؟
 وَالزَّاعِمُونَ بِجَهْلِهِمْ أَنْ الْقُبُورَ صَدَى (٧) وَهَامَهُ
 وَالْمُكْتِرُونَ مِنَ الْمُجُودِ (٨) نِ إِذَا شَكَالْفِكْرُ اغْتِمَامَهُ
 أَيْنَ الْفَرِيضُ وَمَعْبَدُ أَوْ أَشْعَبُ وَأَبُو دُلَامَةِ؟
 أَيْنَ الْأَلَى هَامُوا بِسَمَةِ دَى (٩) أَوْ بُنْيَنَةُ أَوْ أُمَامَةِ؟
 وَبَكَوْا لِفِرْطِ جَوَاهِمُ وَاللَّيْلُ قَدْ أَرْخَى ظِلَامَهُ

(١) أى بلاد الشام حيث اتخذوا دمشق قاعدة ملكهم (٢) اخترتهم الدهر
 واخترمهم النية : هلكوا (٣) لعلها محرفة عن : والقر القسامة الفر جمع أغر
 هو الأبيض . والقسامة : الحسن (٤) مه . أى اكفف ، اسم فعل (٥) عنتره
 العبسي فارس من فرسان الجاهلية وشاعر من أصحاب الماعقات مشهور معروف
 (٦) بلغ من جوده أن أثر بنصيبه في الماء حتى مات ظمأ (٧) الصدى : قبل
 هو والهامه سواء ، وهو طائر صغير تزعم العرب أنه يخرج من رأس الليث (٨) أى
 الهزل والمزح (٩) هؤلاء أسماء معشوقات تغزل فيهن الشعراء وشبهوا بهن

وَتَبَيَّنُوا آثَارَ مَنْ عَشِقُوا بَنَجْدٍ أَوْ تِهَامَةَ
وَتَعَلَّلُوا - وَالشَّوْقُ يَنْ لِبُّ - بِالْأَرَاكِهَ^(١) وَالْبَشَامَةَ
أَضْنَى النَّوَى قَيْسًا فَقَا سَى لَاعِجًا^(٢) أَغْرَى غَرَامَةَ
وَعَوَى هَوَى غِيلَانَ^(٣) مُذْ أَبْدَى بِجَمِيَّتِهِ هِيَامَةَ
أَيْنَ الْأَكَاكِسِرُ وَالْقِيَا صِرَّةُ الْمُجَلُونَ^(٤) أَلْفَمَامَةَ؟
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ^(٥) مِنْ بُنْيَانِهِ الْخَاكِ اعْتَرَامَةَ
أَمْ أَيْنَ غُمْدَانٌ وَسِيءٌ فَوْ وَالْوُفُودُ بِهِ أَمَامَةَ؟
أَيْنَ الْخُورَتَقُ وَالسِّدِ يَرْ^(٦) وَمَنْ شَفَى بِهِمَا أَوَامَةَ؟
وَمَدَائِنُ الْإِسْكَندَرِ أَلَّا لَلَاتِي لَهَا أَعْلَى دِعَامَةَ

(١) الأراك والبشام : نوعان من الشجر يستاك بهما ، وأراد بالأراكة
والبشامة سواك المحبوبة يتعلل بهما الحب (٢) أى حرقه الهوى . وقيس
هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى (٣) غيلان ذوالرمة ومعشوقته
مية (٤) جلى : كشف . والنفامة : السعابة . أى الكاشفون للكرب
(٥) كشف من الأهرام حتى الآن أربعة . الا أن شعراء الماضى
يذكرون الهرمين هرم خوفو . وهرم خفرع . قال أبو الطيب المتنبي :
أين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع ؟
(٦) الخورنق والسدير : قصران للنعمان تذكروهما الشعراء كثيرًا قال الاسود بن يعفر :
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سندان
وقال المنخل :

وإذا سكرت فاني رب الخورنق والسدير

وقال غيره :

أبعد المنذرين أرى سوا ما تروح بالخورنق والسدير

أَيْنَ الْخُصُونُ وَمَنْ يَصُو نُبَاهَا مِنَ الْأَعْدَا حُطَامَةً
 أَيْنَ الْمَرَائِبُ ^(١) وَالْمَوَا كِبُ ^(٢) وَالْمَصَائِبُ وَالْعِمَامَةُ
 أَيْنَ الْعَسَا كِرُ ^(٣) وَالْدَسَا ^(٤) كِرُ ^(٥) وَالنَّدَامَى ^(٦) فِي الْمُدَامَةِ
 وَسُقَاتَهَا الْمُتَلَاعِبُو نَ بِلْبٍ مَنْ أَعْطَوْهُ جَامَةً ^(٧)
 مِنْ كُلِّ أَهْيَفٍ ^(٨) يَزْدَرِي بِالْفَضْلِ إِنْ يَهْزُزُ قَوَامَةً
 ذِي غُرَّةٍ ^(٩) لَأَلَاؤُهَا تَمْخُو عَنِ النَّادَى ظَلَامَةً
 فَالْشَّمْسُ فِي أَزْرَارِهِ ^(١٠) وَالْبَدْرُ فِي يَدِهِ قَلَامَةً ^(١١)
 يُصْنِي الْقُلُوبَ ^(١٢) إِذَا رَمَى عَنْ قَوْسٍ حَاجِبِهِ سِهَامَةً
 وَيَرُوقُ حُسْنًا إِنْ رَنَّا ^(١٣) وَيَفُوقُ آرَامًا ^(١٤) بِرَامَةً
 أَنَّى لَهَا تَغَرُّ حَلَا ذَوْقًا لِمَنْ رَامَ التَّثَامَةَ
 أَنَّى لَهَا وَجْهٌ يَشْبُ بِقَلْبٍ مُبْصِرِهِ ضِرَامَةَ

(١) أى مراكب الملوك وما عليها من حلية (٢) اللواكب جمع موكب وهم الجماعة من الناس - والقوم الركوب للزينة والتنزه (٣) جمع دسكرة . وهى القرية والملاهى ، أو بناء كالفصر حوله بيوت تجتمع فيه الشطار (٤) جمع نديم : جليس الرجل على الشراب (٥) الجام : الكأس (٦) مخطف الحصر ناحله (٧) أى صفحة الجبين (٨) كناية عن جسمه ووجهه كما يقول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد رزأزراره على القمر

(٩) فلامه الظفر : ما يقص منه (١٠) أصمى الفريسة : قتلها فى مكانها (١١) أى نظر (١٢) جمع رمم : وهو الطي ، وظباء رامة من أجل الظباء

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلَّهِ وَلَا يَرَى الشَّرْعُ أُغْيَامَةً ^(١)
 بَلْ أَيْنَ أَرْبَابُ الْعُلُو مِ أُولُو النَّصْدِرِ وَالْإِمَامَةِ
 وَذَوُو الْوِزَارَةِ وَالْحِجَابِ بَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْعَلَامَةِ
 كَأَيْمَةٍ سَكَنُوا بِأَنْزِ مَدْلُسٍ فَلَمْ يَشْكُوا سَامَةً
 هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ أَذْكَرَتْ دَارَ الْمَقَامَةِ ^(٢)
 لَا سِيَّمَا غُرْنَاطَةَ أَا مَرَّاءَ رَائِقَةِ الْوَسَامَةِ ^(٣)
 وَهِيَ الَّتِي دُعِيَتْ دِمَشَقَ قَ وَحَسْبُهَا هَذَا فَخَامَةً
 لِيُرْوَلَ أَهْلِيهَا بِهَا إِذْ أَظْهَرَ الْكُفْرَ أَنْهَرَامَةً
 وَأَتَتْ جُيُوشُ الشَّامِ مِنْ بَابِ نَقَى الْفَتْحِ أَنْبِيَامَةً
 فَسَلُّوا بِهَا عَنْ جِلْقٍ ^(٤) إِذْ أَشْبَهَتْهَا فِي الضَّخَامَةِ
 وَبَدَأَ لَهُمْ وَجْهَ الْمُنَى وَأَرَاهُمُ الشَّرْعُ ابْتِسَامَةً
 وَتَبَسَّوْا وَهَا حَضْرَةٌ تُبْرِى مِنَ الْمُنَى سَقَامَةً
 بِرُؤَايَاهَا وَبِمَسَائِلِهَا وَهَوَائِهَا النَّافِي الْوَخَامَةِ ^(٥)
 وَرِيَاضِهَا الْمُهْتَزَّةِ أَا أَعْطَافٍ مِنْ شَدْوِ الْحَمَامَةِ ^(٦)

(١) اعتيابه : اختياره (٢) دار المقامة : الجنة (٣) الوسامة : الحسن

(٤) اسم لدمشق (٥) أى النقي (٦) شدة الحام تشدو : غنت ورجعت

وَبِمَرْجَمًا^(١) النَّضْرَ الَّذِي قَدْ زَيْنَ اللَّهُ أَرْتِسَامَهُ
وَقُصُورَهَا الزُّهْرَ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْحُسْنُ أَنْفِيسَامَهُ
يَالَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ مَنْ أَمَضَى بِهَا الْمَلِكُ أُخْتِكَامَهُ
وَأَبِيعَ فِي خَمَرَاتِهَا عِزًّا بِهِ زَانَ أَنْسَامَهُ
أَيْنَ الْوَزِيرُ أَيْنَ^(٢) الْخَطِيبُ بِهَا فَمَا أَخْلَى كَلَامَهُ ؟
فَلَكُمْ أَبَانَ الْعَدَلِ فِي أَرْجَائِهَا وَبِهَا أَقَامَهُ
وَلَكُمْ أَجَارَعِدًا ، وَكَمْ أَجْرَى نَدَى وَالَى أَنْسِجَامَهُ ؟
رَاعَتْ^(٣) صُرُوفُ الدَّهْرِ دَوَّ لَتَهُ وَمَا رَاعَتْ^(٤) ذِمَامَهُ
حَتَّى تَوَى إِثْرَ التَّوَى^(٥) فِي حُفْرَةٍ تَثَرَتْ نِظَامَهُ
مَنْ زَارَهَا فِي أَرْضٍ فَاسِيٍّ أَذْهَبَتْ شَجْوًا مَنَامَهُ
إِذْ تَبَهَّتْ لِكُلِّ شَيْءٍ شَتَّى الْمَوْتُ أَلْتَامَهُ
هَذَا لِسَانَ الدِّينِ أَسْكَنَهُ وَأَسْكَنَهُ رِجَامَهُ^(٦)
وَحَمَا عِبَارَتَهُ فَمَنْ حَيَّاهُ لَمْ يَرُدُّ سَلَامَهُ
فَكَأَنَّهُ مَا أَمْسَكَ الْقَلَمَ الْمُطَاعَ وَلَا حُسَامَهُ

(١) المرج : مرعى الدواب ، ويريد به هنا مرج راهط وهو بنواحي دمشق وأشهر الروج في الشعر (٢) هولسان الدين بن الخطيب صاحب الصفات الجلية (٣) أى أخافت . من الروع (٤) راعت : من المراجعة (٥) التوى : الهلاك (٦) أى القبر .

وَكَاَنَّهُ لَمْ يَلِدْ مَتَّ نَ مُطَهَّمٍ ^(١) بَارَى النِّعَامَةَ
وَكَاَنَّهُ لَمْ يَرْقَ غَا رَبِّ ^(٢) الْإِعْتِرَازِ وَلَا سِنَامَةَ
وَكَاَنَّهُ لَمْ يَجُلْ وَجْهَ مَا حَازَ مِنْ بَشِيرِ تَنَامَةَ
وَكَاَنَّهُ مَا جَالَ فِي أَمْرِ وَلَا نَهْيِ وَسَامَةَ ^(٤)
وَكَاَنَّهُ مَا نَالَ مِنْ مَلِكٍ حَيَاةٍ ^(٥) وَلَا أُخِيرَامَةَ
وَكَاَنَّهُ لَمْ يُلْقَ فِي يَدِهِ لِتَذِيرِ زِمَامَةَ
مُذْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَقَوَّ ضَ عَنْ مَنَازِلِهَا خِيَامَةَ
أَمْسَى بِقَبْرِ مُفْرَدًا وَالتَّرْبُ قَدْ جَمَعَتْ عِظَامَةَ
مِنْ بَعْدِ تَنْنِيَةِ الْوَزَا رَةٍ جَادَهُ صَوْبُ الْغَنَامَةَ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ كَالزَّهْرِ مُفْتَرَّ الْكِمَامَةَ
وَالْمَمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ ^(٦) لَيْسَ لَهُ إِقَامَةُ
وَالْمَوْتُ حَتْمٌ ثُمَّ بَهْ دَ الْمَوْتِ أَهْوَالُ الْقِيَامَةَ
وَالنَّاسُ مَجْزِئُونَ عَنْ أَعْمَالٍ مِثْلِ وَأُسْتِقَامَةَ
فَذَوُوا السَّادَةِ يَضْحَكُوا نَ وَغَيْرُهُمْ يَبْكِي نَدَامَةَ

(١) جواد مطهَّم . أصيل (٢) بارى النعمة : حا كاهاني العدو . وفي النعمة
هنا تورية تحتل النعمة العروفة اذ يقولون : أعدى من نعمة ، ويحتمل
النعمة اسم فرس مشهورة كانت للحارث بن عباد (٣) غارب الشيء : أعلاه
(٤) سامه : قدره (٥) أى عطائه (٦) الطيف : الصورة تعرض في المنام

وَاللَّهُ يَفْعَلُ فِيهِمْ مَا شَاءَ ذُلًّا أَوْ كَرَامَةً
وَيُسَفِّعُ الْمُخْتَارَ فِيهِ مِنْ حِينَ يَبْعَثُهُ مَقَامَةً
وَعَلَيْهِ خَيْرُ صَلَاتِهِ مَعَ صَحْبِهِ تَتَلَوُ سَلَامَةً
وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَدَأَ بَرَقَ الرَّشَادُ لَهُ فَشَامَةٌ^(١)
مَا فَازَ بِالرُّضْوَانِ عِبَادُكَ كَانَتْ الْحُسْنَى خِتَامَةً
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ فِي الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ كَرَمًا
مِنْهُ وَحِلْمًا . فَيَبْدِيهِ الْخَيْرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ،
الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ، الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى الشُّمُولِ
وَالِاسْتِغْرَاقِ .

« أَمَّا بَعْدُ » حَمْدًا لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ
الْمُنْجَى مِنَ الْهَلَكِ ، وَالرُّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَجَلَّتْ
بِأَنْوَارِهِمُ الظُّلُمُ الْهَلَكُ . وَعَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، الْخَائِضِينَ
بِحَارِ الْكَلَامِ ، الْمُسْتَوِينَ^(٢) مِنْ أَبْلَاغَةِ عَلَى الْفَلَكَ .
« فَيَقُولُ » الْعَبْدُ الْخَقِيرُ ، الْمَذْنِبُ الَّذِي هُوَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ

(١) شام البرق : نظرا ليه (٢) أى التمكنين منها من قوله تعالى : « فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك » الآية .

الَّتِي قَعِيرُ، الْمُقَصَّرُ الْمُتَبَرِّئُ مِنَ الْخَوْلِ وَالْقُوَّةِ، الَّتِي تَمَسُّكَ
بِأَذْيَالِ أَخْدَمَةِ السَّنَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ أَمَانٍ وَبَرَاءَةٍ.
الضَّعِيفُ الْفَانِي الْخَطَاءُ الْجَانِي، مَنْ هُوَ مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى
عَرِي، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الشَّهِيرُ بِالْمَقَرِّيِّ الْمَغْرِبِيِّ
الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ، التَّلَمِسَانِيُّ الْمَوْلِدِيُّ وَالْمُنَشِئِيُّ وَالْقَرَاءَةُ.
نَزِيلُ فَلَسِ الْبَاهِرَةِ، ثُمَّ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ، أَصْلَحَ اللَّهُ أَحْوَالَهُ
الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَجَعَلَهُ مِنْ ذَوِي الْأَوْصَافِ الزَّكِيَّةِ
وَالْخِلَالِ الطَّاهِرَةِ، وَسَدَّدَ فِي كُلِّ قَصْدٍ أُنْجَاهَهُ وَآرَاءَهُ.
وَوَقَّعَهُ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالطَّاعَاتِ النَّاجِحَةِ
الرَّاجِحَةِ، وَالْمَتَاجِرِ الْمَغْبُوطَةِ الرَّابِحَةِ، وَالْمَسَاعِي الْعَادِيَةِ
بِالْخَيْرِ الرَّائِحَةِ، وَوَقَّاهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَكَفَّاهُ مَكْرَ
الْكَائِدِ وَأَفْتَرَاءَهُ، وَجِدَالَ الْخَاسِدِ الْمُسْتَأْسِدِ^(١)، وَمِرَاءَهُ،
وَجَعَلَ فِيهِمَا يُرْضِيهِ سَوْمُهُ وَشِرَاءُهُ. آمِينَ. إِنَّهُ لَمَّا قَضَى الْمَلِكُ
الَّذِي لَيْسَ لِعَبِيدِهِ فِي أَحْكَامِهِ تَعَقُّبُ أَوْ رَدُّ^(٢)، وَلَا عَيْدَ عَمَّا
شَاءَهُ سِوَاكَ كَرِهَ ذَلِكَ الْمَرَّةَ أَوْ رَدُّ^(٣)، بِرِخْلَتِي مِنْ بِلَادِي

(١) أي الضاري . ومراؤه : جدله (٢) و (٣) الأنسب بالفواصل والمعنى
أن تكون الأولى أوراد . والثانية كره ذلك للمرء أو أراد .

وَتَقْلِي عَنْ مَحَلِّ طَارِفِي^(١) وَتَلَادِي^(٢) بِقُطْرِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ،
الَّذِي تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ لَوْلَا أَنَّ سَمَابِرَةَ الْفِتَنِ سَامَتْ بِضَائِعِ
أَمْنِهِ تَقْصًا ، وَطَمًا بِهِ بَحْرُ الْأَهْوَالِ فَاسْتَعْمَلَتْ شُعْرَاءَ
الْعَيْثِ^(٣) فِي كَامِلِ رَوْتِقِهِ مِنَ الزَّحَافِ^(٤) إِضْمَارًا وَقَطْمًا
وَوَقْصًا .

قُطْرُ كَأَنَّ نَسِيمَهُ نَفَحَاتُ كَافُورٍ وَمِسْكٍ
وَكَأَنَّ زَهَرَ رِيَاضِهِ دُرٌّ هَوَى مِنْ نَظْمِ سِلْكٍ
وَذَلِكَ أَوَاخِرَ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ بَعْدَ
الْأَلْفِ ، تَارِكًا الْمَنْصِبَ وَالْأَهْلَ وَالْوَطْنَ وَالْإِلْفَ .

بَلَدٌ طَابَ لِي بِهِ الْأَنْسُ حِينًا
وَصَفَا الْعُودُ فِيهِ وَالْإِبْدَاءُ

فَسَقَتْ عَهْدَهُ الْعِمَادُ^(٥) وَرَوَتْ
مِنْهُ تِلْكَ التَّوَادِي الْأَنْدَاءُ

(١) أى للمال الجديد (٢) أى القديم (٣) أى الفساد (٤) الزحاف والاضمار والقطع والوقص : عيوب من عيوب الشعر . يريد أن الأهوال والحوادث فى الأندلس مكنت ذوى الفساد أن ينقصوا من محاسنه بعد أن كانت تامة وأن يشوهوا من جماله بعد أن كان كاملا . وفى الألفاظ : بحر ، شعراء كامل ، وزحاف الخ توجيهه من اصطلاح العروض . والاضمار والوقص والقطع من الزحاف الذى يدخل فى بحر الكامل (٥) أى السحاب .

وَمَا عَسَى أَنْ أَذْكَرَ فِي إِقْلِيمٍ ، تَمَيَّنَ لِحُجَّةٍ فَضْلُهُ
التَّسْلِيمُ

أَضْوَاؤُهُ طَبَقُ الْمَنَى وَهَوَاؤُهُ
يَشْتَاقُهُ أَوْلَاهَانُ فِي الْأَسْحَارِ

وَالطَّبَعُ مُعْتَدِلٌ فَقُلْ مَا شِئْتُهُ

فِي الظِّلِّ وَالْأَزْهَارِ وَالْأَنْهَارِ

مَحَلُّ فَتْحِ الْكَمَائِمِ ، وَمَسْقِطِ الرُّؤْسِ^(١) ، وَقَطْعِ

التَّمَائِمِ^(٢)

بِهِ كَانَ الشَّبَابُ اللَّذَنُ غَضًّا

وَدَهْرِي كُلُّهُ زَمَنَ الرَّيِّعِ

فَفَرَّقَ يَنِينًا زَمَنُ خُتُوفِ

لَهُ شَمَفٌ بِتَفْرِيقِ الْجَمِيعِ

لَمْ أَنْسَ تِلْكَ النَّوَاسِمَ ، الَّتِي أَيَّامُهَا لِلْعُمَرِ مَوَاسِمُ ،

وَتُغَوَّرُهَا بِالشَّرُورِ بَوَاسِمُ ، فَصِرْتُ أَشِيرُ إِلَيْهَا وَقَدْ زُمْتُ

(١) أى : وطن ميلاده (٢) جمع تيممة : ما يعلق على الطفل وقاية من

العين ، وتقطع التمام إذا شب الغلام ، قال الشاعر :

بلاد بها حل الشباب تيممى وأول أرض مس جلدى ترابها ،

ويروى : بلاد بها عى الشباب تيممى .

لِلرَّحِيلِ الْقُلُصُ الرُّوَاسِمُ^(١)
وَلَنَا بِهَاتِيكَ الدِّيَارِ مَوَاسِمُ
كَانَتْ تُقَامُ لَطِيبِهَا الْأَسْوَاقُ
فَأَبَانَنَا عَنْهَا الزَّمَانُ بِسُرْعَةٍ
وَعَدَتْ تُعَلِّلُنَا بِهَا الْأَشْوَاقُ
وَأُنْشِدُ قَوْلَ غَيْلَانَ :

أَمَنْزِلَتْنِي مَيَّ^(٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمَا
هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
وَأَتَمَثَّلُ فِي تِلْكَ الْحَدَائِقِ الَّتِي حَمَائِمُهَا سَوَاجِعُ ، بِقَوْلِ
مَنْ جُفُوهُهُ مِنَ الْهَوَى غَيْرُهُ وَاجِعُ :
تَشْدُو بِعِيدَانِ الرِّيَاضِ حَمَائِمُ
شَدَوْ الْقِيَانِ^(٣) عَزَفْنَ بِالْأَعْوَادِ

مَا دَ النَّسِيمُ بِقُضْبِهَا فَتَمَايَلَتْ
مُهَنَزَةٌ الْأَعْطَافِ وَالْأَجْيَادِ

(١) جمع قلووس : الناقة للمستوية الخلق . والرواسم : الابل السائرة
رسما . قال الشاعر هدية بن خشرم العنري :

مَنْ يَقُولُ الْقُلُصُ الرُّوَاسِمَا يَدْنِينِ أَمْ قَاسِمِ وَقَاسِمَا

أو : حازم وحازما (٢) الذي نحفظه :

أَيَا مَنْزِلِي سَلِمَى سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
(٣) جمع قينة : الجارية المغنية .

هَذِي تُودِّعُ تِلْكَ تُودِّعُ الَّتِي
قَدْ آذَنْتَ مِنْهَا بِوَشْكَ بَعَادِ

وَأَسْتَعْبَرْتُ لِفِرَاقِهَا عَيْنُ النَّدَى
فَابْتَلَّ مِثْرُ عِطْفِهَا أَلْمِيَادِ
وَأَحَدُّ النَّظَرِ إِلَى رَوْضٍ ، لِإِنْسَانٍ أَلَمَ مِنْ فِرَاقِهِ فِي
بَحْرِ الدَّمُوعِ سَبِيحٍ وَخَوْضٍ .

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ (١) تَرْتُمُ وَمِنْ الْقَضِيبِ تَعْطَفُ (٢)
وَمِنْ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْغَدِيرِ تَمْطِفُ
وَالْتَفَتِ كَالْمُسْتَرِيبِ ، وَالْحَى إِذَا ذَاكَ قَرِيبُ ، وَحَدِيثُ
الْمَهْدِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ وَلَا غَرِيبِ
أَهَذَا وَلَمَّا تَخَصَّ (٣) لِلْبَيْنِ سَاعَةٌ ؟

فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ ؟
وَالْآثَارُ لَا نِجَّةَ ، وَالشَّمَالُ غَادِيَةٌ وَرَائِحَةٌ

(١) هو طائر يفرد (٢) لعله تعطف (بالعين والضاد المعجمتين) من
غضف العود يغضفه ، وعضفه فتغضف : كسره ولم ينعم كسره ، وتعطف عليه
أى مال وثنى وتكسر ، وتعطف الحية تلوت وتكسرت . ويقال أيضا :
تغيف اذا تعطف ومال وثنى - وتعطف النصف : انكسر (٣) مثله الذى
يقول : أشوقا ولما يمض لى غير ليلة فكيف اذا خب للطنى بنا عشرا

أَرَى آثارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقًا
وَأَسْكُبُ مِنْ تَذَكُّرِهِمْ دُمُوعِي

وَأَسْأَلُ مَنْ قَضَى بِفِرَاقِ حَبِيٍّ
يَمُنُّ عَلَى مِنْهُمْ بِالرَّجُوعِ
وَالنَّفْسُ مُتَعَلِّلَةٌ بِنَعْصِ الْأَنْسِ ، وَالْمَشَاهِدُ أَحْمِيْدَةٌ لَمْ
تُنْسَ .

تِلْكَ الْمُهْودُ بِسَدِّهَا^(١) مَخْتُومَةٌ

عِنْدِي كَمَا هِيَ عَقْدُهَا لَمْ يَحْلَلِ
غَيْرَ أَنَّ الرَّحِيلَ عَنِ الرَّبْعِ الْمُحِيلِ^(٢) ، فَصِلَ بِهِ بَيْنَ
الْشَائِقِ وَالْمَشُوقِ وَحِيلَ .

وَقَفْنَا بِرَبْعِ الْحُبِّ وَالْحُبُّ رَاحِلٌ
نُحَاوِلُ رُجْمَاهُ لَنَا وَيُحَاوِلُ

وَأَلْقَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ فِيهِ مَسَائِلًا
لَهَا عَنْ عِبَارَاتِ الْغَرَامِ دَلَائِلُ

(١) أى برابطها (٢) أى الدارس . والمحيل الذى أتت عليه أحوال وغيرته

- وأحالت الدار وأحولت : أتى عليها أحوال

وَبِالسَّفْحِ^(١) مِنْهَا كَمْ سَقَيْتُ لِبَانَهَا
فَمِيلَتُهُ وَالسَّفْحُ لِلْبَانِ مَائِلٌ
إِذَا نَسَمَةُ الْأَخْبَابِ مِنْهَا تَنَسَّمَتْ
تَطِيبُ بِهَا أَسْحَارُ نَاوَا الْأَصَائِلِ^(٢)
تُثِيرُ شُجُونِي سَاجِعَاتُ غُصُونِهَا
فِنَّهَا عَلَى أَحَالَيْنِ هَاجَتْ بِلَابِلٍ^(٣)
مَرَابِعُ لَيْلِي فِي مَرَاتِعَ لَذِّي
مَطَالِعُ أَقْمَارِي بِهَا وَالْمَنَازِلُ
فَحَيَّاهَا اللَّهُ مِنْ مَنَازِلِ ذَاتِ أَقْمَارٍ سَائِرَةٍ فِيهَا ، وَمَنَازِرَهُ
لَا يُخْصِي الْأَوَاصِفُ مَحَاسِنَهَا وَأَمْدَاحَ أَهْلِهَا وَلَا يَسْتَوِي فِيهَا
حَلُّوا عُقُودَ أَصْطِبَارِي عِنْدَ مَا رَحَلُوا
وَفِي الْأَعْمَالِ حَلُّوا مِثْلَ أَمْطَارِ
إِنَّ الْمَنَازِلَ قَدْ كَانَتْ مَنَازِرَهُ إِذْ بَاتُوا بِهَا وَهِيَ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي
وَرَعَى اللَّهُ مِنْ بَانَ ، وَشَاقَ حَتَّى الرَّنْدِ^(٤) وَالْبَانَ

(١) سفح الدمع : صبه وأرساله - والسفح : عرض الجبل المضطجع حيث يسفح فيه الماء . وللعنى الأول يناسب ما في صدر البيت ، والثاني يناسب عجزه
(٢) أصائل : جمع أصيل : وهو ما بين العصر والغرب (٣) جمع بلبل وهو ذلك الطائر الغريد - والبلابل أيضا : وسواس الصدر وبر حاؤه وشدة الهم . ففي لفظ « بلابل » تورية (٤) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والبان : شجر سبط القوام لين يشبه به القند لطوله واعتداله .

بَانُوا لِعَيْنِي أَقْمَارًا تُقْلِمُهُمْ
لَذُنُ الْفُصُونِ فَلَمَّا آنَسُوا بَانُوا

عُهُودُهُمْ لَسْتُ أَنْسَاهَا وَكَيْفَ وَقَدْ
رَتَيْ لِبَيْنِي عَنْهَا الرُّنْدُ وَالْبَانُ
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ تَذُوبُ الْقُلُوبِ الرُّفَاقُ، كَمَا
قَالَ حَازِرُ قَصَبِ السَّبْقِ بِالِاسْتِحْقَاقِ، الْأَدِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ
الشَّهِيدُ بِابْنِ الرُّفَاقِ :

وَقَفْتُ عَلَى الرُّبُوعِ وَلِي حَنِينٌ
لِسَاكِينِهِمْ لَيْسَ إِلَى الرُّبُوعِ
وَلَوْ أَنِّي حَنَنْتُ إِلَى مَعَانِي
أُحِبَّائِي حَنَنْتُ عَلَى ضُلُوعِي

وَكَمَا قَالَ بَعْضُ مَنْ لَهُ فِي هَذِهِ الْفِجَاجِ مَسِيرٌ:
دُخُولُكَ مِنْ بَابِ الْهَوَى إِنْ أَرَدْتَهُ
يَسِيرٌ وَلَكِنَّ الْخُرُوجَ عَسِيرٌ

(١) جمع معنى : وهو المحل يقطنه أهله

(٥ - نفع الطيب - أول)

وَأَيْنَ مَنْ لَهُ صَفَاءٌ^(١) لَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ الْقَوِيُّ فِي نَحْتِهَا ،
وَجَنَّتْ دُنْيَوِيَّةٌ لَا تَجْرِي أَنهَارُ الْفِرَاقِ مِنْ تَحْتِهَا ؟
فَسَقَى رَضِيعَ النَّبْتِ مِنْ ذَلِكَ الْحَمَى
بِحَيَا^(٢) تَدُورُ عَلَى الرُّبَا كَلَسَاتُهُ

سَفَحُ سَفَحَتْ عَلَيْهِ دَمْعِي فِي ثَرَى
كَالْمِسْكِ صَانَعٍ مِنَ الْفَتَاةِ فُتَاتُهُ
وَلَمْ أَزَلْ بَعْدَ انْقِصَالِي عَنِ الْغَرْبِ بِقَصْدِ الشَّرْقِ ،
وَأَتَّصَالِي فِي إِثْرِ ذَلِكَ أَجْلَعٍ بِالْفَرْقِ ،
أَجْنُ إِذَا خَلَوْتُ إِلَى زَمَانٍ تَقْضَى لِي بِأَفْنِيَةِ الرُّبُوعِ
وَأَذْكُرُ طِيبَ أَيَّامٍ تَوَلَّتْ لَنَا فَتْفِيزُ مِنْ أَسْفِ دُمُوعِي
وَأَتَوْقُ وَقَدْ اتَّسَعَ مِنَ الْبُعْدِ الْحَرْقُ ، وَخُصُوصًا إِذَا شَدَا
صَادِحٌ أَوْ أَوْمَضَ بَرْقٌ ، إِلَى دِيَارٍ لَا يَمُدُّوهَا اخْتِيَارُ
وَأَرْبُعِ أَحْبَابٍ إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا
بَكَيْتُ وَقَدْ يُبْكِيكَ مَا أَنْتَ ذَاكِرُ

(١) أى صخرة ، كناية عن قوة الاحتمال والجلد (٢) أى اللطيف .

بِطَاحٍ وَأَذْوَاحٍ يَرُوقُكَ حُسْنُهَا
 بِكُلِّ خَلِيجٍ نَعْمَتُهُ الْآزَاهِرُ
 فَمَا هُوَ إِلَّا فِضَّةٌ فِي زَبَرْجَدٍ
 تَسَاقَطَ فِيهِ اللَّوْلُؤُ الْمَتَنَابِرُ
 بِحَيْثُ الصَّبَا^(١) وَالتُّرْبُ وَالْمَاءُ وَالْهَوَى
 عَيْرٌ وَكَافُورٌ وَرَاحٌ وَعَاطِرٌ
 وَمَا جَنَّةُ الدُّنْيَا سِوَى مَا وَصَفْتُهُ
 وَمَا ضَمَّ مِنْهُ الْحُسْنَ نَجْدٌ وَحَاجِرُ
 بِلَادِي الَّتِي أَهْلِي بِهَا وَأَحِبَّتِي
 وَرُوحِي وَقَلْبِي وَالْمَنَى وَالْخَوَاطِرُ
 تُذَكِّرُنِي أَنْجَادُهَا وَوَهَادُهَا
 عُهْدًا مَضَتْ لِي وَهِيَ خُضْرُ نَوَاصِرُ
 إِذِ الْعَيْشُ صَافٍ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدُ
 فَلَا أَلَمِيشُ مَمْلُوكٌ وَلَا أَلْهَمُ جَائِرُ

(١) ذكر أربعة أشياء وشبهها بأربعة أشياء على سبيل اللف والنشر
 للرب

بِحَيْثُ لِيَالِينَا كَفَضُ شَبَابِنَا وَأَيَّامُنَا سِلْكُ وَنَحْنُ جَوَاهِرُ
لِيَالِي كَانَتْ لِلشَّبِيبَةِ دَوْلَةٌ بِهَا مَلِكُ اللَّذَاتِ نَاهٍ وَآمِرُ
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمُهُودِ فَإِنَّهَا مَوَارِدُ أَفْرَاحٍ تَلَتْهَا مَصَادِرُ
وَأَتَذَكَّرُ تِلْكَ الْأَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ كَالْأَحْلَامِ ، فَاتَّعَلَّ
بِقَوْلِ بَعْضِ الْأَكَابِرِ الْأَغْلَامِ .

يَا دِيَارَ السُّرُورِ لَا زَالَ يَبْكِي
فِيكَ إِذْ تَضَحَكُ الرِّيَاضُ غَمَامُ
رُبَّ عَيْشٍ صَحِبْتُهُ فِيكَ عَصِي وَعُيُونُ الْفِرَاقِ عَنَا نِيَامُ
فِي لِيَالٍ كَانَتْهُمْ أَمَانٍ فِي زَمَانٍ كَانَتْهُ أَحْلَامُ
وَكَانَ الْأَوْقَاتَ فِيكَ كُؤُوسُ
دَائِرَاتُ وَأَنْسُهُنَّ مُدَامُ^(١)

زَمَنُ مُسْعِدٍ وَإِلْفُ وَصُولِ
وَمُنَى تَسْتَلِذُّهَا الْأَوْهَامُ
وَبِقَوْلِ الْحَائِكِ الْأُمِّيِّ ، عِنْدَمَا يَكْثُرُ شَجْوِي وَغَمِي :

لَمْ أَنْسَ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيَا
 سَلَفَتْ وَعَيْشًا بِالصَّرِيمِ نَصَرَمَا^(١)
 إِذْ نَحْنُ لَا نَخْشَى الرَّقِيبَ وَلَمْ نَخَفْ
 صَرَفَ الزَّمَانِ وَلَا نَطِيعُ اللُّؤْمَا
 وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالْحَوَاسِدُ نُؤْمٌ
 عَنَّا وَعَيْنُ الْبَيْنِ قَدْ كُحِلَتْ عَمَى
 فِي رَوْضَةٍ أَبَدَتْ تُفُورُ زُهُورَهَا^(٢)
 لَمَّا بَكَى فِيهَا الْحَمَامُ تَبَسُّمًا
 مَدَّ الرَّيِّعُ عَلَى النِّصَائِلِ نَوْرَهُ
 فِيهَا فَأَصْبَحَ كَالْخِيَامِ مُخَيَّمًا
 تَبَدُّوا لِأَفَاقِي^(٣) مِثْلَ ثَغْرِ أَشْنَبِ
 أَضْحَى الْمُحِبُّ بِهِ كَثِيبًا مُغْرَمًا
 وَغَيُومٌ نَزَجِسُهَا كَأَعْيُنٍ غَادَةٍ
 تَرْنُو قَتَرَمِي بِاللَّوْاحِظِ أَشْهُمَا
 وَكَذَلِكَ الْمَشْهُورُ مَشْهُورٌ بِهَا لَمَّا رَأَى وَرَدَ الْخُدُودِ مُنْظَمًا

(١) نصرم : تقضى . والصريم موضع (٢) جمع زهر على زهور مولد

(٣) الافاقى : جمع افحوانة : نبات أوراق زهره مفلجة يشبهون بها الأسنان

وَالْظَبِيرُ تَصَدَّحُ فِي فُرُوعٍ فُتُونَهَا
سَحَرًا فَتَوْقِظُ بِالْهَدِيلِ ^(١) أَلْتَوْمًا

وَأَمِيلُ إِلَى بِلَادٍ مُحْيَاها جَمِيلُ
كَسَاهَا الْحَيَا بُرْدَ الشَّبَابِ فَإِنَّهَا
بِلَادٌ بِهَا عَقٌّ ^(٢) الشَّبَابُ تَمَائِي

ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا
قَدَحْتُ بُنَارَ الشَّوْقِ بَيْنَ الْحَيَازِمِ ^(٣)

لَيْلِي لَا أَلْوِي عَلَى رُشْدٍ نَاصِحٍ
عِنَانِي وَلَا أَمْنِيهِ عَنْ غَيٍّ لَأُثْمِ

أَنَالَ سُهَادِي مِنْ عُيُونٍ نَوَاعِيسٍ
وَأَجْنِي مُرَادِي مِنْ غُصُونٍ نَوَاعِمِ

وَلَيْلِي لَنَا بِالسَّدِّ بَيْنَ مَعَاطِفٍ
مِنَ النَّهْرِ يَنْسَابُ أَنْسِيَابُ الْأَرَاقِمِ ^(٤)

تَمُرُّ إِلَيْنَا ثُمَّ عَنَّا كَأَنَّهُمَا
حَوَاسِدُ تَمْشِي يَتَنَنَا بِالنَّمَامِ

(١) الهديل : التفريد (٢) عقه : أى شقه وقطعه (٣) الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه (٤) جمع أرقم : الحيات التى فيها سواد وبياض .

وَبِتْنَا وَلَا وَاشٍ نَخَافُ كَأَنَّمَا حَلَلْنَا مَكَانَ السَّرْمِينِ صَدْرِ كَاتِمٍ
وَأَهْفُو إِلَى قُصُورِ ذَاتِ بَهْجَةٍ ، وَصُرُوحٍ تُوضِحُ مَعَالِمَهَا
لِلرَّائِدِ نَهْجَهُ .

وَرِيَاضٍ تَحْتَالُ مِنْهَا غُصُونُ فِي بُرُودٍ مِنْ زَهْرٍ هَاوٍ عُقُودِ
فَكَانَ الْأَدْوَا حَ فِيهَا غَوَانٍ تَتَبَارَى زَهْوًا بِحُسْنِ الْقُدُودِ
وَكَانَ الْأَطْيَارَ فِيهَا قِيَانُ تَتَغَنَّى فِي كُلِّ عُودٍ ^(١) بَعُودٍ ^(٢)
وَكَانَ الْأَزْهَارَ فِي حَوْمَةِ الرُّودِ

ضِ سَيُوفٍ تُسَلُّ تَحْتَ بُنُودِ
وَأَصْبُو إِلَى بَطَاحٍ ، وَأَدْوَا حَ ^(٣) تَرْوِجُ النُّفُوسَ وَالْأَرْوَاحَ .
سَقِيًّا لَهَا مِنْ بَطَاحٍ خَزٍّ وَدَوَّاحٍ زَهْرٍ بِهَا مُطْلٍ
إِذَا لَا تَرَى غَيْرَ وَجْهِ شَمْسٍ أَطْلَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلٍّ
وَأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ ، وَأَزْهَارٍ نَوَاسِمُهَا سَارِيَةٍ . وَأَرْبُعُ
وَمَلَاعِبَ ، تَرْيِجُ عَنْ مُبْصِرِهَا الْمَتَاعِبَ
تِلْكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَلَا عِبُ لَا أَرَاهَا اللَّهُ مَحَلًا

(١) أى فنن وغصن (٢) آلة الطرب «الزهر» (٣) البطاح : الأرض
الفسيحة . والاددواح : الاشجار الغليظة الكثيرة الفروع

أَوْطَنْتَهَا زَمَنَ الصَّبَا وَجَعَلْتُ فِيهَا لِي مَحَلًّا
 حَيْثُ انْفَتَحَ رَأَيْتُ مَا سَائِحًا وَرَأَيْتُ ظِلًّا
 وَالنَّهْرُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْرٍ وَالرَّوْضُ فِي الشَّطْنِ فَصَلًّا
 كِبِسَاطٍ وَشَيْ جَرَدَتْ أَيْدِي الْقُبُورِ^(١) عَلَيْهِ نَصَلًا^(٢)
 وَإِلَى مَنَازِلٍ يَسْتَفِزُّ حُسْنَهَا الرَّاغِبُ الْجَادَّ وَالْهَازِلَ
 وَيَشْفِي مَنَظَرُهَا عَلِيًّا ، وَيَكْفِي مَخْبَرُهَا لِلْمُسْتَفْهِمِ دَلِيلًا .

وَجَنَانٍ أَلْفَتْهَا حِينَ غَنَّتْ حَوْلَهَا الْوُرُقُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 نَهْرُهَا مُسْرِعًا جَرَى وَتَمَشَّتْ فِي رُبَاهَا الصَّبَا قَلِيلًا قَلِيلًا
 وَأَتَمَّلْتُ إِنَّ ذَكَرْتُ حَالِ وَدَاعِي ، بِقَوْلِ الشَّاعِرِ
 الْأَدِيبِ الْوَدَاعِي :

الْغَرْبُ خَيْرٌ وَعِنْدَ سَاكِنِهِ أَمَانَةٌ أَوْجَبَتْ تَقْدَمُهُ
 فَالْشَّرْقُ مِنْ تَبَرُّهِ^(٣) عِنْدَهُمْ يُودِعُ دِينَارَهُ وَدِرْهَمَهُ
 وَبِقَوْلٍ غَيْرِهِ ، إِشَارَةً لِفَضْلِ الْغَرْبِ وَخَيْرِهِ :

أَشْتَاقُ لِلْغَرْبِ وَأَصْبُو إِلَى مَعَاهِدِهِ فِيهِ وَعَصْرِ الصَّبَا

(١) القبور - جمع قبور : وهو الحداد (٢) النصل : السكين العريضة

(٣) التبران : الشمس والقمر يودعهما الشرق عند الغروب لأمواته . وهذا

من أبداع أنواع حسن التعليل . والدينار : الشمس . والدرهم : القمر

يَا صَاحِبِي نَجْوَايَ وَاللَّيْلُ قَدْ أُرْخَى جَلَابِيبَ الدُّجَى وَأُخْتَبَا
لَا تَعْجَبَا مِنْ نَاطِلٍ سَاهِرٍ بَاتَ يُرَاعِي أَنْجُمًا غُيْبَا
الْقَلْبُ فِي آثَارِهَا طَائِرٌ لَمَّا رَأَاهَا تَقْصِدُ الْمَغْرِبَا
وَأَهْمُهُمْ كُلَّمَا حَلَّتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَرْضَى بِمَكَانٍ ، وَقَدْ
صَيَّرَ السَّائِقُ جِدَّ السَّيْرِ مَعْمُولًا لِمَا أَنْفَكَ^(١) ، كَمَا جَعَلَهُ
خَبْرًا لِكَانَ . بِقَوْلِ قَاضِي الْقُضَاةِ الْعَالِمِ الْكَبِيرِ الشَّمْسِ
ابْنِ خُلْكَانَ :

أَيُّ لَيْلٍ عَلَى الْمُحِبِّ أَطَالَهَ سَائِقُ الطَّفَنِ يَوْمَ زَمَّ جَمَالَهَ
يَرْجُرُ الْعَيْسَ طَاوِيًا يَقْطَعُ الْمَسْمَهَ عَسْفًا سُهُولَهَ وَرِمَالَهَ
أَيُّهَا السَّائِقُ الْمُجِدُّ تَرَفَّقَ بِالْمَطَايَا فَقَدْ سَتَمِنَ الرَّحَالَهَ
وَأُنْجَمَهَا هُنَيْهَةً وَأَرْحَمَهَا
إِذْ بَرَّاهَا الشَّرَى^(٢) وَفَرَطَ الْكَلَالَهَ

لَا تُطِلْ سَيْرَهَا الْعَنِيفَ فَقَدْ بَرَّ
حَ بِالصَّبِّ فِي سُرَاهَا الْإِطَالَهَ

(١) أي ما أنفك يجدد للسير . كناية عن دوامه (٢) أي السير ليلا .

وَأَرْثِ لِلنَّازِحِ الَّذِي إِنْ رَأَى رُبًّا : مَا تَوَى فِيهِ نَادِبًا أَطْلَالَه
يَسْأَلُ الرَّبْعَ عَنْ ظِبَاءِ الْمُصَلَّى
مَا عَلَى الرَّبْعِ لَوْ أَجَابَ سُؤَالَهُ :

وَمَحَالٌّ مِنَ الْمُحِيلِ جَوَابُ
غَيْرَ أَنَّ الْوُقُوفَ فِيهِ عَلَالَه
هَذِهِ سُنَّةُ الْمُحِيزِينَ يَبْكُوْنَ عَلَى كُلِّ مَنَزِلٍ لَا مَحَالَه
يَادِيَارَ الْأَحْبَابِ لَا زَالَتْ الْأَء

يُنْ فِي ثَرْبِ سَاحَتِكَ مُذَالَه^(١)
وَمَشَى النَّسِيمُ وَهُوَ عَلِيلٌ فِي مَغَانِيكَ سَاحِبًا أَذْيَالَه
أَيْنَ عَيْشٍ مَضَى لَنَا فِيكَ مَا أَسْ رَعَ عَنَّا ذَهَابُهُ وَزَوَالَه ؟
حَيْثُ وَجْهَ الزَّمَانِ طَلَقَ نَضِيرُ وَالتَّدَانِي غُصُونُهُ مِيَالَه
وَلَنَا فِيكَ طِيبُ أَوْقَاتِ أَنْسِي لَيْتَنَا فِي الْمَنَامِ نَلْقَى مِثَالَه
وَأَرَدُّدُ قَوْلِ الَّذِي سَحَرَ الْأَلْبَابَ ، مُنَادِيًا مَنْ لَهُ مِنْ
الْأَحْبَابِ :

(١) ذال الشيء : هان ، وأذاله : أهانه واستخف به ، ضد صانه ، وهو يشير
إلى قول أبي تمام :
على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
وللدلالة : الأمة ، يريد أن العين ذليلة في ساحته فهي تسكب دموعها
كأمة الذليلة : ويروي . . . لازالت الأدمع الخ .

أَحْبَابَنَا لَوْ لَقِيتُمْ فِي إِقَامَتِكُمْ
مِنَ الصَّبَابَةِ مَا لَاقَيْتُمْ فِي الظَّمَنِ^(١)

لَأَضْبَحَ الْبَحْرُ مِنْ أَنْفَاسِكُمْ يَبَسًا
كَالْبَرِّ مِنْ أَدْمَعِي يَنْشَقُّ بِالسُّقْنِ^(٢)

وَقَوْلُهُ :

وَمَا تَغَيَّرْتُ عَنْ ذَاكَ الْوَدَادِ وَلَا
حَالَتْ بِي الْحَالُ فِي عَهْدِي وَمِيثَاقِي

دَرْسِي غَرَامِي بِكُمْ دَهْرِي أَكْرَرُهُ
وَقَدْ تَفَقَّهْتُ^(٣) فِي وَجْدِي وَأَشْوَاقِي
وَقَوْلَ الْمَجْدِ بْنِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ ، مُعْلِمًا أَنَّهُ لَا يُرِيدُ
بَدَلَ مَعَهْدِهِ وَخِلَافَتِهِ :

يَا زَمَانَ الْهُوَى عَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَى السُّلُوكِ عَنْكَ حَرَامُ
أَيُّ عَيْشٍ قَطَعْتُهُ فِيكَ لَوْ دَا مَوْهَلٌ يُرْتَجَى لِظِلِّ دَوَامٍ ؟
كُنْتُ حُلُمًا وَالْعَيْشُ فِيكَ خَيَالًا وَسَرِيحًا مَا تَنْقُضِي الْأَخْلَامُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لِيَالٍ تَقْضَتْ سَلْبَتِي بِرُودِهَا الْإَيَّامُ

(١) أى السفر (٢) مثله قول ابن الفارض :

إذا بكى في ففار خلتها لججا فإن تنفس عادت كلها يسا

(٣) تفقه فى الشيء : فهمه فهما جيدا .

فَطَمَتِي الْأَفْدَارُ عَنْهَا وَلَيْدًا وَشَدِيدٌ عَلَى الْوَلِيدِ الْفِطَامُ
لَا تَلْسَنِي عَلَى الْبُكَاءِ عَلَيْهَا مَنْ بَكَى شَجْوَهُ ^(١) فَلَيْسَ يُلَامُ
وَقَوْلَ أَبِي طَاهِرٍ الْخَطِيبِ الْمَوْصِلِيِّ :

حَتَّى تَجِدَا عَنِّي وَمَنْ حَلَّ تَجِدَا أَرْبُعًا هِجْنًا لِي غَرَامًا وَوَجْدًا
وَأَقِرْ عَنِّي السَّلَامَ آرَامَ ذَاكَ الشَّ
مُبٍ وَالْأَجْرَعِ الْخَصِيبِ الْمُقْدَى

وَأَبْكَ عَنِّي حَتَّى تُرْنَحَ بِالْوَجْهِ
يَدِ أَرَاكَ بِهِ وَبَانَا وَرَنْدَا ^(٢)

فَلَكُمْ وَفَقَةً أَطْلُتُ عَلَى الضَّ
لِي بِدَمْعٍ أَذَاعَ سِرِّي وَأَبْدَى

وَعَلَى الْبَانِ كَمْ مِنَ الْبَيْنِ أَذْرِي
تُ لَا لِي لِلدَّمْعِ مَتْنِي وَوَحْدَا

أَهْ وَالْهَفْنِي عَلَى طِيبِ عَيْشٍ
كُنْتُ قَطَعْتُهُ وَصَالًا وَوُدًّا

حَيْثُ عُوذُ الشَّبَابِ غَضُّ نَضِيرٍ
وَيَدُ الْمَكْرُمَاتِ بِالْجُودِ تَنْدَى

وَأَخْلِيلُ الْوَدُودِ يُنْعِمُ إِسْمًا
فَا وَصَرَفُ الزَّيْمَانِ يَزْدَادُ بُعْدًا
وَاللَّيَالِي مُسَاعِدَاتٌ عَلَى الْوَصْلِ وَعَيْنُ الرَّقِيبِ إِذْ ذَاكَ رَمَدًا
كَمْ يَهَامُ مِنْ لُبَانَةٍ لِي وَأَوْطَا رِيقُ تَقَضُّتْ وَجَارَتْ أَخْذًا حَدًّا
فَاسْتَعَادَ الزَّيْمَانُ مَا كَانَ أُعْطِيَ خِلْسَةً لِي بِبُخْلِهِ وَأُسْتَرَدَّا
وَقَوْلَ بَعْضِهِمْ:

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا شَرِيعَةٌ وَرَدِي أَوْ مَهَبٌ شَمَالِي
لَيَالِي لَمْ تَحْذَرْ حُزُونََ قَطِيعَةٍ وَلَمْ تَنْمَشْ إِلَّا فِي سُهُولٍ وَصَالِ
فَقَدْ صِرْتُ أَرْضِي مِنْ نَوَاحِي جَنَابِهَا
بِخُلْبِ بَرْقٍ أَوْ بِطَيْفِ خَيَالِ

وَقَوْلَ الْجُرْجَانِيِّ:

لِلْمُحِبِّينَ مِنْ حِذَارِ الْفِرَاقِ عِبَرَاتٌ تَجُولُ بَيْنَ الْمَاقِ
فَإِذَا مَا اسْتَقَلَّتِ الْعَيْسُ لِلْيَيْسِ وَسَارَتْ حُدَاتُهَا بِالرِّقَاقِ

اسْتَهَلَّتْ عَلَى الْخُدُودِ أَنْحِدَارًا
 كَأَنْحِدَارِ الْجُمَانِ^(١) فِي الْإِتْسَاقِ
 كَمْ مُحِبٍّ يَرَى التَّجَلُّدَ دِينًا
 فَهُوَ يُخْفِي مِنَ الْهَوَى مَا يُبْلِقِ
 أَزْدَهَاءُ النَّوَى فَأَغْرَبَ بِالْوَجْدِ
 بِدِلسَانٍ عَنْ دَمْعِهِ الْمُهْرَاقِ ؟
 وَأَنْحِدَارُ الدُّمُوعِ فِي مَوْقِفِ الْبَيَّةِ
 نِ عَلَى الْخَدِّ آيَةُ الْمَشَاقِ
 هَوْنِ الْخُطْبِ لَسْتُ أَوَّلَ صَبٍّ فَضَحَتْهُ الدُّمُوعُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
 وَقَوْلِ الْخَطِيبِ الْخُضْكَفِيِّ^(٢) الشَّافِعِيِّ :
 سَارُوا وَأَكْبَادُنَا جَرَحَى وَأَعْيُنُنَا
 قَرَحَى وَأَنْفُسُنَا سَكَرَى مِنَ الْقَلَقِ
 تَشْكُوبَوَاطِنُنَا مِنْ بُعْدِهِمْ حُرْقًا
 لَكِنْ ظَوَاهِرُنَا تَشْكُومِنْ الْفَرَقِ

(١) الجمالان : الدر ، واحده جمانة (٢) هو أبو الفضل يحيى بن سلامة
 ابن الحسين (والحصكفي) نسبة الى (حصن كيفا) قلعة حصينة شاهقة
 بين جزيرة ابن عمر وآمد ، وبها نشأ أبو الفضل - ولد سنة ٤٦٠ وتوفي
 سنة ٥٥١ - وقد ذكره العماد الأصفهاني في كتاب الحريدة وأثنى عليه

كَأَنَّهُمْ فَوْقَ أَكْوَارِ الْمَطِيِّ وَقَدْ
سَارَتْ مُقْطَرَةٌ^(١) فِي حَالِكِ الْفَسَقِ

دَرَارِيءُ الزُّهْرِ فِي الْأَبْرَاجِ زَاهِرَةٌ
تَسِيرُ فِي الْفَلَكَ الْجَارِي عَلَى نَسَقِ

يَا مُوَحِّشِي الدَّارِ مُذْ بَانُوا كَمَا أَنْسَتْ
بِقُرَيْهِمْ لَا بَخَلْتِ مِنْ صَيْبٍ غَدَقِ^(٢)

إِنْ غَبِثُمْ لَمْ تَغَيِّبُوا عَنْ ضَمَائِرِنَا
وَإِنْ حَضَرْتُمْ حَمَلْنَاكُمْ عَلَى الْخَدَقِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، الَّذِي كَرَّرْنَاهُ
ذِكْرَهُ وَبِهِ الْمَعْنَى :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْوِدَادِ وَعَهْدِهِمْ
إِذِ الْأَنْسُ رَوْضٌ وَالشُّرُورُ قُنُونُ

رَحَلْنَا فَشَرَقْنَا وَرَاحُوا فَمَرَّ بُوا
فَقَاضَتْ لِرَوْعَاتِ الْفِرَاقِ عُيُونُ

(١) قطار الابل - بطاء مشدودة - قرب بعضها الى بعض على نسق

(٢) الصيب : السحاب ذو المطر .

وَكَمْ أَشَدْتُ وَلِيَالِي النَّوَى عَاتِمَةً ، قَوْلَ الْأَنْدَلُسِيِّ
أَبْنِ حَاتِمَةَ :

أَيَّامَنَا بِالْحَمَى مَا كَانَ أَخْلَاكِ كَمْ بَتُّ أَرْعَاهُ إِجْلَالًا وَأَرْعَاكِ؟
لَا تُنْكِرِي وَقَفْتِي ذُلًّا بِعَمَّنَاكِ يَا دَارُ لَوْلَا أَحِبَّائِي وَلَوْلَاكِ
لَمَّا وَقَفْتُ وَقُوفَ الْهَائِمِ الْبَاكِ

فَهَلْ لَهُمْ عَطْفَةٌ مِنْ بَعْدِ دَلِيلِهِمْ تَاللهِ مَا تَسْمَحُ الدُّنْيَا بِمِثْلِهِمْ
آهًا لِقَلْبِي عَلَى تَبْدِيدِ شَمْلِهِمْ مَا كَانَ أَخْلَاكِ يَا أَيَّامَ وَصْلِهِمْ
وَيَا لِيَالِي الرِّضَا مَا كَانَ أَضْوَاكِ^(١)

يَا بَدْرَ تِمِّ تَنَاءَتْ عَنْهُ أَرْبَعُنَا
وَلَمْ تَزَلْ تَحْتَوِيهِ الدَّهْرَ أَضْلَعُنَا

مَا لِلنَّوَى بِضُرُوبِ الْبَيْنِ يُوجِعُنَا؟

إِذَا تَذَكَّرْتُ دَهْرًا كَانَ يَجْمَعُنَا

تَفَطَّرْتُ كِبْدِي شَوْقًا لِمَرَّ آكِ

أَخْبَابَ أَنْفُسِنَا كَمْ ذَا النَّوَى وَكَمْ
وَيَا مَعَاهِدَ نَجْوَانَا بِذِي سَلَمِ

(١) أضواك : أكثر ضوءا . وكان زائدة .

تَاللّهِ مَا شَبْتُ^(١) دَمْعًا لِلْأَسَى بِدَمٍ
 وَلَا لَكُنْتُ مُرَابًّا لِلْأَرْضِ مِنْ كَرَمٍ
 إِلَّا مُرَاعَاةَ خِلٍّ ظَلَّ يَرَعَاكَ
 عَلَّ اتَّعَلَّلَ يُدْنِي مِنْهُمْ وَعَسَى
 فَيَعْمُرَ الْقُرْبُ مَا بِالْبَيْنِ قَدْ دَرَسَا
 كَمْ ذَا أَنْادَى بِرَبِّعٍ بِالنَّوَى طَمَسَا^(٢)
 يَا قَلْبُ صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ عَادَ أَسَى
 وَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكَ؟
 وَقَوْلَ بَعْضٍ مَنْ أَسْتَدَّ بِهِ الْهَيْأَمُ، فَخَاطَبَ جِيرَتَهُ مَادِحًا
 لِيَا لِي الْقُرْبُ وَذَا مَا تَقَلَّبَ الْأَيَّامُ :
 أَيَّامُ أَنْسَى قَدْ كَانَتْ بِقُرْبِكُمْ
 بِيضًا فَحِينَ نَأْيْتُمْ أَصْبَحَتْ سُودًا
 ذَمَمْتُ عَيْشِي مُذْ فَارَقْتُ أَرْضَكُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ مَغْبُوطًا وَمَحْسُودًا
 وَقَوْلَ صَاحِبِ مَصَارِعِ الْعُشَاقِ ، وَقَدْ شَاقَهُ مِنَ الْهَوَى مَا شَاقَ :

(١) شاب الشيء يشوبه شوبا : خاطبه ومزجه (٢) طمس الطريق طموسا ،
 أى درس وانمحى أثره . وطمسه طمسا ، يتعدى ويانزم

بَانُوا فَادْمَعُ مُقْلَتِي وَجَدًا عَلَيْهِمْ تَسَهَّلُ
وَحَدًا بِهِمْ حَادِي الْفِرَا قِي عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقْلُوا
قُلْ لِلَّذِينَ تَرَحَّلُوا عَنْ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلُّوا
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُلُوا^(١) مِنْ مَاءٍ وَصَلِيهِمْ وَعَلَوْا^(٢)
وَقَوْلُهُ حِينَ زَحَزَحَتْهُ يَدُ الْفِرَاقِ ، عَنْ أَوْطَانِ الْإِرَاقِ :
قَدْ قُلْتُ وَالْعَبْرَاتُ تَسْفَحُهَا عَلَى الْخَدِّ الْمَاقِي
حِينَ أَنْحَدَرْتُ إِلَى الْجُزْءِ رِةً وَأَنْقَطَعْتُ عَنِ الْإِرَاقِ
وَتَحَبَّطَتْ أَيْدِي الرِّفَاقِ قِي مَهَامِهِ^(٣) أَلْيَدِ الرِّفَاقِ
يَا بُوُسَ مَنْ سَلَّ الزَّمَّا نُ عَلَيْهِ سَيْفًا لِلْفِرَاقِ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

يَا مَنَزَلَ الْحَيِّ يَذَاتِ النِّقَا سَقَاكَ دَمْعٌ مُذْ نَأَوَامَارَقَا^(٤)
هَلْ سَلَوَةٌ هَيْهَاتَ لَا سَلَوَةٌ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ^(٥) وَأَرْتَقَى
وَأَنْتَ يَا يَوْمَ النُّوَى عَاجِلًا أَدَالَ^(٦) مِنْكَ اللَّهُ يَوْمَ اللَّقَا

(١) أَنَّهُلُوا : شَرَبُوا نَهْلًا ، وَالتَّهَلُّ : أَوَّلُ الشَّرْبِ (٢) عَلَوْا : شَرَبُوا عِلَالًا
وَالْعِلَالُ : الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ (٣) مَهَامِهِ جَمْعُ مَهْمَةٍ : الْفَازَةُ . وَالْيَدُ :
الْفَلَاحَةُ أَيْضًا - وَالرِّفَاقُ - بَكْسَرُ الرَّاءِ . جَمْعُ رَقَةٍ يَفْتَحُ الرَّاءُ : كُلُّ أَرْضٍ إِلَى
جَنْبِ يَنْبَسِطُ الْمَاءِ عَلَيْهَا أَيَّامَ الْمَدِّ ثُمَّ يَنْسَبُ (٤) رَقَاً الدَّمْعُ : انْقَطَعَ (٥)
بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ : مِثْلُ يَضْرِبُ عِنْدَ مَجَاوِزَةِ الْأَمْرِ الْحَدِّ وَتَفَاقَمَ الْحَطَبُ
(٦) أَدَالَ مِنْكَ الْخُ : نَزَعَ الدَّوْلَةَ مِنْكَ يَوْمَ الْإِقَامَةِ وَحَوَّلَهَا إِلَى

وَقَوْلِي مُوْطَأًا لِلثَّلَاثِ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لِي فِيمَنْ تَغَيَّرَ حَارِثٌ^(١) ؛
لَمْ أُنْسَ مَمَّهَدَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَرَوْضُ الْأُنْسِ مِعْطَارٌ^(٢)
فَهَا أَنَا بَعْدَ بُعْدٍ عَنْهُ فِي قَلْبِي وَقَدْ نَبَتْ فِي أَرْجَائِي وَأَقْطَارِي
تَمْضِي اللَّيَالِي وَأَشْوَاقِي مُجَدَّدَةٌ
وَمَا انْقَضَتْ لِي مِنَ الْأَخْبَابِ أَوْطَارٌ^(٣)
وَكُلَّمَا مَرَرْتُ بِعِرَائِي يَرْوِقُ ، لَمَعَتْ لِي مِنْ نَاحِيَةِ الْغَمِّ بِالْأُنَى
بُرُوقٌ ، فَتَدَكَّرْتُ قَوْلَ بَمَضٍ مِنْ لَهُ عَلَى غَيْرِ مَنْ يَهْوَى طُرُوقٌ ؛
مَا نَظَرْتُ عَيْنِي سِوَاكَ مُنْظَرًا مُسْتَحْسَنًا إِلَّا عَارَضْتُ^(٤) دُونَهُ
وَمَا تَمَنَيْتُ لِقَاءَ غَائِبٍ إِلَّا سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَكُونَهُ
وَرُبَّمَا رُمْتُ اتِّحَالِي^(٥) مَذْهَبَ السُّلُوكِ وَاتِّحَالِي ، خِلَالَ
أَحْوَالِ إِقَامَتِي وَارْتِحَالِي ، فَلَمْ يَنْتَقِلْ عَنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ حَالِي ،
وَأَنَّى ؟ وَجِيدِي بِقَلَائِدِ الْبَتَاتِ^(٦) حَالٍ^(٧)

(١) لما انصرف محمد بن عبد الملك الزيات (وزير الخليفة للتصميم والوائقي) عن إبراهيم بن العباس الصولي تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بُشَيْرٍ صديقاً له مصافياً فجره فيمن هجره من أخوانه فكتب إليه إبراهيم بن العباس :
تغير لي فيمن تغير حارث وكمن أخ قد غيرته الحوادث
أحارث ان شورك فيك فرجما غنيا وما بيني وبينك ثالث
(٢) أي ذكرى الرائحة (٣) جمع وطر : اللبانة والحاجة (٤) أي ظهر خيالك لي أقرب منه (٥) لعلها (استحالي) أي قصدي (٦) البت : القطع (٧) حال : أي متحل

وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ أَنْ يُحِيطَ بِوصْفِهِ قَلَمٌ وَأَنْ يُطَوَّى عَلَيْهِ كِتَابٌ
وَاللَّهِ مَا أَنَا مُنْصِفٌ إِنْ كَانَ لِي عَيْشٌ يَطِيبُ وَجِدَّتِي غِيَابٌ
وَكَيفَ وَلَا مَا فِي صَبٍّ ، وَلَا تَوَاقٍ زِيَادَةٌ إِذَا بَرَى
نَسِيمٌ أَوْ هَبٌّ .

شَرِبْتُ مُحْيَا الْبَيْنِ صِرْفًا وَطَالَمَا جَلَوْتُ مُحْيَا الْوَصْلِ وَهُوَ وَسِيمٌ
فَمِعَادُ دَمْعِي أَنْ تَنُوحَ حَمَامَةٌ وَمِيقَاتُ شَوْقِي أَنْ يَهْبُ نَسِيمٌ
فَإِنْ لَاحَ سَنَا بَارِقٍ شَاقِي ، أَوْ تَرَنَّمَ شَادٍ حَدَابِي إِلَى
الْهَيْامِ وَسَاقِي ، أَوْ رَنَّا^(١) ظَبْيٍ فَلَاةٍ رَاعِي وَرَاقِي
وَإِنِّي لَيُصِيبُنِي سَنَا كُلِّ بَارِقٍ^(٢) وَكُلِّ حَمَامٍ فِي الْأَرَاكِ يَنُوحُ
وَأَرْتَاعُ مِنْ ظَبْيِ الْفَلَاةِ إِذَا رَنَّا وَأَرْتَاخُ لِلتَّنْدُكَارِ وَهُوَ سَنُوحُ
وَلَمْ يَكْ ذَاكَ الْأَمْرُ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ

وَلَكِنْ لِمَعْنَى فِي الْحَبِيبِ يَلُوحُ
وَلَا أَسْتَطِيعُ الْإِغْرَابَ عَنْ أَمْرِي الْعَجِيبِ ، لِمَا بِي مِنَ
التَّوَى الْمُذْهِلِ وَالْجَوَى الْمُذْهِشِ وَالْوَجِيبِ^(٣)
وَلَا تَسْأَلُوا عَمَّا أَجْنُ^(٤) فَلَيْسَ لِي لِسَانٌ يُؤَدِّي مَا الْفَرَامُ يَقُولُ

(١) رنا : فطر (٢) السنا : الضوء (٣) الوجيب : الخفقان والاضطراب

(٤) أجن : أكن وأستر

يُطَارِحُنِي الْبَرْقُ الْأَحَادِيثَ كُلَّمَا
أَضَاءَ كَانَ الْبَرْقُ مِنْهُ رَسُولُ

وَمَا بَالُ خَفَاقِ النَّسِيمِ يُعِيلُنِي
هَلِ الرِّيحُ رَاحٌ وَالشَّمَالُ شَمُولُ^(١)
إِذْ دُمُوعُ شَوْوِنِي عِنْدَ الدَّكْرِى لَا تَرَقَا ، وَجُفُونِي
لَيْسَ لَهَا عَنِ الْأَرْقِ مَرَقِي ، وَشَجُونِي تَنُمُو إِذَا صَدَحَتْ
بِفَنْنِهَا وَرَقَا^(٢) .

رُبَّ وَرَقَاءٍ فِي الدِّيَاجِي تُنَادِي إِنْهَا فِي غُصُونِهَا الْمَيَّادَةُ^(٣)
فَتُثِيرُ الْهَوَى بِلَحْنٍ عَجِيبٍ يَشْهَدُ السَّمْعُ أَنَّهَا عَوَادَةُ^(٤)
كُلَّمَا رَجَعْتَ تَوَجَّعْتُ حُزْنًا فَكَأَنَّا فِي وَجْدِنَا تَبَادَةُ^(٥)
فِيَالَهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، مُثِيرَةٍ لِكَامِنٍ شَوْقٍ ، جَالِبَةٍ لَهُ
مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ وَفَوْقٍ .

ذَكَرْتَنِي الْوَرَقَاءُ أَيَّامَ أَنْسِي سَالِفَاتٍ فَبِتُ أَذْرِي الدُّمُوعَا
وَوَصَلْتُ الشَّهَادَ شَوْقًا لِحَيِّي وَغَرَامًا وَقَدْ هَجَرْتُ الْهَجُوعَا

(١) الشمول : الحمر (٢) الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها الى
الحضرة (٣) أى اللائلة (٤) أى تعزف على العود (٥) اللبادهة : الاجابة على
البديهة من غير تفكير

كَيْفَ يَخْلُو قَلْبِي مِنَ الذِّكْرِ يَوْمًا
 وَعَلَى جُبِّهِمْ حَنَيْتُ الضُّلُوعَا
 كُلَّمَا أُولِعَ الْعَذُولُ بِعَتِي فِي هَوَاهُمْ يَزْدَادُ قَلْبِي وَلُوعَا
 وَرُبَّمَا أَتَخَيَّلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا بِالْحُزْنِ بَائِحَةٌ، وَعَلَى فَقْدِ الْإِلْفِ
 نَائِحَةٌ، فَأَنْشِدُ قَوْلَ خَلِيلٍ، وَهُوَ بِالْحُبِّ مُدْتَفٍ وَعَلِيلٌ:
 وَرُبَّ حَمَامَةٍ فِي الدَّوْحِ بَاتَتْ تُجِيدُ النَّوْحَ فَنَّا بَعْدَ فَنٍ
 أَقَاسِمُهَا الْهَوَىٰ مَهْمَا اجْتَمَعْنَا فِينَا النَّوْحُ وَالْعَبْرَاتُ مِنِّي
 وَلَا غَرَوْ أَنْ ظَهَرَ سِرُّ بَائِحٍ، فَبَاكٍ مِثْلِي مِنَ الشُّجْوِ نَائِحٍ،
 فَرَجَعْتُ بَعْدَ فِرَاقِ أَيَّامِ الْهَوَىٰ
 أَصِفُ الصَّبَابَةَ لِلْمُحِبِّ الْمُوَلَعِ
 دَائِمِ الْجُفُونِ إِذَا الْحَمَامَةُ غَرَّدَتْ
 مِنْ فَوْقِ خُوطٍ^(١) أَلْبَانَةٍ الْمَتَرِ غَرِيعِ
 أَسْقَى الدِّيَارَ وَقَدْ تَبَاعَدَ أَهْلُهَا عَنْهَا عَزَالِي^(٢) الدُّمُوعِ الْهَمْعِ
 وَتَوَاعِبُ^(٣) الْأَطْلَالِ لَيْسَ يُحْيِيَنِي
 مَا يَنْهَنُّ سِوَى الصَّدَى بِتَوَجُّعِ

(١) الخوط : الفصن (٢) جمع عزلاء : مصب الماء من السحاب والمزادة
 وغيرهما . وأنزلت السماء عز إليها : على التشبيه بنزول الماء من أفواه المزادات
 (٣) نواعب : جمع ناعب : وهو الغراب يصوت بالبين على زعمهم

وَهَوَاتِفُ فَوْقِ الْغُصُونِ يُجِيبُنِي مِنْهُنَّ تَفْرِيدُ الْحَمَامِ السَّحَجِ
نَاحَتْ عَلَى عَذَبِ الْفُرُوعِ ^(١) وَإِلَيْهَا
مِنْهَا بِمَرَأَى فَوْقَهَا وَبِمَسْمَعِ

مَا فَارَقَتْ إِلْفًا كَمَا فَارَقْتُهُ
كَلَّا وَلَا أَجَرَتْ سَوَاكِبَ أَذْمُعِي
عَلَى أَوَانٍ عُيُونُ سُعُودِهِ رَوَانٍ ، وَزَمَانٍ مَعْمُورٍ بِأَمَانِيَّ
وَأَمَانٍ ، وَأَمَالٍ دَوَانٍ ، وَتَهَانٍ مَا بَيْنَ بَكْرٍ ^(٢) وَعَوَانٍ . وَفِي
عُذْرِ مَنْ طَالَ لَيْلُهُ فَاضْطَرَبَ فِيهِ لَوْلُوعُهُ ، وَسَكَنَ جَوَاهُ
بِجَوَانِحِهِ وَضُلُوعِهِ

إِنْ طَالَ لَيْلِي بَعْدَهُمْ فَلِطُولِهِ عُذْرٌ وَذَلِكَ لِمَا أَقَابِي مِنْهُمْ
لَمْ تَسْرِ فِيهِ نُجُومُهُ لَكِنَهَا وَقَفَتْ لِتَسْمَعَ مَا أَحْدَثُ عَنْهُمْ
فَارْقِ الزَّائِدُ فِي حُرْقِي أَظْهَرَ الْمَكْنُونِ وَأَبَانَ ^(٣) ،
وَوَجَدِي بِمَنْ نَأَى وَبَانَ ^(٤) ، لَمْ يُجِدْ فِيهِ تَعْلُلٌ بِرَيْدٍ ^(٥) وَبَانَ .

(١) أى طرف الفروع (٢) البكر : الذى لم تنزج . والعوان التى تزوجت ،
أو ذات الزوج (٣) أى اظهر (٤) أى بعد (٥) الرند والبان : شجر يكثر
ببلاد العرب . وهو طيب الرائحة

تَتَّبِعِي يَا عَذَابَاتِ الرَّنْدِ
كَمْ ذَا الْكَرَى هَبَّ نَسِيمُ نَجْدِ

فَلَسْتُ مِثْلِي فِي جَوَى أَوْ أَرْقِ
وَحُرْقَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ أَوْ صَدِّ

عُوفِيَتْ مِمَّا حَلَّ بِي مِنْ جِيرَةٍ

فِي الْقَرَبِ لَمْ يَرْتُوا الْفَرَطِ وَجَدِي
أَعْلَلُ الْقَلْبَ بَيَانٍ عَنْهُمْ وَهَلْ يَنْوُبُ غُصْنٌ عَنْ قَدِّ
بَانُوا فَلَا مَعْنَى الشُّرُورِ بَعْدَهُمْ مَعْنَى وَلَا عَهْدُ الرِّضَا بَعْدِ
أَهَا مِنْ الْبُعْدِ وَمَنْ لَمْ يَذَرِهِ لَمْ يَشْجُهُ^(١) تَأَوَّهِي لِلْبُعْدِ
وَفِي شُغْلٍ مَنْ أَبْكَتْهُ الرُّبُوعُ وَالطُّلُولُ، وَذَهَبَتْ بُرْهَةٌ
مِنْ زَمَانِهِ بَيْنَ التَّرَحُّلِ وَالْحُلُولِ، فَكَبَّ مِنَ الْأَخْطَارِ الصَّعْبِ
وَالذُّلُولِ، وَحَافِظَ عَلَى الْمُهَوِّدِ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الْغَادِرِ الْمُلُولِ.
سَقَاهَا أَحْيَا^(٢) مِنْ أَرْبَعٍ وَطُلُولِ^(٣)

حَكَتْ دَنَقِي مِنْ بَعْدِهِمْ وَتُحُولِي

(١) شجاء وأشجاء اذ أحزنه وهيجه (٢) أى الغيث (٣) جمع طلل :
ما درس من آثار الديار

صَنَيْتُ لَهَا أَجْفَانَ عَيْنٍ قَرِيحَةٍ^(١)

مِنَ الدَّمْعِ مِذْرَارِ الشُّوْثِ هُمُولٍ^(٢)

وَمِنَ الْغَرِيبِ، الَّذِي يُنْكِرُهُ غَيْرُ الْأَرِيبِ، أَنَّ الْحَادِي^(٣)

إِنْ سَرَّ الْقَلْبَ بِكَشْفِ رَيْنٍ^(٤)، فَقَدْ تَسَبَّبَ فِي اجْتِمَاعِ أَمْرَيْنِ

مُتَنَافَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ

تَرَمَّمَ حَادٍ بِالصَّرِيمِ^(٥) فَشَاقَنِي

إِلَى ذِكْرِ مَنْ بَاتَتْ ضُلُوعِي تَضْمُهُ

فَسَرَّ وَسَاءَ الْفَنَسَ شَجَوًّا فَرُبَّمَا

كَلِفْتُ بِهِ مِنْ حَيْثُ صِرْتُ أَذْمُهُ

وَأَرْجَحْتُ حِينَ مَلَيْتُ مِنْ طُولِ الشَّرَى، مُضْمِنًا ذِكْرَ

مَا أُرْوَمُ لَهُ تَيْسَرًا، وَقَدْ أَكْثَرَ الرَّفَاقُ عِنْدَ رُؤْيَا مَا لَمْ

يَأْلِفُوهُ مِنَ الْآفَاقِ تَلَهُّفًا وَتَحَسُّرًا

قُلْتُ لِمَا طَالَ النَّوَى عَنِ بِلَادِي وَلِأَهْلِ النَّوَى جَوَى وَعَوِيلُ

هَلْ أَرَى لِلْفِرَاقِ آخِرَ عَهْدٍ إِنَّ عُمَرَ الْفِرَاقِ عُمَرُ طَوِيلُ

(١) مجروحة (٢) هملت العين السموغ : هطلت (٣) هو الذي يفتنى للابل

يضعها على الاسراع في السبر (٤) الرين : من معانيه الصدا وما يفتنى القلب كالصدا

(٥) الصريم : موضع بعينه ، أو واد باليمن ، والارض السوداء لاتنبت شيئا

ثُمَّ قُلْتُ مُضْمَنًا :

لَا عِيَّ فِي ذِكْرِ أَحْبَابٍ نَأَوَا لَا تَلُمَنَّ مِنْ أَضْعَفِ الشَّوْقِ قُوَاهُ
إِنَّ يَوْمًا جَامِعًا شَمَلِي بِهِمْ ذَاكَ عَيْدِي لَيْسَ لِي عَيْدٌ سِوَاهُ
ثُمَّ قُلْتُ مُضْمَنًا أَيْضًا :

لَكَ اللَّهُ مِنْ صَبٍّ أَضْرَبَ بِهِ النَّوَى
وَلَيْسَ لَهُ غَيْرَ اللَّقَاءِ طَيِّبٌ

وَإِنَّ صَبَاحًا نَلْتَقِي بِمَسَائِهِ

صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْمَشُوقِ حَيِّبٌ^(١)

ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الصَّبْرِ ، بَعْدَ إِمْعَانِ النَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ

وَإِنِّي لَأَذْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً

وَلَكِنَّ إِنْفَاقِي عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عُمُرِي

فَلَا تُطْفِئُ نَارَ الشَّوْقِ بِالشَّوْقِ طَالِبًا

سُلُوءًا فَإِنَّ الْجُمْرَ يُسْعَرُ بِالْجُمْرِ

ثُمَّ سَلَكَتُ مَنَهِجَ التَّفْوِيزِ وَالتَّسْلِيمِ ، مُنْشِدًا قَوْلَ

أَبْنِ قَطْرِ آلِ الْمَغْرِبِيِّ فِي مَقَامِ النُّصْحِ وَالتَّعْلِيمِ ، وَوَجَّهْتُ

الْقَصْدَ إِلَى سُكَّانِ الضَّمِيرِ بِذَلِكَ التَّكْلِيمِ :

(١) البيت الثاني المضمن من قصيدة إبراهيم بن المهدي في رثائه لابنه

إِنَّ أَيَّامَ الرِّضَا مَعْدُودَةٌ وَالرِّضَا أَجَلُ شَيْءٍ بِالْعَيْدِ
لَا تَطْنُوا عَنْكُمْ لِي سَلْوَةٌ مَا عَلَى شَوْقِي إِلَيْكُمْ مِنْ مَزِيدٍ
وَاجْعُوا أَنْفُسَكُمْ تَسْتَيْقِنُوا

أَنْفُسَكُمْ فِي الْوَقْتِ أَقْصَى مَا أُرِيدُ
إِنَّ يَوْمًا يَجْمَعُ اللَّهُ بِكُمْ فِيهِ شَمْلِي ذَاكَ عِنْدِي يَوْمُ عِيدٍ
وَقَوْلَ بَعْضِ مَنْ نَدِمَ عَلَى الْبُعْدِ عَنِ الْمَعَاهِدِ ، وَأَمَّلَ
الْعَوْدَ - وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ - إِلَى الْمَشَاهِدِ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ ذَنْبَهُ إِنَّ
عَادَ ، وَتَلَهَّفَ أَنْ لَمْ يُعَامِلْهُ بِغَيْرِ الْإِنْعَادِ :

لَئِنْ عَادَ جَمْعُ الشَّمْلِ فِي ذَلِكَ الْحَمَى
غَفَرْتُ لِلدَّهْرِ كُلَّ ذَنْبٍ تَقَدَّمَ
وَإِنْ لَمْ يَعُدْ مَنَيْتُ نَفْسِي بِعَوْدَةٍ

وَمَاذَا عَسَى تُجِدِي الْأَمَانِي وَقَلَمًا
يَحِقُّ لِقَلْبِي أَنْ يَدُوبَ صَبَابَةً
وَلِلْعَيْنِ أَنْ تَجْرِيَ مَدَامِعُهَا دَمًا
عَلَى زَمَنِ مَاضٍ بِهِمْ قَدْ قَطَعْتُهُ

أَبَسْتُ بِهِ ثَوْبَ الْمَسَرَّةِ مُغْلَمًا^(١)

وَقَوْلَ آخَرَ يُخَاطَبُ أَحِبَّاهُ ، وَيَذْكُرُ فَوَاصِلَ بَحْرِ
النَّوَى الطَّوِيلِ وَأَسْبَابَهُ :

أُعِذُّكُمْ مِنْ لَوْعَتِي وَشُجُونِي وَنَارِجَوَى تُذَكِّي بِمَاءِ شَوْوَنِي
وَبَرَجِ أَسَى لَمْ يَبْقَ فِي يَقِينَةٍ سِوَى حَرَكَاتٍ تَارَةً وَسُكُونٍ
أَرَى الْقَلْبَ أَضْحَى بِمَدِّ طَارِقَةِ الْأَسَى
أَسِيرَ صَبَابَاتٍ رَهِينِ شُجُونٍ

وَكَيْفَ سَبِيلُ الْقُرْبِ مِنْكُمْ وَدُونَكُمْ
رِمَالُ زُرُودٍ^(١) وَالْأَجَارِعُ^(٢) دُونِي
سَلُّوْا مَضْجَعِي هَلْ قَرَّ مِنْ بَعْدِ بَعْدِكُمْ
وَهَلْ عَرَفْتُ طَعْمَ الرِّقَادِ جُفُونِي؟؟

سَهْرَنَا بِنِعْمَانٍ وَنَعْمُ يَبَابِلٍ
فِي الْعُيُونِ مَا وَقَتْ لِعُيُونٍ
وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، أَسَلَّى بِقَوْلِ بَعْضِ الْأَنْدُلُسِيِّينَ
الْأَعْيَانِ :

(١) اسم موضع (٢) جمع أجرع : وهو المكان الواسع فيه حزنونة

لَا تَكْتَرِثُ بِفِرَاقِ أَوْطَانِ الصَّبَا
فَمَسَى تَنَالُ بِغَيْرِهِنَّ سُؤدَا
فَالْدُرُّ يُنْظَمُ عِنْدَ فَقْدِ بَحَارِهِ
بِجَمِيلِ أَجْيَادِ الْحِسَانِ عُقُودَا
وَقَوْلٍ غَيْرِهِ :

فَمَسَى اللَّيَالِي أَنْ تَمُنَّ بِنَظْمِنَا عِقْدًا كَمَا كُنَّا عَلَيْهِ وَأَكْمَلَا
فَلَرُبَّمَا تُثِرُ الْجَمَانَ تَعَمُّدًا لِيُعَادَ أَحْسَنُ فِي النِّظَامِ وَأَجْمَلَا
وَأَرْغَبُ لِمَنْ أَطَالَ ذُيُولُ الْغُرْبَةِ أَنْ يُقَلِّصَهَا^(١) ، وَأَطْلُبُ
مِمَّنْ أَجَالَ الْنفُوسَ فِي سُيُولِ الْكُرْبَةِ أَنْ يُخَلِّصَهَا .

فَنَلْتَقِ وَعَوَادِي الدَّهْرِ غَافِلَةً
عَمَّا نَزُومُ وَعَقْدُ الْبَيْنِ مَحْلُولُ
وَالدَّارُ آنِسَةٌ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعُ
وَالطَّيْرُ صَادِحَةٌ وَالرَّوْضُ مُطْلُولُ^(٢)
وَأَضْرَعُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي تَيْسِيرِ الْعُودِ إِلَى أَوْطَانِي ،

(١) أى يقصرها (٢) أى مبالول بالطل ، وهو الندى

وَمَعْدَى الَّذِي مَطَايَا الْعِزِّ أَوْطَانِي^(١) ، وَأَنْ يُلْحِقَنِي بِذَلِكَ
الْأَفْقِ الَّذِي خَيْرُهُ مَوْفُورٌ ، وَحَقٌّ مَنْ فِيهِ مَعْرُوفٌ لَا
مُنْكَرٌ وَلَا مَكْفُورٌ .

إِذَا ظَفَرْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُرْبِهِمْ فَكُلُّ ذَنْبٍ جَنَاهُ الدَّهْرُ مَقْفُورٌ
وَكَأَنِّي بِمَاتِبٍ^(٢) يَقُولُ : مَا هَذَا التَّطْوِيلُ ؟ فَأَقُولُ لَهُ :
جَوَابِي قَوْلُ ابْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ الَّذِي عَلَيْهِ التَّعْوِيلُ :
أَكْثَرْتُ عَذْلِي كَأَنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ
بَكَى عَلَى مَنْسَكَيْنِ أَوْ حَنْ لِلْسَّكَنِ

لَا تَلَحْ^(٣) إِنْ مِنَ الْإِيمَانِ عِنْدَ ذَوَى الْأَلِ
إِيمَانٍ مِنَّا حِينَئِذٍ النَّفْسُ لِلْوَطَنِ
عَلَى أَنَّيْ أَقُولُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي مَا فِيهِ الْخَيْرَةُ لِي بِالْمَشَارِقِ
أَوِ الْمَغَارِبِ ، وَجُدْ لِي مِنْ فَضْلِكَ حَيْثُ حَلَلْتُ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ
رِضَاكَ مِنَ الْمَآرِبِ ، بِجَاهِ نَبِيِّنَا وَشَفِيعِنَا الْبِعُوثِ رَحْمَةً
لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَعَاجِمِ وَالْأَعْرَابِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ
وَأَزْكَى سَلَامٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَغْلَامِ ، وَالتَّالِعِينَ لَهُمْ

(١) أَى أوطانى مطايا العز : أى أركبها (٢) يصح أن يكون (بانب)

(٣) لحن الرجل يلحاه لحن : لاهمه وعذله

بِإِحْسَانٍ مَا ذَرَّ^(١) شَارِقٌ وَتَعَاقَبَ طَالِعٌ وَغَارِبٌ
 ثُمَّ جَدَّ بِنَا السَّيْرِ فِي الْبَرِّ أَيَّامًا ، وَتَأَيَّنَا عَنْ الْأَوْطَانِ الَّتِي أَطْنَبْنَا
 فِي الْحَدِيثِ حُبًّا لَهَا وَهَيْامًا ، وَكُنَّا عَنْ تَفَاعِيلِ فَضْلِهَا نِيَامًا ،
 إِلَى أَنْ رَكِبْنَا الْبَحْرَ ، وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّحْرِ^(٢) وَالنَّحْرِ ، وَشَاهَدْنَا
 مِنْ أَهْوَالِهِ ، وَتَنَافَى أَحْوَالِهِ ، مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ ، وَلَا يُبْلَغُ
 لَهُ كُنْهُ .

الْبَحْرُ صَعْبُ الْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
 أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ ؟
 فَكَمْ أَسْتَقْبَلْنَا أَمْوَاجَهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرٍ^(٣) وَطَارَتْ
 إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ عِقْبَانُ كَوَاسِرٍ ، قَدْ أَزْعَجَهَا أَكْفُ الرِّيحِ
 مِنْ وَكْرِهَا ، كَمَا تَبَهَّتِ اللَّجَجُ مِنْ سُكْرِهَا ، فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا
 مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا ، فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا ، وَلِلرِّيَّاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا
 وَزَفِيرًا ، وَتَيَقَّنَّا أَنَّا لَا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ مُجِيرًا
 وَخَفِيرًا « وَإِذَا مَسَّكُمْ الْأُفْرُؤُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
 إِلَّا إِلَهُهُ » وَأَيْسَنَامِنْ الْحَيَاةِ ، لِصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَالْمِيَاهِ ،

(١) ذر النجم : طلع (٢) السحر : الرثة ، والنحر : موضع القلادة ،

والمراد صرنا بين لججه (٣) أى عوايس

فَلَا حَيًّا اللَّهُ ذَلِكَ أَهْوَلُ الْمُرْجِعِ وَلَا يَبَاهُ^(١). وَالْمَوْجُ
يُصَفُّ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ الرِّيَّاحِ فَيَطْرَبُ بَلَنَ وَيَضْطَرِبُ ،
فَكَأَنَّهُ مِنْ كَأْسِ الْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ ، فَيَتَعَدُّ
وَيَقْتَرِبُ . وَفِرْقُهُ تَلْتَطِمُ وَتَضْطَفِقُ ، وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ
تَتَّقِي ، فَتَخَالُ الْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا ، وَتَجْذِبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ
قَوَاصِيهَا ، حَتَّى كَادَ سَطَحُ الْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا ، وَعَيْنَانُ^(٢)
السُّحْبِ يُخْطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا . وَقَدْ أَشْرَفَتِ النُّفُوسُ عَلَى
التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَاعْتِلَالِهَا ، وَأَذْنَتِ الْأَحْوَالُ بَمَدِّ انْتِظَامِهَا
بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَرَأَتْ فِي صُورِهَا الْمُنُونُ .
وَالشَّرَاعُ ، فِي قِرَاعٍ ، مَعَ جُيُوشِ الْأَمْوَاجِ ، الَّتِي أَمِدَّتْ مِنْهَا
الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ ، وَنَحْنُ قُعُودٌ ، كَدُّودٍ عَلَى عُودٍ ، مَا بَيْنَ
فُرَادَى وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَامِنِ الْقَلْقِ أَمْكِتُنَّا ، وَخَرِسَتْ
مِنْ الْفَرَقِ السِّنْتُنَا ، وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ ، أَغْوَارُ^(٣)

(١) يباه : أضحكه . وقيل يباه معناه بواه منزلا ، إلا أنها لما جاءت مع
حياته تركت الهمزة وأبدلت واوه ياء (٢) العنان بالكسر سير اللجام تمسك
به الدابة ، والعنان (بالفتح) السحاب - ولعل الكسر أنسب لتشبيهه
السحب في سيرها واستقلالها بالدابة (٣) أغوار : جمع غور : وهو المكان
المنخفض . ونجود جمع نجد : وهو المكان المرتفع

وَلَا نُجُودُ، إِلَّا أَلْسَاءُ، وَالْمَاءُ، وَذَلِكَ السَّيْفُ، وَمَنْ فِي قَبْرِ
جَوْفِهِ دَفِينٌ، مَعَ تَرْقُبِ هُجُومِ الْعَدُوِّ، فِي الرُّوَّاحِ وَالْعُدُوِّ،
لِاجْتِيَاذِهِ عَلَى عِدَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْحَرْبِ، دَمَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَنْ
فِيهَا وَأَذْهَبَ بِفَتْحِهَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْكَرْبَ، لَا سِيَّامَا لَطَّةَ
الْمَلْعُونَةِ، الَّتِي يَتَحَقَّقُ مَنْ خَلَصَ مِنْ مَعْرِهَا أَنَّهُ أَمِيدٌ بِتَأْيِيدِ
إِلَهِيٍّ وَمَعُونَةٍ. فَقَدْ أُعْتَرِضَتْ فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ الشَّامِي شَجَا،
وَقَالَ مَنْ رَكِبَهُ فَأَفْلَتَ مِنْ كَيْدِهَا وَنَجَا، فَرَادَنَا ذَلِكَ الْخَذَرُ،
الَّذِي لَمْ يُبْقِ وَلَمْ يَذَرْ، عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ
قَلَقًا، وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مَيْدَانِ الْإِلْقَاءِ بِالْيَدِ إِلَى اتِّهْلُكَةِ
طَلَقًا^(١)، وَتَشَتَّتْ أَفْكَارُنَا فِرْقًا، وَذُبْنَا أَسَى وَنَدَمًا وَفِرْقًا^(٢)،
إِذِ الْبَحْرُ وَحْدَهُ لَا كَمِيٍّ^(٣) يُقَارِعُهُ، وَلَا قَوِيٍّ يُصَارِعُهُ،
وَلَا شَكْلٍ يُضَارِعُهُ. لَا يُؤْمَنُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا يَفْرَقُ
بَيْنَ عَاطِلٍ وَحَالٍ. وَلَا يَبْنِي أَعْزَلَ وَشَاكِي^(٤)، وَمُتَبَاكِ وَبَاكِ
ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَمَانٌ الْبَحْرُ وَالسُّلْطَانُ وَالزَّمَانُ

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل (٢) الفرق : الخوف

(٣) الكمي : الشجاع (٤) الشاكي : المذموم بالسلح

فَكَيْفَ وَقَدْ أَنْصَمَ إِلَيْهِ خَوْفُ الْمَدُوِّ الْغَادِرِ الْخَائِنِ ،
 الْكَافِرِ الْخَائِنِ ^(١) ، إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالنَّجَاةِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ
 الْكَائِنُ ، وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْمَأْنُ ^(٢) . فَرَأَيْنَا الْبَرَّ
 وَكَأَنَّا قَبْلُ لَمْ نَرَهُ ، وَشُفِيتَ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنَ الْمَرَمِ ^(٣) ، وَحَصَلَ
 بَعْدَ الشَّدَةِ الْفَرَجُ ، وَشَمِمْنَا مِنَ السَّلَامَةِ أَطْيَبَ الْأَرْجِ ،
 فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا النَّقَابَ ، يَقِلُّ شُكْرًا
 لَهَا صَوْمُ الْأَحْقَابِ ^(٤) وَعَتَقُ الرُّقَابَ ، جَعَلَنَا اللَّهُ بِآيَاتِهِ
 مُتَعَبِّرِينَ ، وَعَلَى طَاعَتِهِ مُصْطَبِرِينَ ، وَلَمْ نَخْلُ فِي الْبَرِّ مِنْ مُمَانَةٍ
 خُطُوبٍ ، وَمُدَارَاةٍ وَجُوهٍ لِلْمَتَاعِ ذَاتِ تَجَهُّمٍ وَقُطُوبٍ .
 فَكَمْ جُبْنَا مِنْهُ مَهَامَةٍ فَيَحَا ، وَمَسَحْنَا بِالْخَطَا مِنْهَا أُثِيرًا ^(٥)
 وَصَفِيحًا ^(٦) ، وَقَلَيْنَا الْفِجَاجَ ^(٧) وَقَرَأْنَا مِنَ الطَّرْقِ خُطُوطًا ذَاتَ
 اسْتِقَامَةٍ وَأَعْوِجَاجٍ ، وَقُلُوبُ الرُّفْقَةِ مِنَ الْفُرْقَةِ فِي اضْطِرَابٍ
 وَأَرْتِجَاجٍ ، وَرُبَّمَا عَمِيَتْ عَلَى الْمُجْتَهِدِ الْأَدِلَّةُ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا

(١) أى الهالك (٢) أى الكاذب (٣) مرهت العين : فسدت لترك الكحل
 وابتضت حماليقها : تقول رجل أمره وامرأة مرهاء (٤) الاحقاب :
 الدهور (٥) الاثير عند الاقدمين : الفلك التاسع فهو على تشبيه المهامه بالفلك
 فى انساغه ، أو الاثير من اثر السيف وهو فرنده وروقه وديباجته ، وسيف
 ماثور فى منته اثره ، ولعل هذا الذى أنسب (٦) الصفيح . وجه كل شئ
 عريض ، والسيف المريض (٧) أى بحثناها وعرّفناها

عَلَى الْمَذْهَبِ الْإِحْتِجَاجُ ، فَتَرَى الْأَنْفَاسَ تَعَثُرُ فِي زَفَرَةٍ
الْأَشْوَاقِ ، وَالْأَجْسَامَ قَدْ زُرَّتْ عَلَيْهَا مِنَ النَّصَبِ الْأَطْوَأُ .
هَذَا وَاللَّيْلُ بِصَفْحَةِ الْبَدْرِ مُرْتَابٌ ، وَقَدْ شُدَّتْ رِحَالُ
وَأَقْتَابُ^(١) ، وَزُمَّتْ رِكَابُ^(٢) ، وَرُفِعَتْ أَحْدَاجُ ، وَفُرِيَتْ
مِنَ الدَّعَةِ بِمُدَّةِ النَّصَبِ أَوْدَاجُ ، وَتَسَاوَى فِي السَّيْرِ
نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَلَيْلٌ مُقْمِرٌ أَوْدَاجُ ، وَادِيمَ التَّأْوِيبِ^(٣)
وَالْإِسْتَادُ ، وَحِمْلُ الْعُرْبَةِ قَدْ أَثْقَلَ وَادٍ^(٤) ، ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ
خَوْضٍ بِحَارٍ ، يَذْهَبُ فِيهَا الْفِكْرُ وَيَحَارُ ، وَجَوْبٌ فَيَافٍ
بِمَاهِلٍ ، يَضِلُّ فِيهَا الْقَطَا عَنْ الْمَنَاهِلِ ، إِلَى مِصْرَ
الْمَحْرُوسَةِ فَشَفِينَا بِرُؤْيَيْهَا مِنَ الْأَوْجَاعِ ، وَشَاهَدْنَا كَثِيرًا
مِنْ مَحَاسِنِهَا الَّتِي تَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهَا الْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعُ ،
وَتَمَثَّلْنَا فِي بَدَائِعِهَا الَّتِي لَا نَسْتَوْفِيهَا ، بِقَوْلِ ابْنِ نَاهِضٍ فِيهَا:
شَاطِئُ مِصْرَ جَنَّةٌ مَا مِثْلُهَا فِي بَلَدٍ

(١) جمع قتب وهو كاف البعير . وقيل هو كاف صغير على قدر سنه
البعير . والاكاف للبعير كالبرذعة للحمار (٢) الركاب : الابل . واحداها
راحلة جمعها ركب وركابات وركائب (٣) التأويب : سير النهار لا تمر يج فيه ،
والاستاد سير الليل كله لا تمر يس فيه (٤) آده الامر : بلغ منه الجهد

لَا سِيًّا مُذْ زُخِرِفَتْ بِنِيلَهَا الْمُطَّرِدِ
وَلَكَّرِيَّاحٍ قَوْقُهُ سَوَابِغٌ^(١) مِنْ زَرْدِ
مَسْرُودَةٍ^(٢) مَا مَسَّهَا دَاوُدُهَا عِمْبَرِدِ
سَائِلَةٌ وَهُوَ بِهَا يَرْعُدُ عَارِي الْجَسَدِ
وَالْفَلَكَ^(٣) كَالْأَفْلَاقِ يَنْسَنَ حَادِرٍ وَمُصْعِدِ
وَبَقَوْلٍ آخَرَ :

أَنْظُرْ إِلَى النِّيلِ الَّذِي ظَهَرَتْ بِهِ آيَاتُ رَبِّي
فَكَأَنَّهُ فِي فِيضِهِ دَمْعِي وَفِي الْخَفَقَانِ قَلْبِي
وَبِقَوْلِ أَبِي الْكَأَرِمِ الْخَطِيرِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ مَمَاتِي^(٤) فِي
جَزِيرَتَيْهَا :

جَزِيرَةٌ مِصْرٍ لَاعَدَتْكَ مَسْرَةٌ
وَلَا زَالَتْ اللَّذَاتُ فِيكَ اتِّصَالًا

فَكَمْ فِيكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَى غُصْنٍ قَامَةٍ
يُمِيتُ وَيُحْيِي هَجْرُهَا وَوِصَالُهَا

(١) أى دروع . على تشبيهه بجعدات الماء وبريقه بالدروع (٢) من السرد: وهو النسج والنظم (٣) أى السفن (٤) هو القاضي ادريس أسعد بن الخطير المصرى الكاتب الشاعر كان ناظر البواوين بالديار المصرية توفى بحلب سنة ٦٠٦

مَغَانِيكَ^(١) فَوْقَ النَّيْلِ أَضَحَّتْ هَوَادِجًا

وَمُخْتَلِفَاتُ الْمَوْجِ فِيكَ حِبَالُهَا
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّكَ جَنَّةٌ تُمَدُّ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ظِلَالُهَا
لَعَلَّهُ أَرَادَ بِأَهْلِ الضَّلَالِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الْمُسْتَوَلِينَ
إِذْ ذَاكَ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَتَذَكَّرْتُ فِي مِصْرَ قَوْلَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ :
بِاللَّهِ قُلْ لِلنَّيْلِ عَنِّي إِنِّي لَمْ أَشْفِ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ غَلِيلًا
وَسَلِ الْفُؤَادَ فَإِنَّهُ لِي شَاهِدٌ إِنْ كَانَ طَرَفِي بِالْبُكَاءِ بَخِيلًا
يَا قَلْبُ كَمْ خَلَفْتَ ثُمَّ بُيِّنَتْ^(٢)

وَأُظُنُّ صَبْرَكَ أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٣)
وَقَوْلَ أَحْمَدَ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ :

لِمِصْرَ فَضْلٌ بَاهِرٌ بِعَيْشِهَا الرِّغْدِ الْنَضْرُ
فِي سَفْحِ رَوْضٍ يَلْتَقِي مَاءُ الْحَيَاةِ وَالْخَضْرُ
وَقَوْلَ آخَرَ^(٤) :

كَأَنَّ النَّيْلَ ذُو فَهْمٍ وَلُبٍّ لِمَا يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاسِ مِنْهُ
فَيَأْتِي حِينَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ وَيَمْضِي حِينَ يَسْتَعْمُونَ عَنْهُ

(١) مغانيك : م. نازك (٢) هي محبوبة جميل بن معمر (٣) فيه تورية لا تخفى

(٤) هو ناصر الدين ابن النقيب المتوفى سنة ٦٨٧ هـ

وَقَوْلَ آخَرَ :

وَلِلَّهِ حَجَرِي النَّيْلِ مِنْهُ إِذَا الصَّبَا

أَرْتَابُهُ مِنْ مَرَّهَا عَسْكَرًا حَجْرًا^(١)

بِشَطِّ يَهْزُ السَّمَرِيَّةِ^(٢) ذُبْلًا

وَمَوْجِ يَهْزُ الْبَيْضَ هِنْدِيَّةً بُتْرًا^(٣)

إِذَا مَدَّ^(٤) حَاكِي الْوَرْدَ لَوْ نَاوٍ إِنْ صَفَا

حَاكِي مَاءَهُ لَوْ نَاوٍ وَلَمْ يَحْكِهِ مَرًّا

وَقَوْلَ آخَرَ :

وَاهَا لِهَذَا النَّيْلِ أَيْ عَجِيبَةٍ بَكْرٍ يَمِثِلُ حَدِيثَهَا لَا يُسْمَعُ

يَنْتَلِقُ الْتَرَى^(٥) فِي الْمَاءِ وَهُوَ مُسَلَّمٌ حَتَّى إِذَا مَا مَالَ عَادَ يُودَّعُ

مُسْتَقْبَلٌ مِثْلُ الْهَلَالِ فَدَهْرُهُ أَبْدَانُ يَزِيدُ كَمَا يَزِيدُ^(٦) وَيَرْجِعُ

(١) الكبير العدد (٢) الرماح السمهرية: نسبة الى فين اسمه سمهور. وذبل

جمع ذابل : وهو الرمح الدقيق (٣) السيوف الهندية : المصنوعة في بلاد

الهند. وبتر : جمع بتر : أى قاطع (٤) المد كثرة الماء أيام الزيادة، أى فى مدة

الفيضان يحمر ماؤه فيشبه الورد ، فاذا صفا حكى ماء الورد صفاء ولم يحكه

فى مروره أى ذهابه وحركته، فالنيل جار مطرد غير راكد (٥) أى الطمى

والفرين ، والثرى التراب التدى (٦) لغير يذله

وَقَوْلُ ابْنِ النَّقِيبِ :

الصَّبُّ مِنْ بَعْدِهِمْ مُفْرَدٌ وَدَمْعُهُ النَّيْلُ وَتَعْلِيْقُهُ
وَخَذَهُ لَمَّا بَكَاهُمْ دَمًا مِقْيَاسُهُ وَالْدَّمْعُ تَخْلِيْقُهُ

وَقَوْلُ الصَّفْدِيِّ :

سَقِيًّا لِيَصْرَ وَمَا حَوَتْ مِنْ أَنْسِهَا وَأَنْسِهَا
وَعَاسِنٍ فِي مَقْسِيهَا^(١) تَبْدُو فِي مِقْيَاسِهَا
وَمَسْرَةٍ كَأَسَاثِهَا تُجَلَى عَلَى أَكْيَاسِهَا
وَسُطُورٍ قُرْطِ خَطِّهَا عَلَى قِرْطَاسِهَا
وَدُمَى^(٢) كَنَائِسِهَا وَلَا تَنْسَى ظِبَاءَ كِنَائِسِهَا
وَلَطَافَةٍ بِجَلَالَةٍ تَبْدُو عَلَى جُلَاسِهَا
وَنَوَاسِمٍ كُلُّ أَلْمَنِ لِلنَّفْسِ فِي أَفْقَاسِهَا
وَمَرَائِبٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأُمُوجُ فِي وَسْوَاسِهَا

وَقَوْلُ ابْنِ جَابِرٍ الْأَنْدَلُسِيِّ :

مَا زِلْتُ أَسْنِدُ مِنْ عَاسِنٍ أَرْضَهَا خَيْرًا صَحِيحًا لَيْسَ بِالْمَقْطُوعِ

(١) المقس : موضع كان بين يدى القاهرة على النيل (وكان قبل الاسلام يسمى أم دنين) وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء القسطنطين . والمقس كان فى القديم يقعد عنده العامل على المكس فقلب وسمى المكس . ومقياسها : مقياس الروضة . ومركز مصر القديمة على نهر النيل (٢) دمي : جمع دمية وهى التماثيل الصغيرة

كَمْ مُرْسَلٍ مِنْ بَيْلِهَا وَمُسْلَسَلٍ وَمُدَّبِّجٍ مِنْ هَضْبِهَا الْمَرْفُوعِ
وَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِوَنَ:
وَالنَّيْلُ يَنْ أُلْجَانَيْنِ كَأَنَّمَا

صَدَّتْ بِصَفْحَتِهِ صَفِيحَةٌ^(١) صَيْقَلٍ^(٢)
يَا تَيْكَ مِنْ كُذْرِ الزَّوَاخِرِ مَدَّةُ

بِمَسْكَ^(٣) مِنْ مَائِهِ وَمُصْنَدِلِ
فَكَانَ ضَوْءُ الْبَدْرِ فِي تَوَاجِجِهِ بَرَقَ تَمَوَّجٌ فِي سَحَابِ مُسْبِلِ
وَكَانَ نُورَ الشُّرْجِ مِنْ جَنَابَتِهِ

زُفْرُ الْكَوَاكِبِ تَحْتَ لَيْلِ الْيَلِ
مِثْلُ الرِّيَاضِ مُفْتَقًا أَنْوَارُهُ تَبْدُو لَعِينِ مُشَبِّهِ وَمُثَلِّ
وَقَوْلِ ابْنِ الصَّاحِبِ:

فَرِحَ الْأَنَامُ بِبَيْلِهِمْ إِذْ صَارَ أَحْمَرَ كَالشَّقِيقِ
وَتَبَرَّكُوا بِشُرُوقِهِ فَكَأَنَّهُ وَادِي الْعَقِيقِ^(٤)

(١) أي السيف المريض (٢) أي الذي يجلو السيوف ويصلها (٣) أي
بماء مزج مسكا وصندلا ، كناية عن كدرته بما خالطه من الطمي (٤) واد
بقرب المدينة المنورة ، وفي لفظ العقيق تورية

وَقَوْلَ آخَرَ :

أَحْمَرٌ لِلنَّيْلِ خَدٌّ حَتَّى غَدَا كَالشَّقِيقِ
وَقَدْ تَرَنَّمْتُ فِيهِ إِذْ صَارَ وَادِي الْعَقِيقِ
ثُمَّ شَمَرْتُ عَنْ سَاعِدِ الْعَزَمِ بَعْدَ الْإِقَامَةِ بِمَضْرُوءَةٍ
قَلِيلَةٍ ، إِلَى الْمُهَمِّ الْأَعْظَمِ وَالْمَقْصِدِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ سِرُّ
الْمَطَالِبِ الْجَلِيلَةِ ، وَهُوَ رُؤْيَا الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَالْعَلَمَيْنِ
الْمُنِيفَيْنِ ، زَادَهُمَا اللَّهُ تَنْوِيهًا^(١) ، وَبَلَغَ النُّفُوسَ بَرَكَاتِهِ مَنْ
شَرَفَاهُ مَا رَبِّ لَمْ تَرَ تَنْوِيهًا^(٢) ، فَسَافَرْتُ فِي الْبَحْرِ إِلَى
الْحِجَازِ ، رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأَجْرِ الْإِتِحَازِ ، إِلَى أَنْ
بَلَغْتُ جُدَّةَ ، بَعْدَ مُكَابَدَةِ خُطُوبٍ اتَّخَذَتْ لَهَا مِنَ الصَّبْرِ
عُدَّةً ، فَحِينَ حَصَلَ الْقُرْبُ ، وَاکْتَحَلَتِ الْعَيْنُ بِإِثْمِدِ
تِلْكَ الثَّرْبِ ، تَرَنَّمْتُ بِقَوْلٍ مِنْ قَالٍ ، مُحَرِّضًا عَلَى الْوُخْدِ
وَالْإِرْقَالِ^(٣) :

بَدَا لَكَ الْحَقُّ فَاقْطَعْ ظَهَرَ يَدَّاءٍ وَأَهْجُرْ مَقَالَةَ أَحْبَابٍ وَأَعْدَاءَ

(١) أي شهرة ورفعة صيت (٢) من النية (٣) الوخد والارقال :

نوعان من السير السريع للابل

وَأَقْصِدْ عَلَى عِزْمَةِ أَرْضِ الْحِجَازِ تَجِدُ
بُعْدًا عَنِ السُّخْطِ فِي نَزْلِ الْأَوْدَاءِ

وَقُلْ إِذَا نِلْتَ مِنْ أُمِّ الْقُرَى أَرْبًا
وَهُوَ الْوُصُولُ بِإِسْرَارٍ وَإِبْدَاءِ

يَأْمَكَةَ اللَّهِ قَدْ مَكَّنْتَ لِي حَرَمًا
مُؤَمَّنًا لَسْتُ أَشْكُو فِيهِ مِنْ دَاءٍ

فَمَذُ رَأَى النَّازِحُ^(١) الْمُسْكِينَ مَسْكَنَهُ
فِي قُطْرِكَ الرَّحْبِ لَمْ يُنْكَبْ بِأَرْزَاءِ^(٢)

شَوْقُ الْفَوَادِ إِلَى مَغْنَاكَ مُتَّصِلٌ
شَوْقُ الرِّيَاضِ إِلَى طَلٍّ وَأَنْدَاءِ^(٣)

ثُمَّ أُنْشِدْتُ عِنْدَ مَا بَدَتْ أَعْلَامُ الْبَيْتِ الْحُرَامِ ، قَوْلَ
بَعْضِ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّوْقُ وَالْفَرَامُ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمَانِيهِ
الْمُوجِبَةِ بِشَائِرِهِ وَتَهَانِيهِ الْمَرَامِ :

(١) النازح : المفارِق لوطنه (٢) جمع رزه أى مصيبة

(٣) الانداء : جمع الندى ، وهو ما يسقط في الليل من بخار الماء المتكاثف

وَأَفَى الْحَجِيجِ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَدْ

سَجَا^(١) الدُّجَى فَرَأَوْا نُورًا بِهِ بَرْغًا

عَجُّوا عَجِيجًا وَقَالُوا اللَّهُ أَكْبَرُ مَا

لِلْجَوْ مُؤْتَلِفًا بِالنُّورِ قَدْ صُبِغَا

قَالَ الدَّلِيلُ أَلَا هَاتُوا بَشَارَتَكُمْ

فَمَنْ نَوَى كَمْبَةَ الرَّحْمَنِ قَدْ بَلَّغَا

نَادَوْا عَلَى الْعِيسِ بِالْأَشْوَاقِ وَأَتَجَبُّوا

وَحَنَّ كُلُّ فُوَادٍ نَحْوَهَا وَصَغَا^(٢)

وَكُلُّ مَنْ ذُمَّ فِعْلًا نَالَ مُحَمَّدَةً

فِي مَكَّةٍ وَحَمَا مَا قَدْ جَنَى وَبَنَى^(٣)

وَلَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عَلَى الْبَيْتِ الشَّرِيفِ وَكَدْتُ أُغِيبُ

عَنِ الْوُجُودِ ، وَأُسْتَشْعَرْتُ قَوْلَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ الشُّبْلِيِّ لَمَّا وَقَدْ

إِلَى خَصْرَةِ الْجُودِ :

قُلْتُ لِلْقَلْبِ إِذْ تَرَأَى لِعَيْنِي رَسْمُ دَارٍ لَهُمْ فَهَاجَ أَشْيَاقِي

(١) أي سكن الليل (٢) صغى : مال (٣) بنى : ظلم

هَذِهِ دَارُهُمْ وَأَنْتَ مُحِبٌّ

مَا اخْتَبَسَ الدُّمُوعَ فِي الْأَمَاقِ ؟

وَالْمَعَانِي لِلصَّبِّ فِيهَا مَعَانِي فَهِيَ تُدْعَى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ

حُلَّ عَقْدِ الدُّمُوعِ وَأَحْلُلُ رُبَاهَا

وَأُهْجِرُ الصَّبْرَ وَأُرْعَ حَقَّ الْفِرَاقِ

ثُمَّ أَكْمَلْتُ الْعُمُرَةَ ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ أَكُونَ مِنْ عُمَرَ

بِطَاعَةِ رَبِّهِ عُمَرَهُ ، وَذَلِكَ أَوَائِلَ الْقَعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ

وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ السَّنَةِ ، وَأَقَمْتُ هُنَاكَ مُنْتَظِرًا

وَقْتُ الْحُجِّ الشَّرِيفِ ، وَمُتَفَيِّنًا ذَلِكَ الظَّلَّ الْوَرِيفَ ، وَمُقْتَطِفًا

ثَمَارَ الْقُرْبِ الْجَنِيَّةِ ، إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَوَانُ ، فَأَحْرَمْتُ بِالْحُجِّ مِنْ

غَيْرِ تَوَانٍ ، وَحِينَ حَلَلْتُ مِمَّا بِهِ أَحْرَمْتُ ، نَوَيْتُ الْإِقَامَةَ

هُنَاكَ وَأَبْرَمْتُ ، فَحَالَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ حَائِلٌ ، وَكُنْتُ

حَرِيًّا^(١) بِأَنْ أَتَشِدَّ قَوْلَ الْقَائِلِ :

هَذِي أَبَاطِحُ مَكَّةَ حَوْلِي وَمَا جَمَعَتْ مَشَاعِرُهُا مِنْ الْحُرْمَاتِ

أَدْعُو بِهَا لَبِيْكَ ^(١) تَلْبِيَةَ أَمْرِيْ
يَرْجُو الْخَلَّاصَ بِهَا مِنَ الْأَرْمَاتِ
نَلْتُ الْمُنَى عِنِّي لِأَنِّي لَمْ أَخَفْ
بِالْخَيْفِ مِنْ ذَنْبِ أَحَالِ سَمَاتِي
وَعَرَفْتُ فِي عَرَافَاتِ أُنِّي نَاشِقُ
لِلْمَقْوِ عَرَفًا عَاطِرَ النَّسَمَاتِ
وَأَنْ أَتَمَثَّلَ فِي الْمَطَافِ ، إِذْ حَفَّتْنِي الْأَلْطَافُ ، بِقَوْلِ مَنْ
رَبَعُهُ بِالتَّقْوَى مَشِيدٌ ، الْبُعْدَادَى الشَّهْرِ بِابْنِ رَشِيدٍ ،
عَلَى رَبْعِهِمْ لِلَّهِ يَنْتَ مُبَارَكُ
إِلَيْهِ قُلُوبُ النَّاسِ تَهْوِي ^(٢) وَتَهْوَاهُ
يَطُوفُ بِهِ الْجَلَانِي فَيُغْفِرُ ذَنْبَهُ وَيَسْقُطُ عَنْهُ جُرْمُهُ وَخَطَايَاهُ
وَكَمْ لَذَّةٍ أَوْ فَرَحَةٍ لَطَوَافِهِ فَلِلَّهِ مَا أَخْلَى الطَّوَافَ وَأَهْنَاهُ
ثُمَّ قَصَدْنَا بَعْدَ قَضَاءِ تِلْكَ الْأَوْطَارِ طَيِّبَةَ ^(٣) الشَّرِيفَةِ الَّتِي

(١) لبيك : اجابة لك بعد اجابة (٢) تهوى : تنزل ، من هوى بمعنى هبط .

وتهوى : أى تحب من هوى (٣) أى المدينة للنورة على ساكنها أفضل

لَهَا الْفَضْلُ عَلَى الْأَفْطَارِ ، وَاسْتَشَعَرْتُ قَوْلَ مَنْ أَنْشَدَ وَطَيْرُ
عَزْمِهِ عَنْ أَوْ كَارِهِ قَدْ طَارَ:

حَمِدْتُ مُرَادِي إِذْ بَلَغْتُ مُرَادِي

بِأَمِّ الْقُرَى مُسْتَمْسِكًا بِعِمَادِي

وَمَذْرُوبِيَّتٍ مِنْ مَاءِ مَزْمِ غُلَّتِي فَلَسْتُ بِمُحْتَاجٍ لِمَاءِ ثِمَادٍ^(١)

فَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَلَّتْ ، وَمِنْهُ الَّتِي

نَزَلَتْ بِهَا النُّفُوسُ مَوَاطِنَ التَّشْرِيفِ وَحَلَّتْ ،

مَنْ يَهْدِيهِ الرَّحْمَنُ خَيْرَ هِدَايَةٍ

يَحُلُّ بِمَكَّةَ كَيْ يُتَاحَ^(٢) الْمَقْصِدَا

وَإِذَا قَصَى مِنْ حَجَّهِ الْفَرَضِ أَنْتَنِي

بِشَفِي بِرُؤْيَا طَيِّبَةِ دَاءِ الصَّدَى^(٣)

وَكَانَ حَظِّي فِي هَذِهِ الْحَالِ ، تَذَكُّرُ قَوْلِ بَعْضِ

الْوَشَاحِينَ^(٤) مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ، الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ أُرْتِحَالٌ إِلَى تِلْكَ

(١) جمع ماء وهو الماء القليل الذي لامادة له ، أو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، والتماد الحفر يكون فيها الماء القليل (٢) أى ينال ويعطى (٣) أى الظمأ (٤) اللوشحات : مقطوعات شعرية على غير وزن بحور الشعر للعروفة ، وأول من ابتدعها الأندلسيون وأكثروا منها وأجادوا ، كما أكثروا من الأزجال والموالي ، وتابعهم الشرقيون

الْمَعَاهِدِ الطَّاهِرَةِ، وَالْمَشَاهِدِ الزَّاهِرَةِ، الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ
 يَأْمَنُ لِعَبْدٍ لَهُ افْتِقَارٌ إِلَى أَيَادٍ لَهُ جَسَامُ
 فَضْلِكَ مُدْنٍ لغيرِ مُدْنٍ^(١) حَلَّ بِهَا سَيِّدُ الْأَنَامِ
 لَمْ يَهْفُ قَلْبِي لِحُبِّ لَيْلَى وَلَا سَعَادٍ وَلَا أَرْبَابٍ
 لَأَقَى شُجُونًا وَنَالَ وَيْلًا مَنْ هَامَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ
 بَلْ مَالٌ مِنِّي الْفَوَادُ مَيْلًا لِمَنْ لَهُ الْحُبُّ لَا يُعَابِ
 قَلْبِي وَاللَّهِ مُسْتَطَارٌ مُذْ حَلَّ فِي يَتِيهِ الْحَرَامِ
 ذِي الْحَجَرِ وَالرُّكْنِ خَيْرٌ رُكْنٍ وَزَمَزَمٍ أَخْيَرُ وَالْمَقَامِ
 ذَابَتْ قُلُوبُ الْمَطِيِّ عِشْقًا وَرَكِبَهَا وَأُسْتَوَى الْمُرَادُ
 إِلَى حَيْبِ الْقُلُوبِ حَقًّا الْحَى وَالْمَيِّتُ وَالْجَمَادُ
 إِلَى الَّذِي لَيْسَ فِيهِ يَشَقُّ مَنْ حُبُّهُ دَاخِلَ الْفَوَادِ
 شَكُّوا وَقَدْ طَالَتِ السَّفَارُ هُمْ وَمَطَايَاهُمْ السَّقَامُ^(٢)
 فَهِيَ قِسْيٌ مِنَ التَّنْيِ وَالْقَوْمُ مِنْ فَوْقِهَا سِهَامُ
 وَلَسْتُ مِنْ سَكَّرَتِي مُفِيقًا حَتَّى أَرَى حُجْرَةَ الرَّسُولِ
 فَإِنْ يُسَهِّلْ لِي الطَّرِيقَا فَذَاكَ أَقْصَى مَنَى وَسُؤْلِ^(٣)

(١) جمع مدينة . ومدن التي قبلها من أدنى الشيء : قر به : و (لغير) لعلها
 معرفة عن (لغير) كما يقتضيه المعنى والسياق (٢) السقام : مفعول شكوا
 (٣) السؤل : المطلوب

مَتَى تَرَى عَيْنِي الْمَقِيقَا وَيَفْرَحُ الْقَلْبُ بِالْوُصُولِ؟
 كَمْ قُلْتُ وَالصَّبْرُ مُسْتَعَارٌ لِلرَّكْبِ إِذْ غَادَرُوا الْمَنَامَ
 وَنَسَمَةُ الشَّوْقِ حَرٌّ كَتَيْ وَزَادَ بِي الْوَجْدُ وَالْغَرَامُ
 قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ ذَا الْجُلُوسُ وَبَادِرُوا زَوْرَةَ الْخَلِيبِ
 تَأَقَّتْ^(١) إِلَى طَيْبَةِ النَّفُوسِ لَا عَيْشَ مِنْ دُونِهَا يَطِيبُ
 لَأَحْبَذَا دُونَهَا الْمُرُوسُ^(٢) وَالْمَاءُ وَالشَّادِنُ^(٣) الرَّيِّبُ
 وَحَبَّذَا الرَّمْلُ وَالْقِفَارُ وَالْمَرْبُ فِي تِلْكَمُ الْخِيَامِ
 وَأُمُّ غِيلَانَ^(٤) ظَلَلْتَنِي وَالْأَيْكُ وَالْأَمْلُ وَالشَّمَامُ^(٥)

يَاطِيَّةٌ حُزْتُ كُلَّ طَيْبٍ بِسَيْدِ فَيْكِ ذِي حُلُولِ
 نِدَاءٌ مُسْتَضْمِفٍ غَرِيبٍ فِي غُرٍّ أَمْدَاحِهِ يَقُولُ
 وَهُوَ مِنَ السَّامِعِ الْمُجِيبِ لِمَدْحِهِ يَسْأَلُ الْقَبُولِ
 أَنْتَ الْغَنَى لِي فَلَا افْتِقَارُ وَأَنْتَ عِزِّي فَلَا أَصَامُ
 مُسْتَمْسِكٌ مِنْكَ حُسْنُ ظَنِّي بِعُرْوَةٍ مَالَهَا انْقِصَامُ

(١) أى اشتد شوقها (٢) جمع غرس : أى المورس من شجر وزع
 (٣) أى الطيب (٤) أم غيلان : شجر السمر (٥) الأيك : الشجر الكثير الملتف .
 والأمل من الطرفاء ، واحدة أمثلة ، والشمام : نبات ضعيف قد يسد به خصاص البيوت

بِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ أَجْمَعَ بِأَحْمَدِ الْمُجْتَبَى^(١) الرَّسُولِ
وَمَنْ هُوَ الشَّافِعُ الْمَشْفَعُ فِي مَوْقِفِ الْمَحْشَرِ الْمَهُولِ
إِذْ لَا كَلَامَ هُنَاكَ يُسْمَعُ لِلْغَيْرِ وَالنَّاسِ فِي ذُهُولِ
إِذِ السَّمَاءُ لَهَا أَنْفِطَارُ وَالشَّهْبُ مَنثورُهُ النَّظَامُ
كَذَا الْجِبَالُ أَثْنَتْ كَعَمَى^(٢) سَرِيعَةَ الْمَرِّ كَالنَّمَامِ

يَا أَوَّلَ الرُّسُلِ فِي الْفَضِيلَةِ وَإِنْ تَأَخَّرْتَ فِي الزَّمَنِ
شَفَاعَةً نِلْتَ مَعَ وَسِيلَةِ فَمَنْ يُضَاهِي عُلاكَ مَنْ ؟
عَلَتْ بِكَ الرَّثْبَةُ الْجَلِيلَةَ وَطَبْتَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
فَأَنْتَ مِنْ خَيْرِهِمْ خِيَارُ فَمَنْ يُضَاهِيكَ فِي الْمَقَامِ ؟
وَالرُّسُلُ نَالَتْ بِكَ التَّمَنَّى وَأَنْتَ بَدُرٌ لَهُمْ تَمَامُ

الْوَجْدُ قَدْ قَرَّ فِي فُؤَادِي فَمَا لِيَصْبِرَ بِهِ قَرَارُ
وَلَا عَجَى^(٣) صَاعِدُ اتِّقَادِ وَدَمْعُ عَيْنِي لَهُ أَنْهَارُ^(٤)
وَهَا أَنَا جِئْتُ مِنْ بِلَادِي لَطِيبَةٍ أَبْتَغِي الْجَوَارِ
فَجَبَدًا تِلْكَمُ الدِّيَارِ وَالْمُصْطَفَى مِسْكَةً اخْتَامُ

(١) المختار (٢) العن: الموصوف (٣) لاعج الشوق : حرقه القلب من الهوى

(٤) الانهمار : الانسكاب

عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلَاةِ مِنِّي وَصَحْبِهِ الْفَرُّ وَالسَّلَامُ
 وَقَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ الرُّعَيْنِيِّ الْفَرَنْاطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 وَهُوَ مِنَ التَّشْرِيعِ أَحَدِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ :
 يَا رَاحِلًا يَبْنِي زِيَارَةَ طَبِيبَةٍ نِلْتَ الْمَنَى بِزِيَارَةِ الْأَخْبَارِ
 حَى الْعَقِيقِ إِذَا وَصَلْتَ وَصِفْ لَنَا
 وَادِي مِنِّي يَا طَبِيبَ الْأَخْبَارِ
 وَإِذَا وَفَّقْتَ لَدَى الْمَعْرِفِ دَاعِيًا زَالَ الْعَنَا وَضَفِرَتْ بِالْأَوْطَارِ
 وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْحُلُولِ فِي الْمَشَاهِدِ الَّتِي قَامَ الَّذِينَ
 بِهَا وَظَهَرَ . وَالْمَعَاهِدِ الَّتِي بَانَ الْحَقُّ فِيهَا وَأُشْتَهَرَ . وَالْمَوَاطِنِ
 الَّتِي هَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى حِزْبَ الشَّيْطَانِ فِيهَا وَقَهَرَ . وَنُصِرَتْ
 النَّبُوءَةُ وَعُضِدَتْ . وَقُضِمَتْ غُصُونُ الْكُفْرِ وَخُصِدَتْ ،
 وَرُصَّتْ ^(١) قَوَاعِدُ التَّوْحِيدِ وَنُضِدَتْ . وَقُرَّتِ الْعُيُونُ ، وَقُضِيَتْ
 الدُّيُونُ . انْشَدَ لِسَانُ الْحَالِ ، قَوْلَ بَعْضٍ مِنْ جِيدِهِ بِحَاسِنِ
 مَنِيَّةٍ حَالٍ ^(٢) :

(١) يريد بقوله رصت ونضدت : وضع دعائم الدين الاسلامي وثبتت
 قواعده . و رص المتاع وتنضيده : وضع بعضه بجانب بعض على نظام
 ومشاكلة ، و رص البنيان احكمه وجمعه وضم بعضه الى بعض ، ومنه « كآسهم
 بنيان مرسوم » (٢) من التحلى وهو الزين

يَا مَنْ بِهِ طَيِّبَةٌ طَابَتْ حُلًى وَعُلاَّ

وَمَنْ بِتَشْرِيفِهِ قَدْ شُرِّفَ الْعَرَبُ

يَا أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى قَدْ جِئْتُ مِنْ بَلَدٍ

قَاصٍ ^(١) وَلِي خَلَدٍ ^(٢) قَاصٍ وَلِي أَرْبٍ ^(٣)

وَقَدْ دَهَمْتِي ذُنُوبٌ قُلْتُ إِذْ عَظُمْتُ

لِلَّهِ مِنْهَا وَطَهَ الْمُرْتَجَى الْهَرَبُ

وَنَسِينَا بِشَاهِدَةِ ذَلِكَ الْجَنَابِ مَا كُنَّا فِيهِ . وَسَبَقَ الدَّمْعُ

الَّذِي لَا يُعَارِضُ الْفَرَحَ وَلَا يَنَافِيهِ

أَيُّهَا الْمُغْرَمُ الْمَشُوقُ هَنِيئًا مَا أَنَا لَوْكَ مِنْ لَذِيذِ التَّلَاقِ

قُلْ لِعَيْنَيْكَ تَهْمِلَانِ ^(٤) سُرُورًا طَالَمَا أَسْعَدَاكَ يَوْمَ الْفِرَاقِ

وَأَجْمَعَ الْوَجْدَ وَالسُّرُورَ ابْتِهَاجًا وَجَمِيعَ الْأَشْجَانِ وَالْأَشْوَاقِ

وَأُمِرِ الْعَيْنَ أَنْ تَقْيِضَ عَنْهُمَا لَا وَتَوَالِي بِدَمْعِهَا الْمَهْرَاقِ

(١) بعيد (٢) الخلد: القلب والضمير . تقول دار هذا الأمر في خلدي : أي

في عقلي ونفسي . ومقر العقل القلب ، قال تعالى « أفلم يسيروا في الأرض

فسيكون لهم قلوب يعقلون بها » (٣) الأرب : الحاجة والمطلب (٤) همل

المطر : هطل . يريد بكاء السرور . قال الشاعر :

هجم السرور على حتى انه من فرط مقد سرفي أبكاني

يا عين قد صار البكاء لك عادة تسكين في فرح وفي أحزان

هَذِهِ دَارُهُمْ وَأَنْتَ مُحِبٌّ مَا بَقِيَ الدُّمُوعُ فِي الْأَمَاقِ
وَمِلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ^(١)، وَتَمَلَّنَا^(٢) مِنْ عَرَفِ تِلْكَ
الْأَنْجَادِ وَالْأَغْوَارِ^(٣)، وَتَمَلَّنَا مِنْ هَايِكَ الْأَنْوَارِ، وَتَحَلَّنَا
عَنِ الْأَغْيَارِ^(٤)، وَتَحَلَّنَا بِحُلَى الْأَخْيَارِ، وَكَيْفَ لَا وَطَنِيَّةُ
مَرْكَزٍ لِلزُّوَارِ؛

إِذَا لَمْ تَطِيبْ فِي طَيِّبَةٍ عِنْدَ طَيِّبٍ
بِهِ طَيِّبَةٌ طَابَتْ فَأَيْنَ تَطِيبُ؛

وَإِنْ لَمْ يُحِبَّ فِي أَرْضِهَا رَبَّنَا الدُّعَا
فَفِي أَيِّ أَرْضٍ لِلدُّعَا يُحِبُّ؛
أَيَّاسًا كُنِيَ أَكْنَافِ^(٥) طَيِّبَةٍ كُلُّكُمْ
إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَيِّبِ حَيِّبُ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ عَالِمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَالِكِيِّ اللَّيِّبِ،
عَبْدِ الْمَلِكِ السُّلَمِيِّ الْمَشْهُورِ بِأَبْنِ حَيِّبٍ،
لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ صَاحِبَتُهَا نَحْوُ الْمَدِينَةِ تَقَطُّعُ الْفُلُواتِ

(١) جمع كور: وهو الرجل (٢) تمل: من باب طرب: سكر (٣) جمع غور:

الوهاد، وما انخفض من الأرض. والنجد ما ارتفع منها (٤) جمع غبر:

السوى (٥) جمع كنف: ماحولها وما يكتنفها

وَمَهَامِهِ^(١) قَدْ جُبِّتْهُا وَمَقَاوِزِ^(٢) مَا زِلْتُ أَذْكَرُهَا بِطُولِ حَيَاتِي
 حَتَّى أَتَيْنَا الْقَبْرَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ خَصَّ الْإِلَهُ مُحَمَّدًا بِصِلَاتِ^(٣)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى هَادِي الْوَرَى لِطَرَائِقِ لِنَجَاةٍ
 لَمَّا وَقَفْتُ بِقُرْبِهِ لِسَلَامِهِ
 جَادَتْ دُمُوعِي وَآكِفِ^(٤) الْعَبْرَاتِ
 وَرَأَيْتُ حُجْرَتَهُ وَمَوْضِعَهُ الَّذِي
 قَدْ كَانَ يَدْعُو فِيهِ فِي الْخَلَوَاتِ
 مَعَ رَوْضَةٍ قَدْ قَالَ فِيهَا إِنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَوْضَةِ الْجَنَّاتِ
 وَبِمَنْزِلِ^(٥) الْأَنْصَارِ وَسُطَا قِبَابِهِمْ
 يَنْتِ الْهِدَايَةِ كَاشِفُ الْعَمْرَاتِ
 وَبِطَيْبَةِ ظَايُوبَا وَنَالُوا رَحْمَةً
 مَغْنَى الْكِتَابِ وَنَحْكَمُ الْآيَاتِ

(١) جمع مهمه : وهو القلادة الواسعة (٢) جمع مفازة : الصحراء الملهكة ،
 سميت مفازة رجاء أن يفوز قاطعها بالسلامة ، كما تسمى القافلة قافلة وهي
 ذاهبة رجاء أن تذهب ثم تقفل أي ترجع (٣) جمع صلة : وهي العطية
 (٤) وكف المطر والدمع : قطر وسال قليلا قليلا (٥) المنزل المأهول
 بأهله الذي هبط إليه جبريل بالقرآن

وَبَقَرِ حَمَزَةَ^(١) وَالصَّحَابَةَ حَوْلَهُ فَاصْتَ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْهُمِرَاتٍ
سَقِيًّا لِتِلْكَ مَعَاهِدًا شَاهِدَتْهَا وَشَهِدَتْهَا بِالْخَطَرِ وَاللَّحْظَاتِ
لَا زِلْتُ زَوَّارًا لِقَبْرِ نَبِيِّنَا وَمَدِينَةِ زَهْرَاءَ بِالْبَرَكَاتِ
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
هَادِيَ الْبَرِيَّةِ كَاشِفِ الْكُرْبَاتِ

وَعَلَى صَاحِبَيْهِ^(٢) السَّلَامُ مُرَدَّدًا
مَالَا حَ نُورُ الْحَقِّ فِي الظُّلُمَاتِ

وَقَوْلِ كَمَالِ الدِّينِ نَاطِرِ قُوصٍ :
أَنْخِ هَذِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَثْرِبُ^(٣)
فَبُشِّرْكَ قَدْ نِلْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
فَعَفِّرْ بِهَذَا التُّرْبِ وَجْهَكَ إِنَّهُ
أَحَقُّ بِهِ مِنْ كُلِّ طِيبٍ وَأَطْيَبُ
وَقَبْلُ رُبُوعًا حَوْلَهَا قَدْ تَشَرَّفَتْ
بِمَنْ جَاوَرَتْ وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُحْبَبُ

(١) عم المصطفى عليه الصلاة والسلام (٢) أبى بكر الصديق وعمر رضوان
الله عليهما (٣) اسم المدينة المنورة

وَسَكَنُ قُودًا لَمْ يَزَلْ بِاشْتِيَاقِهِ

إِلَيْهَا عَلَى جَمْرِ الْفَضَى ^(١) يَتَقَلَّبُ

وَكَفَّ دُمُوعًا طَالَمَا قَدَسَفَحَتْهَا

وَبَرَّدَ جَوْى نِيرَانُهُ تَتَلَهَّبُ

وَقَوْلِ الرَّعْنِيِّ الْفَرْنَاطِيِّ :

هَذِهِ رَوْضَةُ الرَّسُولِ فَدَعْنِي

أَبْذُلُ اللَّتَمَعَ فِي الصَّيِّدِ ^(٢) الصَّعِيدِ

لَا تُلْنِي عَلَى انْسِكَابِ دُمُوعِي

إِنَّمَا صُنْتُهَا لِهَذَا الصَّعِيدِ

وَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ

وَأَزْكَى السَّلَامِ ، ذُبْتُ حَيَاءً وَخَجَلًا ، لِمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ

أَرْتِكَابٍ مَا يَقْتَضِي وَجَلًا ^(٣) ، غَيْرَ أَنِّي تَوَسَّلْتُ بِجَاهِهِ

(١) شجر يتخذ وقودا حار الجمر. قال ابن الفارض :

لوقال تيهافف على جمر الفضا لوقت ممثلا ولم أتوقف

وقال البحرى :

فستى الفضا والنزليه وان همو شبوه بين جوانح وقلوب

(٢) التراب . وفى التنزيل « فتيمموا صعيدا طيبا » (٣) الرجل : الخوف

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ أَكُونَ يَمَنَ وَضَحَ لَهُ وَجْهُ الصَّفْحِ
وَجَلَّ^(١)،

إِلَيْكَ أَفْرُ مِنْ زَلِّي فِرَارَ أَخَائِفِ الْوَجَلِ
وَكَانَ مَزَارُ قَبْرِكَ بِالْمَدِينَةِ مُنْتَهَى أَمَلِي
فَوْقَى اللَّهُ مَا طَمَحْتُ لَهُ نَفْسِي بِلاَ خَلَلِ
فَحَذَّ يَدَيَّ غَرِيقٍ فِي بَحَارِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَهَبْ لِي مِنْكَ عَارِفَةً^(٢) تُعَرِّفُ مَا تَنْكَرَ لِي
وَتَهْدِينِي إِلَى رَشْدِي وَتَمْنَعُنِي مِنَ الزَّلَلِ^(٣)
وَتَحْمِلْنِي عَلَى سَنَنِ^(٤) يُؤَمِّتُنِي مِنَ الْوَجَلِ
فَأَنْتَ دَلِيلُ مَنْ عَمِيَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُ السُّبُلِ
وَإِنَّكَ شَافِعُ بَرٍّ وَمَوْثِقُنَا^(٥) مِنَ الْوَهْلِ^(٦)
وَإِنَّكَ خَيْرُ مُبْتَعَثٍ وَإِنَّكَ خَاتَمُ الرُّسُلِ
فَيَا أَزْكَى الْوَرَى شَرْفًا وَشَافِيهِمِ مِنَ الْعِلَلِ
وَيَا أُنْدَى الْأَنَامِ يَدًا وَأَكْرَمَ نَاصِرٍ وَوَلِي
نِدَاءٍ مُقْصِرٍ وَجِلٍ يَشُوبُ الْفَقْرَ مُسْتَعِيلٍ

(١) جلالة الامر : وضع (٢) العارفة : العطية والاحسان واسم ما تبذله
وتسديه ، وجمعها عوارف (٣) أى العثار (٤) السنن : الطريق
(٥) الموثل : المرجع والمعاد (٦) أى شدة الخوف

عَلَى جَذْوَاكَ مُعْتَمِدِي فَأَتَقِدْنِي مِنَ الدَّخْلِ ^(١)
 وَالْحَقْنِي بِجَنَاتٍ لَدَى دَرَجَاتِهَا الْأَوَّلِ
 بِصِدِّيقٍ ^(٢) وَفَارُوقٍ ^(٣) وَعُثْمَانَ الرُّضَى وَعَلِي
 فَأَنْتَ مَلَاذُ مُغْتَصِمٍ وَأَنْتَ عِمَادُ مُتَكِلٍ
 عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ جَلَّ م فِي الْغَدَوَاتِ وَالْأُصَلِ
 وَمُذْ شِمْنَا ^(٤) مِنْ أَرْجٍ تِلْكَ الْأَرْجَاءُ الذَّاكِيَّةِ، وَاسْتَضَاءَنَا
 بِسُرُجٍ تِلْكَ الْأَضْوَاءُ الزَّاكِيَّةِ، ظَهَرَ مِنَ الشُّوقِ مَا كَانَ بَطْنُ،
 وَلَمْ يَخْطُرْ بِيَالِنَا سَكَنٌ وَلَا وَطَنٌ، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ أَقَامَ بِتِلْكَ
 الْبِقَاعِ الشَّرِيفَةِ وَقَطَنَ ^(٥)
 مَرَّ النَّسِيمُ بِرَبْعِهِمْ فَتَلَذَّذَا
 حَتَّى كَانَ النَّشْرَ ^(٦) صَارَ لَهُ غِذَا

فَصَحَّاءُ صَحَّ وَصَاحَ لَا أَشْكُو أَدَى
 قُلُوبٍ لِلصَّبَا مَاذَا حَمَلَتْ مِنَ الشَّدَا ^(٧)
 أَمْسَيْتُ طَيِّبًا أَمْ عَلَاكَ عَيْبٌ

(١) دخل أمر فلان دخلا : فسد داخله (٢) أبى بكر رضى الله عنه

(٣) عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٤) بابه نصر وعلم (٥) أى أقام

(٦) النشر : العرف والارج (٧) أى العرف أيضا

يَا أَيُّهَا الْهَادِي الَّذِي مِنْ وَاسْمِهِ قَصْدُ الْحَيِّبِ وَأَنْ يُلِمَّ بِرَسْمِهِ
هَذِي مَنَازِلُهُ فَرَمَزِمٌ ^(١) بِاسْمِهِ بِأَبِي الَّذِي لَمْ تَذَوْزْهُرُهُ جِسْمِهِ
لَكِنَّهُ غَضُّ الْجَمَالِ نَضِيرُ

لِلَّهِ شَوْقٌ قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ أَوْفَى عَلَى الصَّبْرِ الْمَشِيدِ فَهَدَّهُ
يَا نَاشِقَ الْكَافُورِ لَا تَعْدُهُ طُوبَى لِمُسْتَقٍ يُعْفِرُ خَدَّهُ
فِي رَوْضَةِ الْهَادِي إِلَيْهِ يُشِيرُ

فَهُنَاكَ يَنْبُذُ فِي التَّوَسُّلِ وَسْمَهُ

وَيُصَيِّحُ ^(٢) نَحْوَ خَطِيبِ طَيْبَةِ سَمْعَهُ

وَيُرِيقُ فَوْقَ حَصَى الْمُصَلَّى دَمْعَهُ

وَيَرَى مَعَالِمَ مَنْ يُحِبُّ وَرَبْعَهُ

وَمُحَمَّدٌ لِلْعَالَمِينَ بَشِيرُ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ وَحَبَّأَ مَعَالِيَهُ جَلِيلَ صَلَاتِهِ ^(٣)

مَاحَنَ ذُو الْأَشْوَاقِ فِي حَالَاتِهِ وَأَتَى مَعَانِيَهُ عَلَى عِلَّاتِهِ

فَأَتَيْحَ ^(٤) حُسْنُ الْخَلْقِ وَهُوَ قَرِيرُ

(١) زمزم : ترنم (٢) أصاخ : أنصت وأصغى وأمال (٣) أى عطياه

(٤) أعطى ومنع ، وقد تكون فأبيع

وَوَقَفْنَا بِيَابِ طَلَبِ الْأَمَالِ خَاشِعِينَ ، وَتَوَسَّلْنَا إِلَى اللَّهِ
بِذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَلِيِّ خَاضِعِينَ ، وَغَبَطْنَا قَوْمًا سَكَنُوا هُنَالِكَ
فَسَكَتُوا لِحُدُودِهِمْ مَتَى شَاءُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْتَابِ وَاصِعِينَ .

أَكْرَمَ بَعْدَ نَحْوِ طَبِيعَةِ مُتَنَدِي مُتَوَسِّلٍ مُسْتَشْفِعٍ مُسْتَرْشِدٍ
يَقُولُ ^(١) «الْفَلَاةُ لَهَا بَعْزٌ أَيْدٍ» ^(٢) وَاقَى إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَلِرَبْعِهِ الْأَسْمَى يَرْوُحُ وَيَنْتَدِي

أَرْجَاهُ ^(٣) صَادِقُ حُبِّهِ الْمُتَمَكِّنُ
وَحَدَاهُ سَائِقُ عَزْمِهِ الْمُتَمَيِّنُ

فَحَكَى لَدَى شَجْوِ حَمَامِ الْأَغْصَنِ
هَزَجًا ^(٤) يَرْدُدُ فِيهِ صَوْتَ مُلْحَنِ

وَيَمُدُّ لِلْإِطْرَابِ صَوْتَ الْمُنْشِدِ

وَيَقُولُ جِئْتُ بِعَزْمَةٍ نَزَاعَةٍ وَنَهَضْتُ وَالْدُّنْيَا تَمُرُّ كَسَاعَةٍ
لِمَحَلِّ أَحْمَدَ قَائِلًا بِإِدَاعَةٍ هَذَا النَّبِيُّ الْمُتَجَبِّ لِشَفَاعَةِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَيْنَ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ

(١) فلي الامر : قطعهم وتبعه ، وبعثه . وهو مجاز كقولهم فليت الشعر اذا
تدبرته وبعثت عن أسرارهِ واستخرجت معانيهِ وغريبهِ (٢) أى قوى
(٣) أى ساقه (٤) هزج للنبي ، من باب طرب ، هزجا : ترم وأشد
الهرج . يقال : له هزج مطرب

هَذَا الرَّؤُوفُ بِجَارِهِ وَزَرِيْلَهُ هَذَا سِرَاجُ اللَّهِ فِي تَزْوِيلِهِ
هَذَا الَّذِي لَا رَيْبَ فِي تَفْضِيلِهِ هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ وَأَبْنُ خَلِيلِهِ ^(١)

هَذَا ابْنُ بَانِي الْيَتِي أَوَّلِ مَسْجِدِ

هَذَا الَّذِي أَصْطَفَتِ النَّبُوَّةُ خِيَمَهُ ^(٢)

هَذَا الَّذِي أَعْتَمَ ^(٣) الْهُدَى تَقْدِيمَهُ

هَذَا الَّذِي نُسْقَى غَدًا تَسْنِيمَهُ

هَذَا الَّذِي جَبْرِيلُ كَانَ خَدِيمَهُ

فِي حَضْرَةِ التَّشْرِيفِ أَزْكَى مَصْعَدِ

هَذَا الَّذِي شَهِدَ الْوُجُودُ بِخَصِّهِ بِمَزِيَّةِ التَّفْضِيلِ مِنْ مَخْصَصِهِ

وَأَبَانَهُ مِنْ وَخِيهِ فِي نَصِّهِ

هَذَا الَّذِي أَرْتَفَعَ الْبَرَقُ ^(٤) بِشَخْصِهِ

فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ أَشْرَفِ مَشْهَدِ

(١) يريد أنه عليه الصلاة والسلام من ولد اسماعيل أبي العرب ابن خليل
الله إبراهيم عليهما السلام (٢) الخيم : الطبيعة والسجية . قال حاتم الطائي :
ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه وينلبه على النفس خيمها
(٣) اعتم الرجل اعتيما : اختار (٤) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل
ركبها المصطفى عليه السلام ليلة الاسراء

هَذَا الَّذِي غَدَتِ الطُّلُوبُ حَدِيثَةً
 بِجِوَارِهِ وَغَدَتِ تَرْوُقُ أُنَيْقَةً
 هَذَا الْمُسْكَمَلُ خَلِيقَةً وَخَلِيقَةً هَذَا الَّذِي سَمِعَ النَّدَاءَ حَقِيقَةً
 وَدَنَا وَلَمْ يَكُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُبْعَدٍ ^(١)
 فَهُنَاكَ كَمْ رُسُلٍ بِهِ تَتَوَسَّلُ وَعَلَى حِمَاهُ لَدَى الْمَعَادِ يُعْمَلُ؟
 يَا أَرْحَمَ الرَّحِمَاءِ أَنْتَ الْمَوْئِلُ يَا خَاتَمَ الْإِزَّةِ أَنْتَ الْأَوَّلُ
 فَتَرَقَّ فِي أَعْلَى الْمَكَارِمِ وَأَصْعَدِ
 اللَّهُ رَفَعَ فِي سُرَاهُ مَنَارَهُ وَأَبَانَ فِي السَّبْعِ الْمَلَأَ أَنْوَارَهُ
 فَفَقَّتْ ^(٢) مَلَائِكَةُ أَسْمَاءِ آثَارِهِ وَأَرَاهُ جَنَّتُهُ هُنَاكَ وَنَارَهُ
 فَمُؤَبَّدٌ ^(٣) وَمُخَلَّدٌ ^(٤) لِمُخَلَّدٍ
 كَمْ ذَادَ مِنْ وَجَلٍ وَجَلَّى ظُلْمَةً
 وَأُمْتَنَّ بِالرُّحْمَى وَمَتَّنَ ^(٥) حُرْمَةً

(١) بضم الليم (اسم مفعول من أبعد) : ويصح أن يكون بفتحها اسم مكان من البعد ، كسمع في قول الشاعر :
 حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى فأنت بمرأى من سعاد ومسمع
 أى فأنت بمكان تراك فيه سعاد وتسمعك ، فمرأى ومسمع اسم مكان من الرؤية والسمع (٢) قناه واقفاه : تبعه (٣) مؤبد أى فى النار (٤) مخلد فى دار الخلد ، ولعله يريد بالمؤبد والمخلد الجنة والنار وأنها دائمتان لا نهاية لهما (٥) أى قوى

لَمَّا دَجَا أَفْقُ الضَّلَالَةِ دُحْمَةً بَعَثَ إِلَهُهُ بِهِ لِيَرْحَمَ أُمَّةً
لَوْلَاهُ كَانَتْ بِالضَّلَالَةِ تَرْتَدِي
حَازَ الشُّفُوفَ^(١) فَكُلُّ خَلْقٍ دُونَهُ

فَالْعَيْتُ يَسْأَلُ إِذْ يَسِيلُ يَمِينَهُ
وَالشَّمْسُ تَسْتَهْدِي الشُّرُوقَ جَبِينَهُ
وَاللَّهُ فَضْلُهُ وَظَهَرَ دِينُهُ
وَوَفَّى لَنَا فِيهِ بِصَدَقِ الْمَوْعِدِ

نُطْقِي يُعَادِي ذِكْرَهُ وَيُرَاوِحُ وَبِهِ يُنَافِجُ مِسْكَهً وَيُنَافِجُ^(٢)
تُعَيِّ اللِّسَانَ مَحَامِدُ وَمَحَادِحُ طُوبَى لِمَنْ قَدْ عَاشَ وَهُوَ يُكَافِجُ
عَنْهُ يُنَاضِلُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
هُوَ صَفْوَةُ الْعَرَبِ الْأَلَى أَحْسَابُهُمْ

أَسْيَافُهُمْ قُرْنَتْ بِهَا أَسْبَابُهُمْ
فَهُمْ لُبَابُ الْمَجْدِ وَهُوَ لُبَابُهُمْ مِنْ آلِ بَيْتٍ لَمْ تَرَ لَأَنْسَابُهُمْ
تُنْبِي لَهُمْ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِ مَوْلِدِ

شَرَفَ النُّبُوَّةَ قَدْ رَسَا فِي أَهْلِهَا وَسَمَا عَلَى الزُّهْرِ أَعْلَا بِحُلُمِهَا

(١) الشُّفُوفُ : جمع شَف وهو الفضل والريح والزيادة (٢) نفجت الريح إذا جاءت بقوة ، والناخلة الريح تأتي بشدة ، والناخلة وعاء السك ، ويقال :

نافجة نافحة ونوافج نوافح إذا فاح شذاها وتضوع أرجها

سَاقَ السَّوَابِقَ لِلْفَخَارِ بِرُسُلِهَا
 نَطَقَ الْكِتَابُ كَمَا عَلِمْتَ بِفَضْلِهَا
 وَقَضَى بِهِ نَصْرَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ
 فَوْقَ السَّمَاءِ تَوَطَّنَتْ وَتَوَطَّدَتْ
 وَتَقَرَّدَتْ بِالْمُصْطَفَى وَتَوَحَّدَتْ
 فِيهِ الْخُلَاصَةُ صُفِيَّتْ فَتَجَرَّدَتْ
 مِنْ مَعْدِنٍ فِيهِ الرِّسَالَةُ قَدْ بَدَتْ
 مِنْ عَصْرِ آدَمِنَا لِعَصْرِ مُحَمَّدٍ
 طَالُوا فَلَمْ يَبْقُوا الْمَجْدُ مَصْعَدًا صَالُوا فِي أَيَّامِنَهُمْ حَتْفُ الْعِدَا
 سَأَلُوا فَهُمْ لِعَقَابِهِمْ^(١) غِيثُ الْجَدَا
 أَهْلُ السَّقَايَةِ^(٢) وَالرَّفَادَةِ^(٣) وَالنَّدَى
 وَالْكَعْبَةِ الْيَبْتِ الْحَرَامِ الْمُقْصِدِ
 الْمُطْعِمُونَ وَقَدْ طَوَى أَلَمُ الطَّوَى^(٤)
 النَّاهِضُونَ إِذَا الصَّرِيخُ لَهُمْ نَوَى

(١) جمع عاف : وعفاه يعفوه قصد طالباً معروفه وفضله (٢) سفاية
 الحجاج (٣) الرفادة : شئ كانت تترافد به قريش في الجاهلية تخرج فيها
 بينها مالا تشتري به للحاج طعاماً وزيباً للنبذ ، وكانت الرفادة والسقاية
 لبني هاشم . والسدانة (خدمة الكعبة) واللواء لبني عبدالدار (٤) الطوى :
 الجوع ، ويقال طوى نهاره جائعاً

الْمَاطِفُونَ إِذَا الطَّرِيقُ بِهِمْ لَوَى أَهْلُ السَّدَانَةِ وَالْحِجَابَةِ وَاللُّوَا
أَهْلُ الْمَقَامِ وَزَمَزَمَ وَالْمَسْجِدِ
الْمُصْلِحُونَ إِذَا الْجُمُوعُ تَخَادَعَتْ^(١)

الْمُنْجِحُونَ إِذَا الْمَسَاعِي دَافَعَتْ
الدَّافِعُونَ إِذَا الْأَعَادَى قَارَعَتْ الْمُؤَثِّرُونَ إِذَا السُّنُونَ تَنَابَعَتْ
وَقَدْ أَحْجَجَ بَنِي كُلِّ تَقَقَّدَ
لَا يَقْرُبُ أَلْخَطْبُ أَلْمِلْمَ مَنِعَهُمْ

لَا يَطْرُقُ الْكَرْبُ الْمَخِيفُ قَرِيبَهُمْ
وَاللَّهُ شَرَفَ بِالنَّبِيِّ جَمِيعَهُمْ مَنْ نَالَ رُبَّتَهُمْ وَحَازَ صَنِيعَهُمْ
نَالَ الشُّفُوفَ وَحَازَ مَعْنَى الشُّوُودِ

حُلَاوَيْنِ الطُّوْدِ الْأَشْمِ بِنَعَةٍ فِي خَيْرِ مُقْتَصِمٍ وَأَسْمَى رَفْعَةٍ
فَهُمْ بَيْنَهُ أَمْنُهُ فِي هَجْمَةٍ^(٢) اللَّهُ خَصَّصَهُمْ بِأَشْرَفِ بَقْعَةٍ
مَحْجُوجَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْأَسْعَدِ

لَمَّا أَتَيْتُ لِرَامَةٍ^(٣) أَصِيلُ الشَّرَى مِنْ بَعْدِ قَصْدِي مَكَّةَ أَمَّ الْقُرَى

(١) تخذعت : تفرقت وتقاطعت ، وقد يكون (تخادعت) بدال مهمله
أى خدع بعضهم بعضا ، وأكثر ما يكون ذلك في الحرب (٢) الهجمة :
النومة الخفيفة من أول الليل ، يريد في سكون ودعة وراحة (٣) رامة :
موضع بالبادية وهو في طريق البصرة الى مكة

أُنْشَدْتُ جَهْرًا فِيهِ أَنْتُزُجُوهَرَا وَإِلَيْكُمَا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التَّرَى
 عَذْرَاءُ تَزْرِي بِالْعَذَارَى الْخُرْدِ
 كُلُّ الْحُسَانِ لِحُسْنِهَا قَدْ أَذْهِشَا مَا مِثْلُهَا فِي تَرْبِهَا شَادِ نَشَا
 سَفَرْتُ بِعِزِّ مَا أَجَدَّ^(١) وَأَطْيَشَا
 نَشَاتِ بَطِيَّ الْقَلْبِ وَأَرْتَوْتَ الْحَشَا
 زَهْرَاءُ مَنْ يَرَاهَا يَهْلُ^(٢) وَيَسْجُدِ
 أُمْتُكَ تَشْتَوُ^(٣) فِي مَدَاهَا الْأَلْسُنَا
 وَتُرَى إِجَادَهَا الْمُجِيدَ الْمُحْسِنَا
 تَعْدُو وَلَا تَنْتَبِهِ الْعِنَانَ عَنِ الثَّنَا
 وَأَتَتْكَ تَمْرُحُ كَالْقَضِيبِ إِذَا أَنْشَى
 مُتَرَنَّحًا بَيْنَ الْغُصُونِ الْمِيدِ
 قَدْ أَعْمَلْتَ فِي الْمَدْحِ ثَاقِبَ ذَهَبَا
 تَرْجُو الْحُلُولَ لَدَى قَرَارَةِ أَمْنِهَا

(١) لعلها : مأخذ (بحاء مهملة) من الحدة أى بعزم قوى ، وقد يكون
 هذا أشد مناسبة لما بعده (٢) أهل : أى رفع صوته ، وهو من قول النابغة
 يذكر درة أخرجه اغواصها من البحر :

أودرة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد
 يعنى بأهله رفعه صوته بالدعاء والحمد لله اذ رآها (٣) شأى القوم يشنوهم
 شأوا : سبقهم

وَعَسَى إِذَا عُذِّبَتْ بِزُرْبَةٍ عَذَبَهَا يَجْلُوكَ الْإِحْسَانُ بَارِعَ حُسْنِهَا
وَالْحُسْنُ يَجْلُوهَا وَإِنْ لَمْ تُنْشَدِ

مَدْحِي لَخَيْرِ الْمَالِينَ عَقِيدَتِي وَمَطِيَّتِي بِلِطِيَّتِي^(١) وَلَشَيْدَتِي
وَتَنِيَجَّتِي وَهَدَى الْيَقِينَ مُفِيدَتِي

وَلَئِنْ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا بِقَصِيدَتِي

فَلَقَدْ مَدَحْتُ قَصِيدَتِي بِمُحَمَّدٍ

يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ دَعْوَةَ حَاطِرٍ

يَشْكُو إِلَيْكَ صُرُوفَ دَهْرٍ جَارٍ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي هَوَاكَ سِرَّائِرِي وَهُوَ الَّذِي أَرْجُو لِعَفْوِ جَرَائِرِي

مُتَوَسِّلًا بِجَنَابِكَ الْمُتَأَطِّلِ^(٢)

لَوْلَا حُقُوقُ عَيْنَتِ بِمَقَارِبِ

لَمَكُنْتُ عِنْدَكَ كَنَى تَتَّحَ مَا رِبِي

وَيَكُونُ فِي الزَّرَقَاءِ^(٣) عَذْبُ مَشَارِبِي

حَتَّى أَهْلِي مِنْ ثَرَاكَ تَرَائِبِي

(١) أظنها (طيطي) والطية الحاجة والوطر (٢) أى التوطد ، أى الثابت .

تقول توطدت له عنده منزلة: أى ثبتت (٣) عين ماء بالمدينة المنورة

وَأَنَالَ دَفْنَا فِي بَيْعِ الْفَرَقْدِ

وَعَلَيْكَ مِنْ رَبِّ حَبَاكَ صَلَاتُهُ

وَسَلَامُهُ وَهَبَاتُهُ وَصَلَاتُهُ

مَا أُمَّ بَابَكَ مِنْ هَدَنَةِ فَلَاتُهُ لِمَلَاكَ حَتَّى زُخِرَتْ عَلَاتُهُ

فَأَتَيْحُ^(١) حُسْنُ الْحُتْمِ دُونَ تَرْدُدِ

ثُمَّ وَدَّعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقَلْبُ مِنْ فِرَاقِهِ

سَقِيمٌ ، وَوَقَعْتُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ فِي الْمُقْعِدِ

الْمُقِيمِ^(٢) ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَكْلُ^(٣) مَنْطِقِي غَيْرَ عَقِيمٍ ،

وَأَنْ أُخْشَرَ فِي زُمْرَةِ مَنْ سَلَكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

يَاشْفِيعُ الْعَصَا أَنْتَ رَجَائِي كَيْفَ يَخْشَى الرَّجَاءُ عِنْدَكَ خَبِيئَةً

وَإِذَا كُنْتَ حَاضِرًا بِفُؤَادِي غَيْبَةُ الْجِسْمِ عَنْكَ لَيْسَتْ بِغَيْبَةٍ

لَيْسَ بِالْعَيْشِ فِي الْبِلَادِ اتِّفَاعٌ أَطِيبُ الْعَيْشِ مَا يَكُونُ بِطَيْبَةٍ

ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مِصْرَ ، وَقَدْ زَالَ عَنِّي بَرَكَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الْإِضْرُ^(٤) ، وَذَلِكَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ .

(١) أعلها (فأتيح) أي منح (٢) أي الأمر الجلل الذي يقعد صاحبه

ويقومه . كناية عن خطورته (٣) الشكل العقيم في علم المنطق : الذي

لا يتبع ، كناية عن الرجاء في قبول مراحه ونسكه (٤) أي الثقل والذنب

ثُمَّ قَصَدْتُ زِيَارَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي شَهْرِ رَيْعٍ مِنْ هَذَا
الْعَامِ ، وَقَدْ شِمِلْتَنِي بِفَضْلِ اللَّهِ جَوَازُ الْإِنْعَامِ ، وَتَدَكَّرْتُ
عِنْدَ مُشَاهَدَةِ تِلْكَ الْمَسَالِكِ الصَّعْبَةِ ، قَوْلَ حَافِظِ الْحِفَاطِ
أَبْنِ حَجَرٍ الْمَسْقَلَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ مِمَّا زَادَنِي فِي هَذِهِ
الزِّيَارَةِ رَغْبَةً :

إِلَى الْبَيْتِ الْمَقْدِسِ جَنَّتُ أَرْجُو

جَنَانَ الْخُلْدِ تَزْلًا مِنْ كَرِيمٍ

قَطَمْنَا فِي مَسَافَتِهِ عِقَابًا^(١) وَمَا بَعْدَ الْعِقَابِ سِوَى النِّعَمِ
فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ، وَأَبْصَرْتُ بَدَائِعَهُ الَّتِي لَا
تُسْتَقْصَى ، بَهَرَنِي جَمَالُهُ الَّذِي تَجَلَّى اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَسَأَلْتُ عَنْ
مَحَلِّ الْمِعْرَاجِ الشَّرِيفِ فَأُرْشِدْتُ إِلَيْهِ ، وَشَاهَدْتُ مَحَلًّا
أَمَّ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّسُلَ الْكَرَامَ الْهُدَاةَ ، وَكَانَ
حَقِّي أَنْ أَنْشِدَ هُنَاكَ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُؤَقِّفِينَ وَهُوَ مِمَّا يَنْبَغِي
أَنْ تُرْمِزَ^(٢) بِهِ الْهُدَاةَ^(٣) :

(١) جمع عقبة : الرق الصعب من الجبال ، وفي (العقاب) في عجز البيت
تورية (٢) زمزم الرجل : سمع صوته من بعيد ، وفرس زمزم في صوته
إذا كان يطرب فيه (٣) الهداة جمع حاد : الذي يحدو للابل ، أى ينفى
وراءها وهو يسوقها

إِنَّ كُنْتَ تَسْأَلُ أَيْنَ قَدْ رُ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الْأَنَامِ
 فَأَصْبَحْ إِلَى آيَاتِهِ تَظْفَرُ بِرِيكِ فِي الْأَوَامِ^(١)
 أَكْرِمَ بِعَبْدٍ سَلَّمَتْ تَقْدِيمَهُ الرُّسُلُ الْكَرَامِ
 فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ وَآ فَاهَا بِعِزٍّ وَأَحْتِرَامِ
 صُفُوا^(٢) وَصَلُّوا خَلْفَهُ إِنَّ الْجَمَاعَةَ بِالْإِيمَانِ
 لِلشَّهْبِ نُورٌ بَيْنَ وَالْفَضْلُ لِلْقَمَرِ السَّمَانِ
 سِلْكُ النُّبُوَّةِ بَاهِرٌ وَبِأَمْحَدٍ خِمَ النَّظَامِ
 هَذَا الْكِتَابُ دَلَالَةٌ تَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
 شَهِدَتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ عَجَزِ السَّنِ الْلَذَّةِ^(٣) الْخِصَامِ
 خَيْرُ الْوَرَى وَأَجَلُ آ يَاتِ لَهُ خَيْرٌ^(٤) الْكَلَامِ
 فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّ الْوَرَى أَزْكَى صِلَاةٍ مَعَ سَلَامِ
 وَرُبَّمَا يَقُولُ مَنْ يَقِفُ عَلَى سِرِّ هَذِهِ الْأَمْدَاحِ النَّبَوِيَّةِ ، إِلَى
 مَتَى ؟ وَهَذَا الْمِيدَانُ تَكِلُّ فِيهِ فُرْسَانُ الْبَدِيسَةِ^(٥) وَالرُّوِيَّةِ ،
 فَأَنْشِدُهُ فِي الْجَوَابِ ، قَوْلَ بَعْضِ مَنْ أَمْ نَهَجَ الصَّوَابِ :

(١) أى شدة الظمأ (٢) صف القوم يصفون صفا واصطفوا وتمافوا: صاروا
 صفا (٣) جمع ألد : وهو شديد الخصومة (٤) خبر الكلام : القرآن الكريم
 (٥) أى الارتجال ، وهو الاتيان بالكلام من غير أن تسبقه روية ولا تفكير

لَا دِينَ مَدِيحَ الْمُصْطَفَى فَعَلَ مَنْ فِي اللَّهِ قُوَى طَمَعَهُ
فَعَسَى أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِهِ وَعَسَى يَخْشَرُنِي اللَّهُ مَعَهُ
وَإِذَا كَانَ الْقَرِيبُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَذِبًا صُرَاحًا ،
وَالْمَوْفِقُ مَنْ تَرَكَهُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ رَغْبَةً عَنْهُ وَلَهُ أُطْرَاحًا ،
فَخَيْرُهُ مَا كَانَ حَقًّا وَهُوَ مَذْحُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ
لِلْعَبْدِ مُتَمَتَّى سُوْلِهِ

لَيْسَ كُلُّ الْقَرِيبِ يَقْبَلُهُ السَّمْعُ وَتُصْنِي لِذِكْرِهِ الْأَفْهَامُ
إِنْ بَعْضُ الْقَرِيبِ مَا كَانَ هُزْأً لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ
وَأَجَلُ الْكَلَامِ مَا كَانَ فِي مَذْ

ح شَفِيعِ الْوَرَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
طَيِّبُ الْعَرْفِ دَائِمُ الذِّكْرِ لَا تَأْتِي^(١)

فِي اللَّيَالِي عَلَيْهِ وَالْأَيَّامُ
مِثْلُ زَهْرٍ قَدْ شَقَّ عَنْهُ كِمَامُ^(٢)

أَوْ كِمِسْكَ قَدْ فُضَّ عَنْهُ خِتَامُ
لَيْسَ تُخَصِّ صِفَاتُ أَحْمَدَ بِالْمَدِّ م كَمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ^(٣)

(١) أتت عليه الليالي : أفنته ولاشته (٢) جمع كم : غلاف الزهرة قبل أن
تتفتح (٣) أى الحواطر

وَلَوْ أَنَّ الْبَحَارَ حَبْرٌ وَمَا فِيهَا
أَرْضٍ مِنْ كُلِّ نَابِتٍ أَقْلَامٌ
فَطَوِيلُ الْمَدِيحِ فِيهِ قَصِيرٌ^(١) وَحُسَامُ مَاضٍ لَدَيْهِ كَهَامُ^(٢)
وَلِسَانُ الْبَلِيغِ لِلْمِي^(٣) يُنْعَى^(٤) وَكَذَا صَيْبُ الْفَصِيحِ جَهَامُ^(٥)
كَيْفَ يُحْصَى مَدِيحُ مَوْلَى عَلَيْهِ الْأَلَا

هُ أَثْنَى وَذِكْرُهُ مُسْتَدَامٌ
وَلَهُ الْمُعْجِزَاتُ وَالْآيَاتُ تَبْدُو لَا يُعْطَى وَجُوهُهُنَّ لِثَامٌ
فَمِنَ الْمُعْجِزَاتِ أَنْ سَارَ لَيْلًا وَجَمِيعُ الْأَنَامِ فِيهِ نِيَامٌ
رَاكِبًا لِلْبُرَاقِ حَتَّى أَتَى الْقُدَّ

سَ وَفِيهِ رُسُلُ الْإِلَهِ الْكِرَامُ
فَاسْتَوْا وَاخْلَفَهُ صُفُوفًا وَقَالُوا صَلِّ يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْإِمَامَ
فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ صَلَوَاتٌ زَاكِيَاتٌ^(٥) مَعَ صَحْبِهِ وَسَلَامٌ
ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَكَرَّرْتُ مِنْهَا الذَّهَابَ إِلَى
الْبِقَاعِ الطَّاهِرَةِ، فَدَخَلْتُ لِهَذَا التَّارِيخِ الَّذِي هُوَ عَامٌ تِسْعَةٌ
وَتَلَا مِئِينَ وَأَلْفٍ مَكَّةَ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَحَصَلْتُ لِي بِالْمُجَاوَرَةِ
فِيهَا الْمَسَرَّاتُ، وَأُمْلِيتُ فِيهَا عَلَى قَصْدِ التَّبَرُّكِ دُرُوسًا

(١) سيف كهام : كليل لا يقطع (٢) أى اللكنة والحصر (٣) أى ينسب

(٤) أى لا مطرفه (٥) من زكا : اذا نما

عَدِيدَةً ، وَاللهُ يَجْعَلُ أَيَّامَ الْعُمْرِ بِالْعَوْدِ إِلَيْهَا مَدِيدَةً ،
وَوَقَدْتُ عَلَى طَيِّبَةِ الْمُظْمَةِ مُيمَمًا^(١) مَنَاهِجَهَا السَّيِّدَةَ
سَبْعَ مِرَارٍ ، وَأَطْفَأْتُ بِالْعَوْدِ إِلَيْهَا مَا بِالْأَكْبَادِ الْحَرَارِ .
وَأَسْتَضَّاتُ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ ، وَأَلْفْتُ بِحَضْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْضَ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ الْجَوَارِ ، وَأُمْلِيتُ
الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ بِعَرَأَى مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَسْمَعِ ،
وَنِلْتُ بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ - وَلِلَّهِ الْيَمْنَةُ - مَا لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ مَطْمَعٌ
وَلَا مَطْمَعٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى مِصْرَ مُفَوَّضًا لِلَّهِ جَمِيعَ الْأُمُورِ ،
مُتَلَازِمًا خِدْمَةَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِالْأَزْهَرِ الْمَعْمُورِ ، وَكَانَ عَوْدِي
مِنَ الْحُجَّةِ^(٢) الْخَامِسَةِ بِصَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَلْفٍ لِلْهِجْرَةِ ،
فَتَحَرَّكَتْ هِمَّتِي أَوَائِلَ رَجَبِ هَذِهِ السَّنَةِ لِلْعَوْدِ لِلْيَمِينِ
الْمُقَدَّسِ ، وَتَجَدِيدِ الْمَهْدِ بِالْمَحَلِّ الَّذِي هُوَ عَلَى التَّقْوَى
مُؤَسَّسٌ ، فَوَصَلْتُ أَوَاسِطَ رَجَبٍ ، وَأَقَمْتُ فِيهِ نَحْوَ خَمْسَةِ
وَعِشْرِينَ يَوْمًا بَدَأَ لِي فِيهَا بِفَضْلِ اللهِ وَجْهَهُ الرُّشْدِ وَمَا

(١) قاصدا (٢) الحجة بفتح الحاء على القياس ، وبالكسر : الاسم

أَحْتَجَبَ ، وَأَلْقَيْتُ عِدَّةَ دُرُوسٍ بِالْأَقْصَى وَالصَّخْرَةِ الْمُنِيفَةِ ،
وَزُرْتُ مَقَامَ الْخَلِيلِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ذَوِي الْمَقَامَاتِ
الشَّرِيفَةِ ، وَكُنْتُ حَقِيقًا بِأَنْ أَتَشِدَّ قَوْلَ ابْنِ مَطْرُوحٍ ،
فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الَّذِي فَضَلُهُ مَعْرُوفٌ وَأَمْرُهُ مَشْرُوحٌ :

خَلِيلَ اللَّهِ قَدْ جِئْنَاكَ نَرْجُو شَفَاعَتَكَ الَّتِي لَيْسَتْ تُرَدُّ
أَنْلِنَا دَعْوَةً وَأَشْفَعُ تَشْفَعُ إِلَى مَنْ لَا يَحْبِبُ لَدَيْهِ قَصْدُ
وَقُلْ يَا رَبِّ أَضْيَافٌ وَوَقَدْ لَهُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّاهُ وَعَهْدُ
أَتَوْا يَسْتَغْفِرُونَكَ مِنْ ذُنُوبٍ عِظَامٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحَدُّ
إِذَا وَزَنْتَ يَبْذُلُ^(١) أَوْ شَمَامٍ رَجَحْنَ وَدُونَهَا رَضَوِي وَأَحُدُ
وَلَكِنْ لَا يَضِيقُ الْعَفْوُ عَنْهُمْ وَكَيْفَ يَضِيقُ وَهُوَ لَهُمْ مُعَدُّ
وَقَدْ سَأَلُوا رِضَاكَ عَلَى لِسَانِي إِلَهِي مَا أَجِيبُ وَمَا أُرْدُّ؟
فَيَا مَوْلَاهُمْ عَطْفًا عَلَيْهِمْ فَهَمْ جَمْعُ أَتَوَكُّ وَأَنْتَ فَرُدُّ
ثُمَّ اسْتَوْعَبْتُ أَكْثَرَ تِلْكَ الْمَزَارَاتِ الْمُبَارَكَةِ كَمَزَارِ

(١) يذبل ، وشمام ، ورضوى ، وأحد : أسماء جبال ببلاد العرب

مُوسَى الْكَلِيمِ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ
وَالْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالْتَسْلِيمِ . ثُمَّ حَدَّثَ لِي
مُتَتَصِفَ شَعْبَانَ ، عَزَمَ عَلَى الرُّحَلَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي ظَهَرَ
فَضْلُهَا وَبَانَ ، دِمَشْقِ الشَّامِ ، ذَاتِ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالْحَيَاءِ
وَالِاخْتِشَامِ ، وَالْأَذْوَاغِ ^(١) الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَالْأَزْوَاحِ ^(٢) الْمُتَضَوِّعَةِ ،
حَيْثُ الْمَشَاهِدُ الْمَكْرَمَةُ وَالْمَعَاهِدُ الْمُحْتَرَمَةُ ، وَالْفُوطَةُ ^(٣)
الْفَنَاءُ وَالْحَدِيقَةُ ، وَالْمَكَارِمُ الَّتِي يُبَارَى فِيهَا الْمَرْءُ شَانِيَهُ
وَصَدِيقَهُ ، وَالْأُظْلَالُ الْوَرِيقَةُ ^(٤) ، وَالْأَفْنَانُ الْوَرِيقَةُ ،
وَالزَّهْرُ الَّذِي تَحَالَهُ مَبْسِمًا وَالنَّدَى رِيقَهُ ، وَالْقُضْبَانُ الْمُلْدُ ^(٥)
الَّتِي تُشَوِّقُ رَائِيهَا بِحَنَّةِ الْخُلْدِ

بِحَيْثُ الرُّوْضُ وَضَاحُ الشَّيَا أُنِيقُ الْحُسْنِ مَصْقُولُ الْأَدِيمِ

(١) الدوح : الشجر للثف الكثير (٢) جمع ربيع ، وللتضويع ذات الضوع :
وهو العرف والرائحة الذكية (٣) الفوطة : موضع بالشام كثير الماء والشجر
وهو غوطة دمشق وهي إحدى الجنان الأربع . وبعضهم يقول غوطة
بدون ال (٤) ورف الظل اذا اتسع وامتد (٥) جمع أمد : الناعم
النعس

وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ عَلَى الطَّبَاجِ ، الْمَعْمُورَةُ الْبِقَاعِ ،
بِالْفَضْلِ وَالرَّبَاجِ ^(١) :

تَزِيدُ عَلَى مَرُّ الزَّمَانِ طَلَاوَةً

دِمَشْقُ الَّتِي رَاقَتْ بِحُلُوقِ الْمَشَارِبِ
لَهَا فِي أَقَالِيمِ الْبِلَادِ مَشَارِقُ مُنْزَهَةٌ أَقْمَارُهَا عَنْ مَغَارِبِ
وَدَخَلَتْهَا أَوَاخِرَ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ ، وَحَدَّثَ الرُّحْلَةَ
إِلَيْهَا ، وَجَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ السَّعَى الْمَشْكُورِ
وَجَدَتْ بِهَا مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قُرَّةً ^(٢)

وَيُسْلِي عَنِ الْأَوْطَانِ كُلِّ غَرِيبِ
وَشَاهَدَتْ بَعْضَ مَعَانِيهَا الْحُسْنَةَ ، وَمَبَانِيهَا الْمُسْتَحْسَنَةَ ،
تَزَلْنَا بِهَا نَتَوَى الْمَقَامَ ^(٣) ثَلَاثَةً

فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقْمَنَّا بِهَا شَهْرًا
وَرَأَيْنَا مِنْ عَاسِيْنِهَا مَا لَا يَسْتَوْفِيهِ مَنْ تَأَنَّقَ فِي الْخُطَابِ ،
وَأَطَالَ فِي الْوَصْفِ وَأَطَابَ ، وَإِنْ مَلَأَ مِنَ الْبَلَاغَةِ
الْوِطَابَ ^(٤) ، كَمَا قُلْتُ :

(١) لعلها (الرياح) بالياء التثنية أى الريح والنفاء والزيادة - وراع الشئ :
زكا وزاد (٢) أى سرورا (٣) أى الإقامة (٤) جمع وطب وهو وعاء اللبن

مَحْسِنُ الشَّامِ أَجْلَى مِنْ أَنْ تُحَاطَ بِحَدِّ
لَوْلَا حَيُّ الشَّرْعِ قُلْنَا وَلَمْ نَقِفْ عِنْدَ حَدِّ
كَانَهَا مُنْجِرَاتٌ مَقْرُونَةٌ بِالتَّحَدُّي
فَالْجَامِعُ الْجَامِعُ لِلْبَدَائِعِ يَبْهَرُ الْفِكَرَ ، وَالنُّوْطَةُ
النُّوْطَةُ بِالْحُسْنِ تَسْحَرُ الْأَلْبَابَ لَا سِيَّمَا إِذَا حَيَّاهَا النَّسِيمُ
وَابْتَكَرَ :

أَحِبُّ الْإِلَهِيِّ مِنْ أَجْلِ مَنْ سَكَنَ الْإِلَهِي
حَدِيثٌ حَدِيثٌ فِي الْهَوَى وَقَدِيمٌ
فَلِلَّهِ مَرَّاهَا الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ ، وَيُؤْتِيهَا الَّتِي لَمْ تَخْرُجْ
عَنْ عَرُوضِ الْخَلِيلِ ، وَغَبَرُهَا الَّذِي هُوَ عَلَى فَضْلِهَا وَفَضْلِ
أَهْلِهَا أَدْلُ دَلِيلٍ ، وَمَنْظَرُهَا الَّذِي يَنْقَلِبُ الْبَصَرُ عَنْ
بَهْجَتِهِ وَهُوَ كَلِيلٌ^(١)

وَالرَّوْضُ قَدَرِاقُ الْعُيُونِ بِحُلَّةٍ قَدْ حَا كَهَا بِسَعَابِهِ آذَارُ^(٢)
وَعَلَى غُصُونِ الدَّوْحِ خُضْرُ غَلَائِلِ
وَالزَّهْرُ فِي أَكْصَامِهِ أَزْرَارُ

فَكَمْ لَهَا مِنْ حُسْنِ ظَاهِرٍ وَكَامِنٍ ، كَمَا قُلْتُ مُوَطَّنًا
لِلْيَتِّ الثَّامِنِ :

أَمَّا دِمَشْقُ فَجَنَّةٌ لَعِبَتْ بِالْبَابِ الْخَلَائِقِ
هِيَ بَهْجَةُ الدُّنْيَا الَّتِي مِنْهَا بَدِيعُ الْحُسْنِ فَاتِقِ
لِلَّهِ مِنْهَا الصَّالِحِ يَتَّةٌ فَاخْرَتْ بِذَوِي الْخُلُقَاتِ
وَالْمُوطَةَ الْفَنَاءَ حَيَّةٌ تَبْالُورُودٍ وَبِالشَّقَائِقِ
وَالنَّهْرُ صَافٍ وَالنَّسِيمُ اللَّذْنُ لِلْأَشْوَاقِ سَائِقِ
وَالطَّيْرُ بِالْمِيدَانِ أُبْدَتْ فِي الْفَنَاءِ حَلِي الطَّرَائِقِ
وَلَا إِلِي الْأَزْهَارِ حَلَّةٌ تَجِدُ غُصْنٍ فَهُوَ رَائِقِ
وَمَرَاوِدُ الْأَمْطَارِ قَدْ كُحِلَتْ بِهَا حَدَقُ الْخُدَائِقِ
لَا زَالَ مَفْنَاهَا مَصُونَا آمِنَا كُلُّ الْبَوَائِقِ

وَكَمَا قُلْتُ مُرْتَجِلًا أَيْضًا مُضْمِنًا الرَّابِعَ وَالْخَامِسَ
دِمَشْقُ رَاقَتْ رِوَاءُ^(١) وَبَهْجَةُ^(٢) وَغَضَارَةُ^(٣)
فِيهَا نَسِيمٌ عَلِيلٌ صَحَّ فَوَاقَتْ بِشَارَةِ
وَعُوطَةُ كَمَرُوسٍ تَزْهَى بِأَعْجَبِ شَارَةِ

يَا حُسْنَهَا مِنْ رِيَاضٍ مِثْلِ النَّضَارِ^(١) نَضَارَةٌ
 كَالزُّهْرِ^(٢) زَهْرًا وَعَنْهَا عَرَفُ الْعَمِيرِ عِبَارَةٌ
 وَالْجَامِعُ الْفَرْدُ مِنْهَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَةٌ
 وَحَاصِلُ الْقَوْلِ فِيهَا لِمَنْ أَرَادَ اخْتِصَارَةٌ
 تَذَكِيرُهَا مَنْ رَأَاهَا عَدْنَا وَحَسْبِي إِشَارَةٌ
 دَامَتْ تَقْوَى سِوَاهَا إِنَالَةٌ وَإِنَارَةٌ

وَكَمَا أُرْتَجَلَتْ فِيهَا أَيْضًا

قَالَ لِي مَا تَقُولُ فِي الشَّامِ حَبْرٌ
 كَلَّمَ لَا حَ بَارِقُ الْخُسْنِ شَامَةٌ
 قُلْتُ مَاذَا أَقُولُ فِي وَصْفِ قُطْرِ
 هُوَ فِي وَجَنَةِ الْمَحَاسِنِ شَامَةٌ
 وَقُلْتُ أَيْضًا:

قَالَ لِي صِفْ دِمَشْقَ مَوْلَى رَيْسٍ
 جَمَلَ اللَّهُ خَلْقَهُ وَأَحْسَنَ شَامَةً

قُلْتُ كُلَّ اللِّسَانِ فِي وَصْفِ قَطْرِ

هُوَ فِي وَجَنَةِ الْبَسِيطَةِ شَامَةٌ^(١)

وَقُلْتُ أَيْضًا :

وَإِذَا وَصَفْتَ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَبْدَأُ بِغَيْرِ دِمَشْقَ فِيهَا أَوْ لَا

بَلَدٌ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرَفَكَ نَحْوَهُ لَمْ تَلَقِ إِلَّا جَنَّةً أَوْ جَدْوَلًا

ذَا وَصَفُ بَعْضِ صِفَاتِهَا وَهِيَ الَّتِي

يَمَيَّا الْبَلِيغُ وَإِنْ أَجَادَ وَطَوَّلَا

وَالنَّاعِيَةُ فِي هَذَا الْبَابِ ، مِنْ الْوَصْفِ لِبَعْضِ مَحَاسِنِهَا

الْفَاتِنَةِ الْأَلْبَابِ ، قَوْلُ أَبِي الْوَحْشِ سَبْعِيٌّ ابْنُ خَلْفِ

الْأَسَدِيِّ يَصِفُ أَرْضَهَا الْمَشْرِقَةَ ، وَرِيَاضَهَا الْمُرَوِّقَةَ ، وَلَسِيمَهَا

الْعَلِيلَ ، وَزَهْرَهَا الْبَلِيلَ^(٢) :

سَقَى دِمَشْقَ الشَّامِ غَيْثٌ مُمْرِغٌ^(٣)

مِنْ مُسْتَهْلٍ^(٤) دَيْعَةٍ^(٥) دَفَاقِهَا

(١) شامة : الشامة علامة تخالف البدن التي هي فيه (٢) البليل : اللذى

(٣) ممرع : مخصب (٤) استهل للطر : ارتفع صوت وقعه (٥) هي مطر يدوم

في سكون بلا رعد ولا برق

مَدِينَةُ لَيْسَ يُضَاهِي حُسْنَهَا فِي سَارِّ الدُّنْيَا وَلَا آفَاتِهَا
تَوَدُّ زَوْرَاءُ^(١) الْإِرَاقِ أَنَّهَا تُعْزَى إِلَيْهَا لَا إِلَى عِرَاقِهَا
فَارْضُهَا مِثْلُ السَّمَاءِ بِهَجَّةٍ وَزَهْرُهَا كَالزَّهْرِ فِي إِشْرَاقِهَا
نَسِيمُ رِيًّا رَوْضِهَا مَتَى سَرَى فَكَّ أَخَا الْهُمُومِ مِنْ وَثَاقِهَا
قَدْ رَعَى الرَّيِّعُ فِي رُبُوعِهَا وَسَيَقَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَسْوَاقِهَا
لَا تَسَامُ الْعُمُيُونُ وَالْأُنُوفُ مِنْ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا وَلَا أَنْتِشَاقِهَا^(٢)

وَقَوْلُ شَمْسِ الدِّينِ الْأَسَدِيِّ الطَّبِيِّ :

إِذَا ذُكِرَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ يَوْمًا فَقُلْ سَقِيًّا لِحِلْقِ مُنَّمٍ رَعِيًّا
وَقُلْ فِي وَصْفِهَا لَا فِي سِوَاهَا بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا
وَكَأَنَّ لِسَانَ الدِّينِ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ ابْنَ الْخَطِيبِ ، عَنَاهَا

بِقَوْلِهِ الْمُصِيبِ :

بَلَدٌ تَحْفُ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ
وَكَأَنَّمَا وَادِيهِ مِعْصَمٌ غَادَةٌ

وَمِنْ الْجُسُورِ الْمُحْكَمَاتِ سِوَارُهُ

وَكَأَنَّ قَبْلَ رِخْلَتِي إِلَيْهَا وَوَفَادَتِي عَلَيْهَا كَثِيرًا

مَا أَسْمَعُ عَنْ أَهْلِهَا - زَادَ اللَّهُ فِي أَرْتِقَائِهِمْ - مَا يُشَوِّفُنِي إِلَى
رُؤْيَيْهَا وَلِقَائِهِمْ ، وَيُنْشِقُّنِي عَلَى الْبُعْدِ أَرْبِجَ الْأَدَبِ الْفَائِقِ
مِنْ تَلْقَائِهِمْ ^(١) ، حَتَّى لَقِيتُ بِمَكَّةَ الْمُعْظَمَةِ ، أَوْحَدَ كِبَرَاتِهَا
الَّذِينَ فَرَّادُهُمْ بِلَبِّهِ ^(٢) الدَّهْرُ مُنْظَمَةٌ ، عَيْنَ الْأَعْيَانِ ، وَصَدَرَ
أَرْبَابِ التَّفْسِيرِ بِهَا وَالْبَيَانِ ، صَاحِبَ الْقَلَمِ الَّذِي طَبَّقَ ^(٣)
الْكُلِّيَّ وَالْمَفَاصِلَ ، وَالْفَتَاوَى الَّتِي حُكِمَ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ فَاصِلٌ ، وَالتَّلَافُفِ الَّتِي وَصَفَهَا بِالْإِجَادَةِ مِنْ بَابِ
تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ ، وَارِثُ الْعِلْمِ عَنْ غَيْرِ كَلَالَةٍ ، ذُو الْحَسَبِ
الْمُشْرِقِ بِدُرِّهِ فِي سَمَاءِ الْجَلَالَةِ ، صَاحِبُ الْمَعَارِفِ الَّتِي زَانَتْ
خِلَالَهُ ، وَسَاحِبُ أَذْيَالِ الْعَوَارِفِ الَّتِي أَبَانَتْ عَنْ فَضْلِهِ
دَلَالَةً . مُفْتِي السُّلْطَانِ فِي تِلْكَ الْأَوْطَانِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ
النُّعْمَانِ ، مَوْلَانَا الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ
عِمَادِ الدِّينِ ، لَا زَالَ سَالِكِ سَبِيلِ الْمُتَمِّدِينَ ، فَكَانَ - جَلَّ اللَّهُ
بِهِ عَصْرًا وَأَوَانًا - لِقَضِيَّةِ هَذَا الْقِيَاسِ عُتْوَانًا ، فَلَمَّا حَلَّتْ
بِدَارِهِمْ ، وَرَأَيْتُ مَا أَذْهَلَنِي مِنْ سَبَقِهِمْ لِلْفَضْلِ وَبِدَارِهِمْ ،

(١) أى ناحيتهم (٢) اللبة : النحر (٣) طبق الكلّي والمفاصل : كناية
عن البلاغة وقوة التأثير

صَدَقَ الْخَبْرُ ، وَتَمَثَّلْتُ فِيهِمْ بِقَوْلِ بَعْضٍ مِّنْ غَيْرِ^(١) :
 أَلَمْتُ بِمَا أَوْصَاهُمْ فَأَمْتَلًا أَلْفَضًا
 عَيْرًا وَأَضْحَى نُوْرُهُ مُتَالِقًا^(٢)
 وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ سَمَاعِ حَدِيثِهِمْ
 بَلَاغًا فَصَحَّ النَّقْلُ إِذْ حَصَلَ اللَّقَاءُ
 وَقَابَلُونِي - أَسْمَاهُمْ^(٣) اللَّهُ - بِالِاخْتِفَالِ وَالِاخْتِفَاءِ ،
 وَعَرَفَنِي بِدِيْعِ بَرِّهِمْ فَنَ الْكَتِفَاءِ :
 غَمَرْتَنِي الْمَكَارِمُ الْغُرُ مِنْهُمْ وَتَوَالَتْ عَلَيَّ مِنْهَا فُتُونُ
 شَرَطُ إِحْسَانِهِمْ تَحَقَّقَ عِنْدِي
 لَيْتَ شِعْرِي الْجَزَاءُ كَيْفَ يَكُونُ ؟

وَقَابَلُونِي بِالْقَبُولِ مُغْضِيْنَ^(٤) عَنْ جَهْلِي
 وَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ وَبَرُّهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
 بَلِ الْأَوَّلَى أَنْ أَمْتَلَّ فِيهِمْ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا
 الْمَقُولِ فِي آلِ الْمُهَلَّبِ ، وَهُوَ قَوْلُ بَعْضٍ مِّنْ نَّرَلِ بِقَوْمِ

(١) أى مضى (٢) تألق النور : أضاء (٣) أى رفعهم (٤) هو مدح في
 آل المهلب بن أبي صفرة ، وقوله :

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان في زمن محل

بَرَقُ قَصْدِهِمْ غَيْرُ خُلْبٍ^(١) ، فِي زَمَنِ بِهِ تَقَلَّبَ :

وَلَمَّا تَزَلْنَا فِي ظِلَالِ يُوتِهِمْ

أَمِنَّا وَنَلْنَا الْخُصْبَ فِي زَمَنِ الْمَحِلِّ^(٢)

وَلَوْ لَمْ يَزِدْ إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ

عَلَى الْبَرِّ مِنْ أَهْلِ حَسَنَتِهِمْ أَهْلِي

لَا سِيَّامَا الْمَوْلَى الَّذِي أَمْدَا حُهُ تَحَلَّى أَجْيَادُ^(٣) الطُّرُوسِ

الْمَاعِلَةِ ، وَسَمَاحُهُ يُنْجِلُ أَنْوَاءَ الْغُيُوثِ الْهَاطِلَةِ ، صَدْرُ

الْأَكَابِرِ الْأَعَاظِمِ ، الْخَائِزُ قَصَبَ السَّبْقِ فِي مَيْدَانِ الْإِجَادَةِ

بِشَهَادَةِ كُلِّ نَائِرٍ وَنَاطِلٍ ، الصَّدِيقُ الَّذِي بَوْدُهُ أَغْطَبُ ،

وَالصَّدُوقُ الَّذِي بِأَسْبَابِ عَهْدِهِ أُرْتَبَطُ ، الْأَوْحَدُ الَّذِي

ضَرَبَتْ^(٤) الْبَلَاغَةُ رُوقَهَا بِنَادِيهِ ، وَالْمَاجِدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ

بَدِيعُ الْبَلَاغَةِ مِنْ كُتُبِ^(٥) يُنَادِيهِ . السَّرِيُّ الْخَائِزُ مِنْ

الْحِلَالِ مَا أَبَانَ تَفْضِيلُهُ ، اللُّودَعِيُّ^(٦) الَّذِي لَمْ تَزَلْ أَوْصَافُهُ

(١) البرق الخلب : الذي لا يعقبه مطر (٢) المحل : القحط والجذب

(٣) أجياد جمع جيد : الغنى (٤) كناية عن اختصاصها به (٥) أى قرب :

تقول هو على كتب منى : أى على قرب (٦) أى اللبيب

تَحْكُمُ لَهُ بِالسُّؤْدُدِ وَتَقْضِي لَهُ - وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا يَخْتَاجُ
إِلَى زِيَادَةِ بَرَاهِينٍ - الْأَجَلُ الْمَوْلَى أَحْمَدُ أَقْدَى ابْنِ شَاهِينَ ،
لَا زَالَتِ الْعِزَّةُ مُقِيمَةً بِوَادِيهِ ، وَلَا بَرَحَتْ حَضْرَتُهُ جَامِعَةً
لِبَوَاطِينِ الْفَخْرِ وَبَوَادِيهِ ^(١) ، وَالسَّعْدُ يُرَاحُ مُقَامَهُ
وَيُعَادِيهِ ، وَالْمَجْدُ يَتَرْتَّمُ بِذِكْرِ حَادِيهِ . فَكَمْ لَهُ - أَسْمَاءُ
اللَّهِ - وَلَتَسِيرُهُ مِنْ أَعْيَانِ دِمَشْقَ لَدَى مِنْ أَيْادٍ ، يَمُجِزُ عَنْ
الْإِبَانَةِ عَنْهَا لَوْ أَرَادَ وَصَفَهَا قُسُ ^(٢) إِيَادٍ ، وَلَوْ تَعَرَّضْتُ
لِأَسْمَائِهِمْ وَخَلَامِهِمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى سُؤْدُدَهُمْ وَعِلَامَهُمْ - لَصَاقَ
عَنْ ذَلِكَ هَذَا النُّطَاقُ ، وَكَانَ مِنْ شِبْهِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا
يُطَاقُ . فَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ أَسْلُوبٍ ، أَوْدَى بَعْضَ
حَقِّهِ الْمَطْلُوبِ ؟ أَمْ بِأَيِّ لِسَانٍ ، أَثْنِي عَلَى مَزَايَاهُمْ
الْحَسَانِ ؟ وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي قَوْمٍ نَسَقُوا الْفَضَائِلَ
وَلَاءَ ، وَتَعَاطَوْا أَكْوَابَ الْمَحَامِدِ مِلَاءً ^(٣) ، وَسَحَبُوا
مِنْ الْمَجْدِ مَطَارِفَ وَمِلَاءً ^(٤) ، وَحَازُوا الْمَكَارِمَ وَبَدُّوا
الْمَوَادِدَ ^(٥) وَالْمُصَارِمَ ^(٦) سُؤْدُدًا وَعِلَاءً ^(٧)

(١) أى ظواهره (٢) هو قس بن ساعدة خطيب عكاظ (٣) أى مفعمة، وهو جمع ملآن، ومؤنثه ملأى (٤) ملأ جمع ملأه، وهى الأزار (٥) الموادد: ذوالود والواجب فى مثله الأدغام ويشذ الفك (٦) أى اللقاطع (٧) الملاء: الشرف

فَمَا رِيَاضُ زَهْرِ الرَّيِّعِ إِذَا بَدَتْ فِي وَشْيِهَا^(١) الْبَدِيعِ
 ضَاحِكَةٌ عَنِ شَنْبِ الْأَفَاحِ^(٢) عِنْدَ سُفُورِ طَلْعَةِ الصَّبَاحِ
 غَنَى بِهَا مُطَوَّقُ الْحَمَامِ وَصَافِحَتَهَا رَاحَةُ النَّعَامِ
 وَبَاكَرَتَهَا نَسْمَةٌ مِنَ الصَّبَا فَأَضْبَحَتْ كَأَنَّهَا عَهْدُ الصَّبَا
 نَضَارَةٌ وَرَوْنَقًا وَبَهْجَةً تُقْدَى بِكُلِّ نَاطِرٍ وَمُهْجَةٍ
 أَطْلُبُ مِنْ ثَنَائِهِمْ عَيَّوَا يَبْنَ الْوَرَى فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرَا
 دَامَتْ مَعَالِيهِمْ عَلَى طُولِ الزَّمَنِ

يُرْوَى حَدِيثُ الْفَضْلِ عَنْهَا عَنْ حَسَنِ
 وَثَابِتٍ وَثُرَّةٍ وَسَعْدٍ وَأَسْعَفُوا بِنَيْلِ كُلِّ وَغْدٍ
 فَهُمْ الَّذِينَ نَوَّهُوا بِقَدْرِ الْخَامِلِ ، وَظَنُّوا مَعَ تَقْصِي
 أَنَّ بَحْرَ مَعْرِفَتِي وَافِرٌ كَامِلٌ ، حَسْبَمَا اقْتَضَاهُ طَبْعُهُمُ الْعَالِي .
 فَلَوْ شَرِيتُ بِعُمْرِي سَاعَةً ذَهَبَتْ مِنْ عَيْشِي مَعَهُمْ مَا كَانَ

(١) وشى الثوب : حلاه ونغم أطرافه (٢) الشنب : ماء الأسنان وبريقها .
 والأفاح جمع أقحوانة : نبت له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء ،
 وأوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان ، فيقال افترت
 عن نور الأقحوان

بِالْغَالِي . فَتَمَتَّعْنِي حَقَّهُمْ لَا يُتْرَكُ ، وَجَبَّهُمْ لَا يُخَالَطُ بِغَيْرِهِ
وَلَا يُشْرَكُ ، وَإِنْ أَطْلُتُ الْوَصْفَ فَالْغَايَةُ فِي ذَلِكَ
لَا تُدْرَكُ :

يَزْدَادُ فِي مَسْمِي تَزْدَادُ ذِكْرِهِمْ

طَيِّبًا وَيَحْسُنُ فِي عَيْنِي مُكَرَّرُهُ
وَإِذَا كَانَ الْمَدِيحُ الصَّادِقُ لَا يَزِيدُهُمْ رِفْعَةً قَدْرًا ، فَهُمْ
كَمَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فِي مَدْحِ الْبَدْرِ . وَالْبَلِيغُ
وَذُو الْحَصْرِ^(١) فِي ذَلِكَ سَيَّانٍ ، وَالْحَقُّ أَبْلَجُ^(٢) ، وَالْبَاطِلُ
لَجَلَجَ ، وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ^(٣) :
هَبِ الرُّوضُ لَا يُبْنَى عَلَى الْقَيْثِ نَشْرُهُ^(٤)

أَتَحْسَبُهُ تَخَفَى مَا ثَرَاهُ الْحُسْنَى ؟
وَقَدْ تَذَكَّرْتُ بِلَادِي النَّائِيَةَ ، بِذَلِكَ الْمَرَأَى الشَّامِي
الَّذِي يَبْهَرُ رَأْيُهُ ، فَمَا شِئْتُ مِنْ أَنْهَارِ ذَاتِ الْأَنْسِجَامِ ،

(١) الحصر : العى فى المنطق (٢) من بلج الحى : ظهر وانضح (٣) العيان :

المشاهدة (٤) نشره : ريحه الطيبة

أُتْرِعَ^(١) فِيهَا مِنْ جِرْيَالٍ^(٢) الْآنَسِ جَامٍ^(٣) ، وَأَزْهَارٍ مُتَوَجِّعَةٍ
لِلْأَذْوَاحِ ، مُرَوِّحَةٍ لِلنُّفُوسِ بِعَاطِرِ الْأَزْوَاحِ . وَحَدَائِقُ تَنْشَى^(٤)
أَنْوَارُهَا الْأَحْدَاقَ ، وَعَيَانُهَا لِلْخَبَرِ عَنْهَا مِصْدَاقٌ وَأَيُّ مِصْدَاقٍ ؟
فَعَيَّ الْتَى ضَحِكَ النَّهَارُ صَبَاحَهَا

وَبَكَتْ عَشِيَّتَهَا عُيُونُ النَّرْجِسِ
وَأَخْضَرَ جَانِبُ نَهْرٍهَا فَكَأَنَّهُ

سَيْفٌ يُسَلُّ وَغَمْدُهُ مِنْ سُنْدُسٍ
وَجَنَانٍ ، أَفْنَانُهَا فِي الْحُسْنِ ذَوَاتُ أَفْنَانٍ
صَافَحَتْهَا الرِّيَّاحُ فَاغْتَنَقَ السَّرَّ وَوَمَالَتْ طَوَالَهُ لِلْقِصَارِ
لَا يَذُّ بَعْضُهُ يَبْعُضٍ كَقَوْمٍ فِي عِتَابٍ مُكْرَرٍ وَأَعْتَذَارِ
وَبِطَاجٍ رَاقٍ سَنَاهَا ، وَكَمَلْ حُسْنُهَا وَتَنَاهَى ، كَمَا
قُلْتُ مُضْمِنًا فِي ذَلِكَ الْمَنْحَى ، لِقَوْلِ بَعْضٍ مَنْ تَالَى فِي الْبَلَاغَةِ
مُنَى وَمِنْحَا :

دِمَشْقُ لَا يُقَاسُ بِهَا سِوَاهَا
وَيَمْتَنِعُ الْقِيَاسُ مَعَ النَّصُوصِ

(١) أترع: ملئ* (٢) جريال: الحمرة أو لونها (٣) جام: اناء من فضة (٤) تانشى: تلهو

حُلَامَا رَأَتْ الْأَبْصَارَ حُسْنًا
 عَلَى حُكْمِ الْمُتَوَمِّمِ أَوْ الْخُصُوصِ
 بِسَاطِ زُمْرِدٍ ثَبَرَتْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَلْيَافِ الْفُصُوصِ
 وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ ، فِي وَصْفِ تِلْكَ الْفَضَائِلِ :
 إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ بِأَرْضٍ
 فَدِمَشْقُ وَلَا يَكُونُ سِوَاهَا
 أَوْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ عَلَيْهَا قَدَامَدَتُ^(١) هَوَاهَا وَهَوَاهَا
 بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَاغْتَنِمَهَا عَشِيَّةً أَوْ صُحَاهَا
 وَعِنْدَ رُؤْيَايَ لَتِلْكَ الْأَقْطَارِ ، الْجَلِيلَةِ الْأَوْصَافِ الْعَظِيمَةِ
 الْأَخْطَارِ ، تَفَاءَلْتُ بِالْعَوْدِ إِلَى أَوْطَانٍ لِي بِهَا أَوْطَارُ^(٢) ، إِذِ
 التَّشَابُهُ يَنْتَهَمَا قَرِيبٌ فِي الْأَنْهَارِ وَالْأَزْهَارِ ذَاتِ الْعَرَفِ
 الْبَعْطَارِ ، وَزَادَتْ هُذِهِ بِالتَّقْدِيرِ الَّذِي هَمَمْتُ^(٣) عَلَيْهَا مِنْهُ
 الْأَمْطَارُ ، وَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِ الْأَصْفَهَانِي ، وَإِنْ غَيَّرْتُ يَسِيرًا
 مِنْهُ لَمَّا اسْفَرَّتْ وَجْوهُ التَّهَانِي :

(١) لعلها: أمرت (٢) الأوطار جمع وطر: الحاجة والبغية (٣) هممت: سالت

لَمَّا وَرَدْتُ الصَّالِحِيَّةَ حَيْثُ مُجْتَمِعُ الرِّفَاقِ
وَشِمْتُ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ مِ نَسِيمِ أَتْقَاسِ الْعِرَاقِ
أَيَقُنْتُ لِي وَلَيْعَنْ أَحِبُّ مِ بِجَمْعِ شَلِّ وَأُتَّقِ
وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا ، كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ
لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا تَجَشُّمُ أَزْمَنِ السَّقَرِ الْبَوَاقِ
حَتَّى يَطُولَ حَدِيثُنَا بِصِفَاتِ مَا كُنَّا نَلَاقِ
وَكُنْتُ قَبْلَ حُلُولِي بِالْقَاعِ الشَّامِيَّةِ مُوَلِّعًا بِالْوَطَنِ
لَا سِوَاهُ ، فَصَارَ الْقَلْبُ بَعْدَ ذَلِكَ مُقْسَمًا بِهَوَاهُ
وَلِي بِالْجَمْعِ أَهْلٌ وَبِالشُّعْبِ ^(١) جَبَرَةٌ

وَفِي حَاجِرٍ ^(٢) خِلٌ وَفِي الْمُنْحَى ^(٣) صَحْبُ
تَقَسَّمَ ^(٤) ذَا الْقَلْبِ الْمُتَمِّمُ يَنْهَمُ
سَأَلْتُكُمْ يَا اللَّهِ هَلْ يُقَسِّمُ الْقَلْبُ
فَيَالِكَ مِنْ صَبٍّ مُرَاعٍ لِلذَّمَامِ ^(٥) ، مُنْقَادٍ لِشَوْقِهِ بِزِمَامِ ،

(١) الشعب : الطرق في الجبل ، وماء بين العقبة والقاع في طريق مكة ،
ومكان آخر بظاهر المدينة للنوره (ويسمى شعب المعجوز) والشعب
(بضم الشين) واد بين مكة وللمدينة (٢) حاجر : منزل للحاج بالبادية في
طريق مكة (٣) المنحى : موضع قرب مكة المكرمة (٤) أو (تُقَسِّمُ) .
(٥) الذمام : المهد والحرمة والحق وكل حرمة تلزمك اذا ضيعتها المذمة

يُحِيلُ لَهُ أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ قِيَانٍ يَقُولُ الْأَوَّلِ :
 يَا إِلَهَ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَةً وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟
 وَفَرَدٍ تَعَدَّدَتْ مُجُوعُهُ ، وَوَشَتْ ^(١) بِمَا أَكُنْتُ ضُلُوعُهُ
 دُمُوعُهُ ، فَأَنْشَدَ وَقَدْ تَحَيَّرَ ، مَا بَدَّلَ فِيهِ مِنْ عِظَمِ مَا بِهِ وَغَيْرَ :
 كَتَمْتُ شَأْنَ الْهَوَى يَوْمَ النُّوَى فَوَشَى
 بِسِرِّهِ مِنْ جُفُونِي أَيْ نَعَامَ ؟
 كَانَتْ لَيْلَالِي بَيْضًا فِي دُنُوعِهِمْ
 فَلَا تَسَلْ بَعْدَهُمْ عَنْ حَالِ أَيَّامِي
 حَنِيتُ ^(٢) وَجَدَّابِهِمْ وَالنَّاسُ تَحْسَبُ بِي
 سَقَمًا فَأَبْهَمَ حَالِي عِنْدَ لُؤَامِي
 وَلَيْسَ أَصْلُ ضَنِّي جِسْمِي النَّحِيلِ سِوَى
 فَرَطٍ أَشْتِيَاقِي لِأَهْلِ الْغَرْبِ ^(٣) وَالشَّامِ
 وَحَصَلَ التَّحَيُّرُ ، حَيْثُ لَمْ يُنْكَنِ الْجَمْعُ وَلَا ائْتَلَوْ
 عِنْدَ التَّخَيُّرِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْفَرَضِ
 الْبَعِيدِ :

(١) أى تمت و دلت ، من الوشاية (٢) ضنى - من باب فرح - : هزل و ضعف
 (٣) يريد بلاد الأندلس و طنه

إِذَا كُنْتُ فِي نَجْدٍ وَطِيبِ نَعِيمِهِ
 تَذَكَّرْتُ أَهْلِي بِاللَّوَى^(١) فَمُحَسَّرِ
 وَإِنْ كُنْتُ فِيهِمْ زِدْتُ شَوْقًا وَلَوْعَةً
 إِلَى سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَيْلَ تَصْبَرِي
 فَقَدْ طَالَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَوْفِي
 فَمَنْ لِي بِنَجْدٍ بَيْنَ أَهْلِي وَمَمَشَرِي
 وَبِالْجُمْلَةِ : فَلَا غَيْرَافُ بِالْحَقِّ فَضِيلَةٌ ، وَحَاسِنُ الشَّامِ
 وَأَهْلِهِ طَوِيلَةٌ وَعَرِيضَةٌ ، وَرِيَاضُهُ بِالْمَفَاخِرِ وَالْكَمَالَاتِ
 أَرِيضَةٌ^(٢) وَهُوَ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَلَا يَجْهَلُ فَضْلَهُ
 إِلَّا الْأَعْمَارُ الْأَغْيَاءُ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ مَرِيضَةٌ :
 أَنِّي يَرَى الشَّمْسُ خُفَاشَ^(٣) يَلَا حِظَهَا
 وَالشَّمْسُ تَبْهَرُ أَبْصَارَ الْخُلَفَاءِ
 وَلِلَّهِ دَرْءٌ مَنْ قَالَ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْأَرَضِيَاءِ :

(١) اللوى ومحسر : موضعان ببلاد العرب (٢) أرض أريضة : أى كريمة لينية
 تمرح بالنبات ، ويقال نزلنا أرضاً أريضة أى ممجبة للعين . قال امرؤ القيس :
 بلاد عريضة وأرض أريضة مدافع ماء في فضاء عريض
 ٨١ من اللسان (٣) أى الطواط ، وهو لا يبصر نهارة

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيْمَنِي الْمَالْمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ

وَقَالَ آخَرُ، فِيمَنْ عَنِ الْحَقِّ يَنْفَرُ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَيْنٌ بِصِيرَةٍ

فَلَا غَرَوْا أَنْ يَرْتَابَ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ^(١)

وَحَسَبُ الْفَاضِلِ اللَّيْبِ، أَنْ يَرْوِيَ قَوْلَ الْبَذْرِ بْنِ

حَبِيبٍ:

عَرَجٌ^(٢) إِذَا مَا شِئْتَ^(٣) بَرَقَ الشَّامُ

وَحَيَّ أَهْلَ الْحَيِّ وَأَقْرَبَ السَّلَامِ

وَأَنْزَلَ بِأَقْلِيمٍ جَزِيلِ الْحَيَا بَارَكَ فِيهِ اللَّهُ رَبُّ الْأَنَامِ

الْعِزُّ وَالنَّصْرُ لَدَيْهِ وَمَا لِعُرْوَةِ الْإِسْلَامِ عَنْهُ انْقِصَامُ

مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَمْ قَدْ حَوَى رُكْنًا يَرَاهُ يَطِيبُ الْمَقَامُ؟

وَهُوَ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ الْأَلَى وَالْأَصْفِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْكَرَامِ

كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي سَمَاءِهِ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ فَرَدَوْكُمْ مِنْ إِمَامٍ؟

وَلِلَّذَلِكَ أَعْتَتِ الْجَاهِلِيَّةُ بِتَخْلِيدِ أَخْبَارِهِ فِي الدَّوَابِّ،

(١) أسفر الصبح : أنارواضاء (٢) عرج : مال وعطف (٣) شام البرق : رآه

وَأَبْنَتِ الْأَسَايِدَةَ يُبُوتَ أَفْخَارِهِ الْمُنِيفَةَ الْأَوَايِنِ^(١) ،
وَتَنَاقَلَتِ أَنْبَاءُهُ الْبَدِيعَةَ أَلْسُنُ الرَّاوِيْنَ ، وَهَامَتِ بِأَمَّا كَيْهِ
الْمَرِيعَةِ هُدَاةُ الشَّرِيعَةِ فَضْلًا عَنِ الشُّعْرَاءِ الْغَاوِيْنَ ، وَمَعَ
ذَلِكَ هُمْ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ عَجَائِبِهِ غَيْرُ مُتَسَاوِيْنَ ، أَوْ لَا تَرَى
أَنَّهُمْ يَأْتُونَ مِنْ مَقُولِهِمْ ، عَلَى قَدَرِ رَأْيِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ، وَلَمْ يَبْلُغْ
جَمْعُ مِنْهُمْ مَا كَانُوا لَهُ نَاوِيْنَ :
عَلَى قَدَرِكَ الصَّهْبَاءِ تُؤَلِّكَ نَشْوَةً

بِهَا سَيِّءُ أَعْدَاءِ وَسُرِّ صَحَابُ
وَلَوْ أَنَّهَا تُعْطِيكَ مِنْهَا بِقَدَرِهَا

لَصَافَتْ بِكَ أَلَّا كَوَانُ وَهِيَ رِحَابُ
وَكُنَّا فِي خِلَالِ الْإِقَامَةِ بِدِمَشْقَ الْمَحْوَطَةِ ، وَأَثْنَاءِ
التَّأَمُّلِ فِي مَحَاسِنِ الْجَامِعِ وَالْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ وَالْفُؤَادَةِ ،
كَثِيرًا مَا نَنْظُمُ فِي سِلْكِ الْمَذَاكِرَةِ دُرَرَ الْأَخْبَارِ الْمَلْقُوطَةِ ،
وَتَفْقِيًا مِنْ ظِلَالِ التَّيَّانِ مَعَ أَوْلَئِكَ الْأَعْيَانِ فِي مَجَالِسَ

(١) الأواوين : جمع إيوان . أى شيلت مفاخره . ورفعت مآثره
وأبدعت في وصف منزهاته

مَغْبُوطَةٍ، تَجَادَبُ فِيهَا أَهْدَابُ الْآدَابِ، وَتَشْرَبُ مِنْ سَلْسَالِ
الْإِسْرَسَالِ وَتَهْدَى لُبَابُ الْأَلْبَابِ، وَتَعْدُ بِسَاطِ الْأَنْبِطِ
وَتَسْدِلُ أَطْنَابَ الْأَطْنَابِ، وَتَقْضِي أَوْطَارَ الْأَقْطَارِ، وَتَسْتَدْعِي
أَعْلَامَ الْأَعْلَامِ، فَيَنْجَرُّ بِنَا الْكَلَامِ، وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ،
وَبِالتَّفَنُّنِ يَبْلُغُ الْمُسْتَفِيدُونَ مَا يَرْجُونَ، إِلَى ذِكْرِ الْبِلَادِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَوَصْفِ رِيَاضِهَا السُّنْدُسِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِالْحُسْنِ
مَنْوُطَةٌ، وَقَضَايَاهَا الْمَوْجَّهَةُ الَّتِي لَا يَسْتَوْفِيهَا الْمَنْطِقُ
مَعَ أَنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ وَمُمْكِنَةٌ وَمَشْرُوطَةٌ^(١)، وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ،
وَالْأَفْهَامُ الْمُسْتَقِيمَةُ، بِتَسْلِيمِ بَرَاهِينِهَا قَاضِيَةٌ، لَا سِيَّمَا إِنْ
كَانَتْ بِالْإِنْصَافِ مَرْبُوطَةٌ، فَصِرْتُ أَوْرَدُ مِنْ بَدَائِعِ بُلَغَائِهَا
مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِي مِنَ الْفَيْضِ الرَّحْمَانِيِّ، وَأَسْرُدُ مِنْ كَلَامِ
وَزِيرِهَا لِسَانِ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ السَّلْمَانِيِّ، صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ
شَايِبَ^(٢) رُحْمَاهُ، وَبَلَّغَهُ مِنْ رِضْوَانِهِ الْأَمَانِيِّ، مَا تُثِيرُهُ

(١) قوله للوجهة وضروورية وممكنة ومشروطة الخ صفات للقضايا المنطقية
وألفاظ فنية معطّلة عليها في علم المنطق ذكرها على وجه التورية والتوجيه كما
لا يخفى على الملم بمصطلحات المنطق (٢) جمع شؤبوب : وهو الدفعة من الطر

الْمُنَاسَبَةَ وَتَقْتَضِيهِ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ وَتَرْتَضِيهِ
 مِنَ النَّظْمِ الْجَزَلِ ، فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ ، وَالْإِنْشَاءِ ، الَّذِي يُدْهَشُ
 بِهِ ذَا كِرْهُ الْأَلْبَابِ إِنْ شَاءَ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي فُنُونِ الْبَلَاغَةِ حَالِي
 الْوَلَايَةِ وَالْعَزَلِ ، إِذْ هُوَ - أَغْنَى لِسَانَ الدِّينِ - فَارِسُ النَّظْمِ
 وَالثَّرِ ، فِي ذَلِكَ الْمَصْرِ ، وَالْمُنْفَرِدُ بِالسَّبْقِ فِي تِلْكَ الْمَيَادِينِ
 بِأَدَاةِ الْخَصْرِ ، وَكَيْفَ لَا؟ وَنَظْمُهُ لَمْ تَسْتَوِلْ عَلَى مِثْلِهِ أَيْدِي
 الْهَضَرِ ^(١) ، وَتَثَرُّهُ تَزْرِي صُورَتُهُ بِالْخَرِيدَةِ ^(٢) وَدُمِيَةِ الْقَصْرِ ،
 فَلَمَّا تَكَرَّرَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ ، لَهَجُوا بِهِ دُونَ
 غَيْرِهِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ كَلِمَةُ إِجْمَاعِهِمْ ، وَعَلِقَ بِقُلُوبِهِمْ ،
 وَأَضْحَى مُنْتَهَى مَطْلُوبِهِمْ ، وَمُنِيَّةَ آمَالِهِمْ وَأَطْمَاعِهِمْ ، وَصَارُوا
 يَقْطِفُونَ يَدَ الرِّغْبَةِ فُنُونَهُ ، وَيَعْتَرِفُونَ بِبِرَاعَتِهِ وَيَسْتَحْسِنُونَهُ .
 وَيَسْتَنْشِقُونَ مِنْ أَزْهَارِهِ كُلِّ ذَلِكَ ، فَطَلَبَ مِنِّي الْمَوْلَى أَحْمَدُ
 الشَّاهِنِي إِذْ ذَاكَ ، وَهُوَ الْمَاجِدُ الْمَذْكُورُ ، ذُو السَّعْيِ
 الْمَشْكُورِ ، أَنْ أَتَصَدَّى لِلتَّعْرِيفِ بِلِسَانِ الدِّينِ فِي مُصَنَّفٍ
 يُعْرَبُ عَنْ بَعْضِ أَحْوَالِهِ وَأَنْبَاءِهِ ، وَبَدَائِلِهِ وَصَنَائِعِهِ

(١) هضر الشيء : أدناه وأماله . والهضر : عطف الشيء الرطب كالنصف
 ونحوه وجذبه وكسره دون أن يبين (٢) أى العفراء وفيه مع (دمية القصر)
 توجيه وتورية باسم كتابين معروفين

وَوَقَائِهِ مَعَ مُلُوكِ عَصْرِهِ وَعُلَمَائِهِ وَأَدَبَائِهِ، وَمَفَاخِرِهِ الَّتِي
 قَلَّدَ بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ وَلَبَّتُهُ، وَمَا تَرَاهُ الَّتِي أُرِجَ^(١) بِهَا
 مَسْرَى^(٢) الشَّعَالِ وَهَبَّتُهُ، وَبَمَضٍ مَالَهُ مِنَ النِّشَارِ وَالنُّظَامِ ،
 وَالْمُؤَلَّفَاتِ الْكِبَارِ الْعِظَامِ ، الرَّائِقَةِ لِلْأَبْصَارِ ، الْفَائِقَةِ عَلَى
 كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، السَّائِرَةِ مَسِيرَ الْقَمَرِ
 وَالشَّمْسِ ، الْمَعْقُودِ عَلَيْهَا بِالْخَنَاصِرِ بِلِ الْخُمْسِ ، كَيْمَا
 يَكُونُ ذَلِكَ لِهَذِهِ الْأَعْرَاضِ مُشِيمًا^(٣) وَيَخْلَعُ عَلَى مُطَالِعِهِ
 بِهَذِهِ الْبِلَادِ الْمَشْرِيقَةِ مِنْ أَغْرَاضِهِ الْبَدِيعَةِ وَمَنَازِعِهِ وَشِيمًا^(٤) ،
 فَاجَبَتْهُ أَسْمَى اللَّهِ قَدْرَهُ الْكَبِيرَ ، وَأَدَامَ عَرَفَ فَضَائِلِهِ
 الْمُزْرَى بِالْمَنْبَرِ وَالْعَبِيرِ ، بِأَنَّ هَذَا الْغَرَضَ غَيْرُ سَهْلٍ ،
 وَلَسْتُ - عِلْمَ اللَّهِ - لَهُ بِأَهْلٍ ، مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ : أَوَّلُهَا
 قُصُورِي عَنْ تَحْمِيلِ تِلْكَ الْأَعْيَاءِ الشَّدِيدَةِ ، إِذْ لَا يُوفَّى بِهَذَا
 الْغَرَضِ إِلَّا الْمَاهِرُ بِطُرُقِ الْمَعَارِفِ السَّدِيدَةِ ، وَثَانِيهَا
 عَدَمُ تَيَسُّرِ الْكُتُبِ الْمُسْتَعَانَ بِهَا عَلَى هَذَا الْمَرَامِ لِأَنِّي

(١) أى عطر (٢) مسرى الشمال : حيث يهب ريح الصبا . وهو ألعف

هواء (٣) أى مذهباً وناشراً (٤) الوشيع : علم الثوب ، ووشم الثوب رقه
 بدم ونحوه ، والوشية : الطريقة فى البرد

خَلَفَتْهَا بِالْمَغْرِبِ، وَأَكْثَرُهَا فِي الْمَشْرِقِ كَسْتَقَاءِ^(١) مُغْرِبٍ،
وَنَائِلِهَا شُغْلُ الْخَاطِرِ بِأَشْجَانِ الْغُرْبَةِ، الْجَلَالَةِ لِلْفِكْرِ غَايَةً
الْكُرْبَةِ. وَتَقَسَّمُ الْبَالُ، بَيْنَ شُغْلِ عَائِقٍ وَبَلْبَالٍ. وَأَنَّى
يُطَبِّقُ سُلُوكُ هَذَا الْمَضِيقِ مَنْ أَكْتَحَلَتْ جُفُوهُهُ بِالسَّهَادِ،
وَنَبَتَ جُضُوبُهُ عَنِ الْمِهَادِ. سَدَدَ نَحْوَهُ الْأَسْفُ سَهْمُهُ،
وَشَغَلَ بِالْهَوَا وَوَحْمِهِ. وَبَثَّ فِي قَلْبِهِ تَبْرِيحًا^(٢)، وَعَنَاءً لَمْ يَحْدِ مِنْهُ
- إِلَّا أَنْ يَلْطَفَ اللَّهُ - تَسْرِيحًا. فَمَا شَامَ بَارِقَةَ أَمَلٍ إِلَّا فِي النَّادِرِ،
وَلَا وَرَدَ مِنْهَلٍ صَفَاءٍ إِلَّا وَكَدَّرَهُ مَكْرُ غَادِرٍ. وَقَدْ كَثُرَ
الْجُفَاءُ، وَبَرِحَ بِلَاشِكِ الْخَفَاءِ، وَأُسْتُوْحِمَتِ الْمَوَارِدُ وَالْمَصَادِرُ.
وَالْقَلْبُ مَكْلُومٌ، وَذُو اللَّبِّ غَيْرُ مَلُومٍ، إِذَا كَانَ عَلَى تَلْفِيحٍ
مَا يَلِيْقُ غَيْرَ قَادِرٍ. وَلَا مُؤْنِسٌ إِلَّا شَاكِي دَهْرِ بِلِسَانٍ صَرِيحٍ،
أَوْ بَاكِي قَاصِمَةٍ^(٣) ظَهَرَ بِجَفَنِ قَرِيحٍ، أَوْ مُنَاضِلٌ فِي مُعْتَرَكٍ
الْعَجْزِ طَرِيحٍ، أَوْ فَاضِلٌ دُفِنَ مِنَ الْخُمُولِ فِي صَرِيحٍ، إِذْ رَمَتْهُ
سِهَامُ الْأَوْهَامِ الصَّوَائِبُ، وَعَعَضَتْ مِنْهُ إِبْهَامُ الْإِبْهَامِ بِنَائِبِهَا

(١) يضرب بها اللؤلؤ في ندرة الشيء ، يقال أندر من عنقاء مغرب . بضم
للهم (٢) التبريح : الحاح العذاب والمشقة ، والتبريح : الشدائد ، وتبريح
الشوق : توهجه . وشدته ، وبرح به الأمر : جهده (٣) أى ملمة قاذية .
والقصم : الكسر

النَّوَى وَالنَّوَابِ، فَقُلُوبُهُ مِنْ تَقَلُّبَاتِ أَحْوَالِهِ ذَوَائِبُ،
وَكَمْ شَابَتْ مِنْ أَمْثَالِهِ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ وَأَهْوَالِهِ ذَوَائِبُ،
عَلَى أَنَّهَا الْآيَامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا

عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ
وَأَدْمَعُ^(١) أَحْجَارَهَا تَسْلُطُ فُجَّارَهَا. فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ مِنْهُمْ
فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ، وَحَسُودٍ فِي نَظَرِهِ إِلَى نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ
تَحْدِيقٌ. لَا تَخْدَعُهُ الْمُدَارَاةُ، وَلَا تَرْدَعُهُ الْمُمَارَاةُ. يَتَّبِعُ
الْمُنَرَاتِ، وَيَقْنَعُ بِالْمِ الْبُنَرَاتِ. وَيَتَّبَسَّمُ، وَقَلْبُهُ مِنَ الْغِلِّ
يَتَّقَسَّمُ، وَيَتَوَدَّدُ، وَمَكَائِدُهُ تَتَجَدَّدُ فَتَتَعَدَّدُ:
لَا تَرْمُ مِنْ مُمَازِقِ^(٢) أَلْوَدِّ خَيْرًا فَبَعِيدٌ مِنَ السَّرَابِ الشَّرَابُ
رَوْتَقُ كَالْحُبَابِ^(٣) يَعْلُو عَلَى الْمَا
وَلَكِنْ تَحْتَ الْحُبَابِ الْحُبَابُ^(٤)

عَظُمَتْ فِي التُّفَاقِ السِّنَةُ الْقَوَى
مِ وَفِي الْأَلْسُنِ الْمَذَابِ الْمَذَابُ

(١) لعله : وأدمع من أحجارها ، أو (أدمع عين أحجارها) يعني أن تسلط
الفجار في الدنيا أسال دموع الجمد والأحجار به العقلاء ذوى الاحساس
من بنى الانسان ١١ (٢) الممازق : الذى لم يخلص فى الود (٣) الحباب :
الفقايع التى تعلو الكاس (٤) أى الحية

وَالصَّدِيقُ الصَّدُوقُ فِي هَذَا الزَّمَنِ قَلِيلٌ، وَقَدْ أَلَفَ
بَعْضُ أَعْلَمَاءِ شِفَاءِ الْغَلِيلِ، فِي ذِمِّ الصَّاحِبِ وَالْخَلِيلِ . وَهُوَ
غَيْرُ مَحْمُولٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنْ قَالَ بِهِ بَعْضُ مَنْ رَفَعَهُ مِنْ
أَبْنَاءِ عَصَرِهِ ذُو إِغْلَاقٍ :

أَبْنَاءُ دَهْرِكَ فَالْقَهْمُ مِثْلَ الْعِدَا بِسِلَاحِكَ
لَا تَفْتَرِزْ بِتَبَسُّمٍ فَالسَّيْفُ يَقْتُلُ ضَاحِكًا
وَدَاءُ الْحُسَدِ أَعْيَا الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ
فِي هَذَا الْأَوَانِ وَكَثُرَ الْمُزْدَرِي^(١) وَالسَّاحِرُ، مَعَ أَنَّ أَسْوَاقَ
الدَّفَاتِرِ كَاسِدَةٌ^(٢) وَأَمْزِجَةَ الْمَحَايِرِ فَاسِدَةٌ :
وَالدَّهْرُ دَهْرُ الْجَاهِلِيَّةِ—نَ وَأَمْرُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاتِرُ
لَا سَوْقَ أَكْسَدُ فِيهِ مِنْ سَوْقِ الْمَحَايِرِ وَالْدَّفَاتِرِ
فَالْمُنْسُوبُ لِلْعِلْمِ فِي هَذَا الزَّمَنِ زَمِنٌ^(٣)، وَهُوَ بَانَ
يُنْشِدُ قَوْلَ الْأَوَّلِ قَمِينَ^(٤) :

(١) از دراه : احتقره . وسخر منه : استهزأ به (٢) كسدت السوق وكسد
الشيء : لم يقبل عليه للشرى . فان كثرا تباع والشراء قيل راجت ونفقت
(٣) زمن زمننا : مرض ، فهو زمن . والجمع زمنى (٤) قن : جدير

لَايٌ وَمِيزِ بَارِقَةٍ أَشِيمٌ وَرَغَى الْفَضْلِ عِنْدَهُمْ هُشِيمٌ^(١)
 وَلَيْتَ شِعْرِي عَلَامٌ يُحْسَدُ مَنْ أَبْدَلَ الْأَغْرَابُ شَارَتَهُ ،
 وَأَضْعَفَ الْأَضْطِرَابُ إِشَارَتَهُ . وَأَنْهَلَ بِالْذُّمِّوعِ أَنْوَاءَهُ ،
 وَقَلَّلَ أَضْوَاءَهُ ، وَكَثَّرَ عِلَلَهُ وَأَدْوَاءَهُ ، وَغَيَّرَ عِنْدَ التَّأْمُلِ
 رُؤَاؤَهُ . وَتَنَى^(٢) عَنِ التَّمَامُولِ عَنَانَهُ ، وَأَرْهَفَ بِالْحُمُولِ سِنَانَهُ ،
 حَتَّى قَدَحَ الذُّكْرُ حَنَانَهُ ، وَمَلَأَ الْفِكْرُ جَاشَهُ^(٣) وَجَنَانَهُ
 فَهُوَ فِي مَيْدَانِ الزُّجُوجِ مُسْتَبَقٌ ، وَمِنْ رَاحَةِ التَّعَبِ
 مُصْطَبِحٌ^(٤) وَمُتَعَبِقٌ

لَهُ أَنَّهُ الْمُشْتَقِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمْرُومَ اللَّائِكَلَاتِ مِنَ الْحُزَنِ
 وَمِنْ مُرْسَلَاتِ الدَّمْعِ وَاقِعَةِ الْأَسَى

وَمِنْ عَادِيَاتِ الْبَيْنِ قَارِعَةٍ^(٥) أَلْسَنٌ

. تَتَبَّرُ الذُّكْرَى مِنْهُ كَوَامِينَ الشُّجُونِ ، وَتُذِيرُ عَلَيْهِ

جَامٌ^(٦) أَهْلِيَامٍ وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْحُجُونِ ،

(١) الهشيم : التبت اليابس المتكسر (٢) أي صرف عنه (٣) جأشه : قلبه
 وصدره (٤) الاصطباح : الشرب صباحا . والاعتباق : الشرب مساء
 (٥) قرع سنه : أي ندم ، وفي ألفاظ : مرسلات ، واقعة ، عاديات ، قارعة
 توجبه بأسماء - سور من القرآن الكريم (٦) الجام : الكاس

وَتَحْتَ صُلُوعِ الْمُسْتَهَامِ كَأَبَةٍ
يَخَافُ عَلَى الْأَخْشَاءِ مِنْهَا التَّفْطُرُ^(١)

وَلَوْ أَنَّ أَخْشَاءَ تَبُوحٍ بِمَا حَوَتْ
لَتَمَثَّلَنَّ الْأَرْضُ كُتُبًا وَأَسْطُرًا

وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْأَغْتِرَابِ وَالْإِغْتِرَابِ ، وَالشُّكُونِ
فِي الرُّكُونِ وَالنُّبُوِّ عَنْهَا وَالْاضْطِرَابِ . فَذَلِكَ تَسْهُلُ
غَالِبًا فِيهِ الْأَغْرَاضُ وَالْمَآرِبُ ، وَهَذَا تَتَغَفَّرُ فِيهِ الْمَقَاصِدُ
وَتَتَكَدَّرُ الْمَشَارِبُ

وَمَا أَنَا عَنْ تَحْصِيلِ دُنْيَا بِلَاجِزٍ
وَلَكِنْ أَرَى تَحْصِيلَهَا بِالْدِّينَةِ^(٢)
وَإِنْ طَاوَعْتِي رِقَّةُ الْحَالِ مَرَّةً أَبَتْ فِعْلَهَا أَخْلَاقُ نَفْسِي آيَةً^(٣)
وَكَمَا قُلْتُ ، عِنْدَ مَا صِرْتُ إِلَى الْأَغْتِرَابِ وَأُلْتُ :

رَكَتُ رُسُومَ عِزِّي فِي بِلَادِي
وَصِرْتُ بِمِصْرٍ مَنْسِيَّ الرُّسُومِ
وَرُضْتُ النَّفْسَ بِالتَّجْرِيدِ زُهْدًا وَقُلْتُ لَهَا عَنِ الْعِلْيَا وَصُومِي

(١) التقطاع والتخرق (٢) بالدنية : أى بتعريض النفس للخصه
والدناءة والحصال المذمومة (٣) آية : مترفعة عن الدنيا

تَخَافَةَ أَنْ أُرَى بِالْحَرْصِ مِمَّنْ يَكُونُ زَمَانُهُ أَحَدَ الْخُصُومِ
وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ، مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ :

لَا عَارَ إِنْ عَطَلَتْ يَدَايَ مِنَ الْغِنَى

كَمْ سَابِقٍ فِي الْحَيْلِ غَيْرُ مُحَجَّلٍ ^(١)

صَانَ ^(٢) الْلَيْثُ وَصُنْتُ وَجْهِي مَالَهُ

دُونِي فَلَمْ يَيْذُنْ وَلَمْ أَتَبَذَلْ

أَبْكَيْ لِهَمِّ صَافِي مُتَأَوِّبًا إِنَّ الدُّمُوعَ قَرَى الْهُمُومِ التَّرَلِّ

لَا تُنْكِرُوا شَيْبَاءَ الْمَمِّ بِفَرْقِي عَجَلًا كَانَ سَنَاهُ سَلَةً مُنْصَلٍ ^(٣)

فَلَقَدْ دُفِئْتُ إِلَى الْهُمُومِ تَنْوِينِي

مِنْهَا ثَلَاثُ شَدَائِدٍ مُجْمَعٍ لِي

أَسَفٌ عَلَى مَاضِي الزَّمَانِ وَحَيْرَةٌ

فِي الْحَالِ مِنْهُ وَوَحْشَةٌ الْمُسْتَقْبَلِ

(١) للحجل . الذى فى أرجله بياض (٢) فى البيت تعقيد لفظى

نشأ من التقديم لما حقه التأخير وبالعكس . ونظامه : صان اللئيم ماله دونى

فلم يبذل وصنت وجهى فلم أتبدل (٣) سل السيف واستله : أخرجه من

خمده ، والمنصل : السيف

مَا إِنْ وَصَلْتُ إِلَى زَمَانٍ آخِرٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
لِلَّهِ عَهْدٌ بِالْحَمَى لَمْ أَنْسَهُ أَيَّامَ أَغْصَى فِي الصَّبَابَةِ عُذْلِي
وَيَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ قَلَاقِسَ الإسْكَندَرِيَّ، إِذْ قَالَ فِي مَعْنَى
الَّتَمَنَّى الْمَصْدَرِيَّ:

لَعَلَّ زَمَانِي بِالْعَذِيبِ يَعُودُ فَيَقْرُبُ قُرْبُ أَوْ يَصْدَدُّ صُدُودُ
وَأُبْصِرُ كُثْبَانًا وَهَزَّ رَوَادِفِ عَلَيْنِ أَغْصَانُ وَهْنٍ قُدُودُ
وَأَقْطِفُ وَرْدًا أَخَذْتُ وَهُوَ مُضَرَّجُ

وَأُجْنِي أَقَاحَ^(١) الشَّرِّ وَهُوَ بَرُودُ^(٢)
وَأُذِنِي ذِرَاعِي لِلْعِنَاقِ ذَرِيمَةً فَتَنَعَى عَنِ الْإِفْرَاطِ فِيهِ هُودُ
وَيَسْرِى إِلَى الْبَدْرِ وَهُوَ مُنَمَّعٌ وَيَعْدُو إِلَى الظُّبَى وَهُوَ شَرُودُ
وَنَكْرَعُ فِي شَكْوَى الْفِرَاقِ كَأَنَّا

فَوَارِطُ هَيْمٍ^(٣) رَاقِبِنَ وَرُودُ
وَأَكْبِرُ مِقْدَارَ الْهَوَى عَنْ كَبِيرَةٍ
وَأَحْمِي عَفَافِي دُونَهُ وَأَذُودُ

(١) أَقَاحُ جَمْعُ أَقْحَوَانٍ : وَهَوْنِيَّاتُ أَوْرَاقِ زَهْرٍ مِفْلَجَةٍ ضَخِيمَةٍ يُشَبِّهُونَ بِهَا
الْأُسْنَانَ (٢) وَصَفَ مَنْ بَرَدَ الشَّيْءُ بِرُودَةٍ، وَمَاءٌ بَرْدٌ، وَبَارِدٌ وَبَرُودٌ (٣) الْإِبِلُ
الْحَمِيمُ : الْعَطَاشُ، وَالْفَوَارِطُ جَمْعُ فَارِطٍ، وَفَارِطَةٌ، وَهِيَ السَّابِقُ الْمُتَقَدِّمُ إِلَى الْمَاءِ

وَفَرَّقَ مَا بَيْنَ الْجَوْهَرِ وَالْمَرَضِ ، وَالصِّحَّةِ الْيَنِينَةِ
وَالْمَرَضِ . وَالذَّرَّ وَالْحَصَا ، وَالْحُسَامَ وَالْعَصَا . وَالرُّجُوعُ
إِلَى التَّفْوِيضِ لِلْأَقْدَارِ ، فِي أُمُورِ هَذِهِ الدَّارِ ، الْكَثِيرَةُ
الْأَكْدَارِ ، هُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَالْمَرْجُوعُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
جَبْرُ الْقُلُوبِ :

يَا رَبِّ نَفْسٌ مُهُومِي وَأَكْشِفْ كُرُوبِي جَمِيمَا
فَقَدْ رَجَوْتُ كَرِيمَا وَقَدْ دَعَوْتُ سَعِيمَا
وَلَمْ يَحْمِلْ لِي الْمَذْكُورُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فُسْحَةً وَلَا مَذْذُوحَةً ،
بَعْدَ هَذِهِ الْأَعْذَارِ الْمَحْمُودَةِ فِي الصَّدَقِ الْمَذْذُوحَةِ . وَلِسَانَ
حَالِي وَقَالِي ، يُثْبِتَانِ عَجْزِي عَنْ أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ بِشَهَادَةِ مَنْ
هُوَ وَادِّ وَقَالِي . إِذْ مَنْ كَانَ بِصِفَةٍ غَيْرِ مُتَمَكِّنَةٍ مِمَّا تَكُونُ
بِهِ مُتَّصِفَةً ، وَأَتَسَمَّ بِنُعُوتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَزْتَسَمَ فِي غَيْرِ ذَوِي
الْأَحْوَالِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، كَيْفَ يَحِيرُ فِي التَّصْنِيفِ جَوَابًا ، أَوْ
يَنْتَحِي مِنَ التَّلَافِيهِ صَوَابًا . وَمَنْ جَفَنَهُ هَامٌ هَامِلٌ ، وَقُصُورُهُ
حَامٌ شَامِلٌ ، كَيْفَ يَقْبِضُ بِالْأَنَامِلِ ، عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ الْوَافِرِ

الْكَامِلِ ، وَمَنْ لَبَسَ مِنَ الْيَمِينِ مَلَأَهُ ، لَا يُعْبَرُ عَنْهُ طَبَقُ
مَفَاصِلِ الْكَلَامِ وَكَلَامُهُ ، وَقَصُرَتْ أَلْسُنُ الْبُلَغَاءِ عَنْ
عَلَامِهِ ، وَزَانَتْ صُدُورُ الدُّوَاوِينِ حُلَامَهُ . وَجَمَعَ خِلَالًا
حَسَنًا ، وَكَانَ لِلدِّينِ لِسَانًا . وَزَامَتْ مَفَاخِرُهُ بِالنَّاصِبِ
الْكُؤَاكِبِ ، وَأَزْدَانَتْ بِمِرْآةِ التَّوَادِي وَالْمَوَاكِبِ .
وَنَفَحَاتُ الْأَزْهَارِ مِنْ آدَابِهِ ، وَنَسَمَاتُ الْأَسْحَارِ عِطْرُ
أَذْيَالِهِ وَأَهْدَابِهِ . وَالسُّخْرُ مِنْ كِتَابَتِهِ ، وَالسَّخَرُ مِنْ كِنَايَتِهِ
وَرَوْحُ النَّسِيمِ مِنْ تَعْرِيزِهِ ، وَالثَّرَّةُ مِنْ ثَرِّهِ وَالشُّعْرَى (١)
مِنْ شِعْرِهِ وَقَرِيضِهِ ، وَحُلُلُ الْمَجْدِ لِبَاسُهُ ، وَأَنْوَارُ الْعِلْمِ أَقْبَاسُهُ :
لَهُ ذِهْنٌ يَقُوصُ بِبَحْرِ عِلْمٍ قِيَّاتِي مِنْهُ بِالذَّرِّ النَّظِيمِ
مَعَانِيهِ الرِّيَاضُ لِأَجْلِ هَذَا سَرَتْ أَلْفَاظُهُ مِثْلَ النَّسِيمِ
وَمُبَاهِيهِ النُّجُومُ ، وَمُضَاهِيهِ الْغَيْثُ السَّجُومُ ، إِلَى آبَاءِ
يَحْسُدُهُمُ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ ، وَإِبَاءِ (٢) لَوْ كَانَ لِلْمَشْرِقِ لَمَّا تَحِيْفُهُ (٣)
لَمَسُّ . وَشَرَفٍ لَا مُدْعَى وَلَا مُنْتَحَلٍ ، وَهَمَّةٍ لَوْ نَالَهَا الْبَذْرُ

(١) الثرة والشعري : كوكبان (٢) امتناع من الضيم . والمشرقى السيف

(٣) تحيفه : تنقصه

لَا مَسْخَذَى^(١) لَهُ زُحْلُ ، وَبَرَاعَةٍ أَرْهَفَتْ سِنَانَ قَلْبِهِ ، وَبَرَاعَةٍ
سَارَتْ أُمْرًاوَمَا تَحْتَ عَلَيْهِ ، فَكَمْ فَتَحَ بِفِكْرِهِ أَقْفَالَهَا ،
وَوَسَمَ بِذَهْنِهِ الثَّاقِبِ أَغْفَالَهَا . وَسَبَّكَ مَعَانِيهَا فِي قَالِبِ قَلْبِهِ
إِزْرِيًّا ، وَرَقَمَ بِيَانُ لِسَانِهِ بُرُودَ إِحْسَانِهِ بِلَفْظِهِ الْبَدِيعِ
تَطْرِيزًا . فَرُفِعَ فِي مِيدَانِ الْإِجَادَةِ لَوَاوُهُ ، وَأُتِيحَ مِنْ أَنْهَارِ
الْبَرَاعَةِ الْمَذْبُوعَةِ إِزْوَائُهُ ، وَنَالَ سَبَقًا وَتَبْرِيًّا :

وَمَا زَمَنُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ تَجْرِي
مَعَ الْأَحْبَابِ فِي لَهْوٍ وَطِيبِ
وَوَصَلَ مِنْ حَيْبٍ بَعْدَ هَجْرٍ

بِأَخْلَى مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ
فَقَصَائِدُهُ أَرْخَصَتْ جَوَاهِرَ الْبُحُورِ ، الْمَنْظُومَةُ فِي فَلَائِدِ
الْلَّبَّاتِ وَالنُّحُورِ ، مِنْ حِسَانِ الْعُقَائِلِ الْخُورِ :
مَعَانٍ وَأَلْفَاظٍ تُنْظَمُ مِنْهُمَا عُقُودٌ لَالِي فِي نُحُورِ الشَّمَائِلِ
وَزَهْرُ كَلَامٍ كَالْحَدَائِقِ نَسْجُهُ
غَيْنَا بِهِ عَنْ حُسْنِ زَهْرِ الْخُلَائِلِ

وَكَلِمَاتُهُ غَدَتْ لِلْإِبْدَاعِ إِقْلِيدًا^(١) وَجَمَعَتْ طَرِيفًا مِنْ
الْبَلَاغَةِ وَتَلِيدًا :

كَسَوْنَ عَيْدًا^(٢) ثِيَابَ الْعَيْدِ وَأَضْحَى لَيْدٌ^(٣) لَدَيْهَا بَلِيدًا
وَمُقَطَّمَاتُهُ الذُّى فِي الْأَسْمَاعِ ، مِنْ مُطَرِّبِ السَّمَاعِ ،
وَأَهْنَى فِي الْأَحْدَاقِ وَالتَّوَاطُرِ ، مِنْ الْحَدَائِقِ ذَوَاتِ الْأَغْصَانِ
الْمُلْدِ النَّوَاضِرِ ، يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا مَنْ أَتَحَلَّ الْإِنْصَافَ دِينًا ،
وَأَتَحَلَّ^(٤) الْأَوْصَافَ فَاخْتَارَ الْعَدْلَ مِنْهَا خَدِينًا^(٥) :

رَقِيقَاتُ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٌ لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يُلْبَسُ لَا زُنْدِينَا
وَرَسَائِلُهُ كَنَقْطِ^(٦) الْعُرُوسِ اللَّائِحَةِ فِي الْبَيَاضِ ، أَوْ
كَوَشَى الرِّيعِ أَوْ قِطْعِ الرِّيَاضِ . بَرَزَتْ أَغْصَانُهَا الْحَالِيَةُ
وَتَبَرَّجَتْ^(٧) ، وَتَضَوَّعَتْ^(٨) أَفْنَانُهَا الْعَالِيَةُ وَتَأَرَّجَتْ ، وَقَدْ

(١) الاقليد : القلادة والمفتاح (٢) هو عبيد بن الأبرص شاعر جاهلي مشهور
من أصحاب الملقات (٣) هو ليبي بن ربيعة العامري (٤) اتحل الشيء ، نخله
وتنخله : صفاه واختاره واستقصى أفضله وتخبر أجوده (٥) رفيقا وصاحباً
(٦) نفلت المرأة خدها بالسواد تتجمل بذلك (٧) أظهرت زينتها
(٨) تضوعت : انشتر أرجها ، وتأرجت كذلك

أَلْبَسَهَا الْقَطْرُ زَهْرًا ، وَفَجَرَ خِلَالَهَا نَهْرًا ، فَأَخَذَتْ زُخْرُفَهَا
وَأَزَيَّنَتْ ، وَلَاحَتْ مُحَاسِنُهَا غَيْرَ مُحْتَجِبَةٍ وَبَيِّنَتْ ، فَبَهَرَتْ
مَنْ لَهَا قَابِلٌ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا بَلَّ :

هِيَ الْحَدِيقَةُ إِلَّا أَنْ صَيَّبَهَا

صَوْبُ النُّعَى وَجَنَّاها زَهْرَةُ الْكَلِمِ

وَقَوَافِيهِ ، رِيشتَ بِهَا قَوَادِمَ ^(١) الْإِتْقَانِ وَخَوَافِيهِ ^(٢) ،
بَنَانُ مُجَارِيهَا يَسْتَدْرِئُ الْخَصَرَ ^(٣) ، وَبَاعُ مُبَارِيهَا يَسْتَشْعِرُ
الْقَصَرَ :

خَطُّهَا رَوْضَةٌ وَأَلْفَاظُهَا الْأَزْ هَارٍ يَضْحَكُنَ وَالْمَعَانِي ثِمَارُ
تُبْدِي لِمُبْصِرِهَا وَتُرَى ، مَا قَالَهُ أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ :

وَكَلَامٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الثَّانِي ضَرْفِي رَوْنَقِ الرَّيِّعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٍ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ

(١) أى الریش فی مقدم جناح الطائر (٢) خوافیه جمع خافیه: ریش مؤخر
الجناح ، قال الشاعر :

ولا تجعل الشورى عليك غضاة فان الخوافى قوة للقوادم

(٣) الخصر بفتح الصاد : الى

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي
 هَجَّتْ مَا لَجَزُولٍ^(١) مِنْ نَشِيدِ
 حُزْنٍ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا
 وَتَجَبَّنَ ظُلْمَةً التَّعْقِيدِ
 بَلْ هِيَ أَجَلٌ مِمَّا وَصَفَ عِنْدَ التَّحْقِيقِ ، وَإِمْعَانِ
 النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَالتَّدْقِيقِ :
 أَيْنَ زَهْرُ الرِّيَاضِ وَهُوَ إِذَا مَا

طَالَ عَهْدًا بِالْفَيْتِ عَادَ هَشِيمًا
 مِنْ قَوَافٍ كَانَتْهَا الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ سَنَاها^(٢) زَانَ الظَّلَامِ الْبَهِيمَا
 وَنَاهِيكَ بِمَنْ أَطْلَعَتْهُ الْعُلُومُ عَلَى جَلَائِلِهَا وَدَقَائِقِهَا ،
 وَأَرْنَتْهُ الْفَنُونُ مَا شَاءَ مِنْ يَانِعَاتٍ حَدَائِقِهَا ، وَحَبَّتْهُ الْحُكْمُ
 الرِّيَاضِيَّةُ بِأَزَاهِرِهَا وَشَقَائِقِهَا ، وَأَرْضَعَتْهُ الْوِزَارَةُ مِنْ
 ثُدِيِّهَا ، وَحَلَّتْ بِهِ الْإِمَارَةُ صَدْرَ نَدِيهَا^(٣) ، وَجَعَلَتْهُ الْمَرْجُوعَ
 إِلَيْهِ فِي تَمْيِيزِ جَيِّدِ الْأُمُورِ وَرَدِيهَا ، فَرَسَ فِي أَرْضِ

(١) جرول : لقب الحطيئة شاعر أموى هجاء (٢) السنامقصورا : النور

(٣) النادى والندى : مجتمع القوم

الرِّيَاسَةِ مِنْ نَظْلِ السِّيَاسَةِ وَوَدَّيْهَا^(١) . وَأَعْلَى عِلْمِ الْمَدْلِ
وَأَعْمَدَ سَيْفِ الْإِنْتِقَامِ ، وَدَفَعَ تَيْنَ الْفِتْنَةِ الَّذِي قَرَّرَ^(٢) فَاهُ
لِلْإِنْتِقَامِ . وَالْمَهْدُ إِذْ ذَاكَ قَرِيبٌ ، فِي وَطَنِ الْأَنْدَلُسِ
الْغَرِيبِ ، بِاخْتِلَالِ أُلْهَالِ ، وَتَوَالِي الْأَعْمَالِ^(٣) ، وَالتَّجَرُّي
عَلَى قَتْلِ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرُّي لِقَطْعِ الطَّرِيقِ وَمَنْعِ السُّلُوكِ
حَيْثُ أَهْوَاهُ الْمَارِقِينَ ذَاتُ أَفْتِرَاقٍ ، وَضُلُوعُ الصَّادِقِينَ فِي
قَلَقٍ وَأَخْطَرِاقٍ . وَأَيْدِي الْإِحْنِ^(٤) بَاطِشَةٌ ، وَسُيُوفُ الْمِحْنِ^(٥)
إِلَى الدِّمَاءِ عَاطِشَةٌ ، وَعَرْشُ الْحِمَايَةِ مَثْلُولٌ^(٦) ، وَصَارِمُ
الْكِفَايَةِ مَفْلُولٌ ، وَنِطَاقُ الرُّعَايَةِ مَطْلُولٌ^(٧) ، وَجَيْبُ
النَّصِيحَةِ مَمْلُولٌ . وَالتَّنُورُ السُّلْطَانِي بِنَارِ اخْتِلَافِ
الْكَلِمَةِ مُلْتَهَبٌ ، وَالْعَدُوُّ يَنْتَهَزُ الْفُرْصَةَ وَيَسْتَلْبِ
الْأَنْفُسَ وَالْأَمْوَالَ وَيَنْتَهَبُ . وَلَيْسَ لَهُ فِي غَيْرِ قَطْعِ شَافَةِ
الْمُسْلِمِينَ أُتْبَعَاءُ ، وَإِنْ عَقَدَ الْمُهَادَنَةَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ

(١) الودي : صغار النخل الواحدة ودية وهو دون الفسيل ، سمي به لأنه يخرج
من النخل ثم يقطع منه فيفرس (٢) فرفاه : أي فتحه (٣) الاعمال : الجلب
والقحط (٤) جمع احنة : وهي الحقد والسخيمة (٥) جمع عنة وهي الصبية
النازلة (٦) نل عرشه : هلم ملكه . ويقال للقوم ذهب عزمهم : نل عرشهم
(٧) قد يكون محرفاً عن (محلول)

فَهُوَ يُسِرُّ حَسَنًا^(١) فِي أُرْتِقَاءِهِ . وَكَلَابُ الْبَاطِلِ فِي دِمَاءِ
أَهْلِ الْحَقِّ وَالنِّعَةِ ، وَلِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي خَلْقِهِ إِرَادَةٌ
نَافِذَةٌ وَحِكْمَةٌ بِالْغَيْبِ . فَرَفَعَ لِسَانَ الدِّينِ ثَوْبَ الْأَنْدَلُسِ
وَرَفَاهُ ، وَأَرْغَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْكُفْرَ الَّذِي فَرَّ قَاهُ . وَشَمَّرَ
عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَخَضَّ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ عَلَى دِفَاعِهِ
وَجِهَادِهِ ، حَتَّى لَاحَتْ لِلنَّصْرِ بَوَارِقُ ، وَأُمِنَتْ بِالْحُزْمِ
الطَّوَارِقُ وَالطَّوَارِقُ ، ثُمَّ ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرْبَانَهُ ، وَأَحْرَقَ
الْحَاسِدُ بِنَارِ أَحْقَادِهِ أَنْفَرَ بَانَهُ . وَأَظْهَرَ مَا فِي قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِ
الدِّينِ وَأَبَانَهُ . وَتَقَرَّبَ الْوُشَاءُ وَهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُهُ
وَيَنْشَأُ ، إِلَى سُلْطَانِهِ الَّذِي كَانَ عِزَّةَ أَوْطَانِهِ الَّذِي يَأْمُنُهُ
وَلَا يَخْشَاهُ ، حَتَّى فَسَدَ عَلَيْهِ ضَمِيرُهُ ، وَتَكَدَّرَ - وَمَنْ
يَسْمَعُ يَخْلُ^(٢) - نَمِيرُهُ^(٣) ، فَأَحَسَّ بِظَاهِرِ التَّغْيِيرِ ، وَصَارَ فِي
الْبَاطِلِ مَنْ أَهْلِ التَّحْيِيرِ . وَأَجَالَ قِدَاحَ آرَائِهِ ، وَانْتَفَتَ إِلَى

(١) يشرب اللبن وهو يرك أنه ما يشرب الرغوة . مثل يضرب لمن يضمر
خلاف ما يظهر (٢) يخل : يظن (٣) الغير الماء الصافي ، وجملة من يسمع يخل
اعتراض بين الفعل وفاعله (أى وتكدر نيمره) وهو مثل معناه ان القول
يترك أثره في السامع صلتا أو كذبا

جِهَةِ الْمَدُونِ مِنْ وَرَائِهِ ، قَهْرًا مُشْمَرًا عَنْ ذَنْبِهِ ، فِي لَمَّةٍ ^(١)
 مِنْ خَيْلِهِ ، إِلَى أَسَدِ الْعَرِينِ ^(٢) ، سُلْطَانِ بَنِي مَرِينَ ، وَكَانَ إِذْ
 ذَاكَ يَتْلِمَسَانِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ،
 فَأَهْتَرَ لِمَقْدَمِهِ ، وَلَقِيَهِ بِخَاصَّتِهِ وَخَدَمِهِ ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَجَعَلَهُ
 صَاحِبَ نَجْوَاهُ . ثُمَّ أَدْرَكَ السُّلْطَانُ الْحِمَامُ ، وَكَسِفَ بَذْرَهُ
 وَفَتَّ التَّمَامَ ، فَرَجَعَ لِسَانُ الدِّينِ إِلَى فَلَاسَ ، وَأُسْتَنْشَقَ بِهَا
 أَطِيبَ الْأَنْفَاسِ ، وَكَثُرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَهْوَالُ ، وَتَغَيَّرَتْ
 بِسَبَبِهِ بَيْنَ رُؤَسَاءِ الْمَدُونَةِ وَالْأَنْدَلُسِ الْأَخْوَالُ . فَمَا نَجَا مِنْ
 مَكْرِ الْعِدَا وَلَا سَلِيمَ ، وَآلَ أَمْرُهُ مِنَ الْإِغْتِيَالِ وَمَا قَفَعَ
 الْإِخْتِيَالُ إِلَى مَا عُلِمَ ، عَلَى يَدَيِ بَعْضِ أَعْدَائِهِ ، الَّذِينَ كَانُوا
 يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ لِإِرْدَائِهِ ^(٣) . فَأَصْبَحَ كَأَمْسِ الدَّاهِبِ ،
 وَصَارَتْ أُمُورُهُ وَضِياعُهُ غُرْصَةً لِلنَّاهِبِ ، وَغُصَّ بِذَلِكَ
 مَنْ كَانَ مِنْ أَوْدَائِهِ . وَأَخَذَ اللَّهُ ثَارَهُ ، مِنْ بَعْضِ مَنْ حَرَّكَ عَلَيْهِ
 الْمَكْرَ وَثَارَهُ ، وَتَسَبَّبَ فِي هَلَاكِهِ ، حَتَّى اتُّشِّرَتْ

(١) الله : الجماعة . والاصحاب (٢) أي بيت الاسد وعريسته (٣) أي اهلاكه

جَوَاهِرُ اسْلَاحِهِ ، وَمَاتَ بِدَائِهِ فَالْمَيُوتُونَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ عَلَى
لِسَانِ الدِّينِ بَاكِئَةٌ ، وَتُقُوسُ الْأَكَابِرِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا فَعِلَ بِهِ
شَاكِئَةٌ ، وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ لِمَقَامَاتِهِ فِي الْإِسْلَامِ حَاكِئَةٌ ،
فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ السَّمَاتِ ^(١) وَأَكْثَرَ مِنْهَا مَوْصُوفًا ، لَا يَقْدِرُ
مِثْلِي عَلَى تَحْيِيرِ التَّعْيِيرِ عَنْهُ وَيَخْشَى أَنْ تَكُونَ فِكْرَتُهُ
كَغُرْفَاءِ ^(٢) نَقَضَتْ قُطْنًا أَوْ صُوفًا .

ثُمَّ إِنِّي لَمَّا تَكَرَّرَ عَلَيَّ فِي هَذَا الْفَرَضِ الْإِلْحَاحُ ،
وَلَمْ تُقْبَلْ أَعْذَارِي الَّتِي زَنْدَهَا شَحَاحٌ ^(٣) ، عَزَمْتُ
عَلَى الْإِجَابَةِ لِمَا لِلْمَذْكُورِ عَلَيَّ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَكَيْفَ
أُقَابِلُ بَرَّهُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - بِالْمُقُوقِ ، وَهُوَ الَّذِي يَرَوِي
مِنْ أَحَادِيثِ الْفَضْلِ الْحَسَنِ وَالصَّحَاحِ . فَوَعْدَتُهُ
بِالشُّرُوعِ فِي الْمَطْلَبِ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْقَاهِرَةِ الْمُمِيزَةِ ^(٤) ،
وَأَزَمَعْتُ السَّيْرَ عَنْ دِمَشْقَ الْمَعْرُوفَةِ الْمُرِيَّةِ ، وَالْبُسْنَى

(١) جمع سمة . وهي العلامة ، أي الصفات (٢) يقال ذلك لمن يفسد ما أصح
وفي التنزيل « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » (٣) زند
شحاح - بفتح الشين - : لا يورى ، أي لا يخرج نارا . كأنه يشع بالنار
(٤) نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي

السَّفَرُ مِنْهَا مِنْ أَخْلَعَ زِيَّةً^(١) ، وَرَحَلْنَا عَنْ تِلْكَ الْأَرْجَاءِ
الْمُتَأَلِّقَةِ ، وَالْقُلُوبُ بِهَا وَبَيْنَ فِيهَا مُتَمَلِّقَةٌ :

حَلَلْنَا دِيَارًا لِلْغَرَامِ سَرَتْ بِهَا إِلَيْنَا صَبَاً نَجْدٍ بِطِيبِ نَسِيمٍ
وَبَانَ رِدَاً^(٢) الْأَشْجَانِ لَمَّا تَجَاذَبَتْ

أَكْفُ الثُّمَنِ فِيهَا رِدَاءٌ نَعِيمٍ
فَمَا أَنْشَبَتْنَا^(٣) الْعَيْسُ أَنْ قَذَفَتْ بِنَا

إِلَى فُرْقَةٍ وَالْمَهْدُ غَيْرُ قَدِيمٍ
فَإِنْ نَكُودَعْنَا الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا فَمَا عَهْدُ نَجْدٍ عِنْدَنَا بِذَمِيمٍ
فَخَرَجَ مَعَنَا - أَسْمَاهُ اللَّهُ - مَعَ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَعْيَانِ إِلَى

دَارِيَاً^(٤) ، الْمُضَاهِيَةِ لِلدَّارَيْنِ^(٥) فِي رِيَاهَا : وَحَبْدَارِيَاً ، فَأَلْفَيْنَاهَا :
رِيَاً مِنَ الْأَنْدَاءِ طَيِّبَةً لَهَا الْقَدْرُ الْجَلِيلُ
تُهْدِي لَنَا أَرْجَاؤَهَا أَرْجَاً مِنَ الزَّهْرِ الْبَلِيلِ
وَبِهَا الْمُضُونُ تَمَايَلَتْ مِثْلَ أَخْلِيلٍ عَلَى أَخْلِيلِ

(١) الزِّي - بالكسر - : الهيئة ، واللابس ، تقول أقبل في زى العرب
وفي زى غريب (٢) قد تكون (ردى) مصدر ردى : أى هلك ،
يريد أن أشجانهم زالت وأحزانهم انتقضت حين نالوا منهاهم وفازوا
بألمهم بسكناهم دياراً فيها هواهم ، تجاذبوا فيها أردية النعيم ونعموا فيها
بما يشتهون (٣) يقال : لم ينشب أن فعل كذا : أى لم يلبث (٤) قرية
بالقوطة من قرى دمشق (٥) فرسة بالبحرين يجلب اليها السلك من الهند

وَوَصَلْنَا عِنْدَ الظَّهْرِ ، وَسَرَّحْنَا الْعُمُيُونَ فِي مَحَاسِنِهَا
الشَّهْرِ :

مَنْزِلٌ كَالرَّيِّعِ حَلَّتْ عَلَيْهِ حَالِيَاتُ السَّحَابِ عَقْدُ النَّطَاقِ
يُنْبِغُ الْعَيْنَ مِنْ طَرَائِقِ حُسْنٍ تَتَجَافَى ^(١) بِهَا عَنِ الْإِطْرَاقِ
وَقُلْنَا بِهَا ، لَمَّا تَرَلْنَا بِجَانِبِهَا :

وَبَنَّا وَالشُّرُورُ لَنَا نَدِيمٌ وَمَاءُ عُيُونِهِ الصَّافِي مُدَامُ
يُسَايِرُهُ النَّسِيمُ إِذَا تَفَنَّتْ سَحَابُهُ وَبَسْفِيهِ الْعَمَامُ
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلَةٍ أَرَبَتْ فِي طِيبِ التَّفْعِ ، عَلَى لَيْلَةِ الشَّرِيفِ
الرَّضَى بِالسَّفْعِ ^(٢) :

وَنَحْنُ فِي رَوْضَةٍ مُفَوَّفَةٍ
قَدْ وَشَّيْتُ بِالْعَمَامِ الْوُكُفِ ^(٣)
نُعْنِي عَلَى زَهْرِهَا فَيُوقِظُنَا
وَهَنَا هَدِيرُ الْحَمَامِ الْهَتَفِ ^(٤)
وَدَوْحُهَا مِنْ نَدَاهُ فِي وَشَحٍ وَمِنْ لَيْلٍ الْأَزْهَارِ فِي شَفِ ^(٥)

(١) تتجافى : تنباعد (٢) يشير الى قول الشريف :

باليلة السفح ألا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

(٣) وكف المطر : سال قليلا قليلا (٤) هتفت الحمامة : غردت (٥) الشنف :

القرط في أعلى الأذن أو في الأنف على عادة العرب

وَالْفُصْنُ مِنْ فَوْقِهِ حَمَامَتُهُ كَانَتْهَا هَمْزَةٌ عَلَى أَلِفٍ
وَمَا أَقْرَبَ قَوْلَ الْوَزِيرِ ابْنِ عَمَّارٍ ، مِنْ وَصْفِ ذَلِكَ
الْمِضْمَارِ ، الْجَامِعِ لِلْأَقْمَارِ :

يَا لَيْلَةَ بَنَيْنَا بِهَا فِي ظِلِّ أَكْنَافِ النِّعَمِ
مِنْ فَوْقِ أَكْثَامِ الرِّيَّا ضِ وَتَحْتَ أَذْيَالِ النَّسِيمِ
وَنَاهِيكَ بِحَلِّ قُرْبٍ مِنْ دِمَشْقَ الْفَرَاءِ ، فَخَلَمْتَ
عَلَيْهِ حُلَلَ الْجُبُورِ وَالسَّرَّاءِ ، وَأَمَدَّهُ بِضِيَّائِهَا ، وَأَوْدَعَتْهُ
بَرْقَ حَيَاهَا وَمَاءَ حَيَاتِهَا ، فَصَارَ نَاصِرَ الدَّوْحَاتِ ، عَاطِرَ
الْمَدَوَاتِ وَالرَّوْحَاتِ ، مُوْنِقَ الْأَنْفَاسِ وَالنَّفَحَاتِ ، مُشْرِقَ
الْأَسْرِ^(١) وَالصَّفَحَاتِ ، هَذَا وَالْقُلُوبُ مِنْ الْفِرَاقِ فِي قَلْقٍ ،
وَلِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُ :

وَنِي عَلاَقَةٌ وَجَدِ لَيْسَ يَعْلَمُهَا
إِلَّا الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

(١) أسرة الوجه وأسراره وأساره : هي الخطوط التي في الجبهة من التسكر فيها ، واحده سرر ، وقيل الأسرة : الحدان والوجتان ومحاسن الوجه ، وهي شارب الوجه أيضا وسبحات الوجه . وفي حديث عائشة في صفته صلى الله عليه وسلم : تشرق أسارير وجهه . وفي حديث علي عليه السلام : كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده ، وروى الجلال يطرد في أسرة جبينه

وَيَحْتُ عَلَى أَتِهَازِ فُرْصَةِ اللَّقَاءِ إِذْ هِيَ غَنِيمَةٌ ،
وَيَذْكُرُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ - وَأَكْفُ الدَّهْرِ مُوقِظَةٌ وَمُنِيْمَةٌ - :
تَمْتَعْ بِالرَّفَادِ عَلَى شِمَالٍ ^(١) فَسَوْفَ يَطُولُ نَوْمُكَ بِالْيَمِينِ
وَمَتَّعْ مَنْ يُحِبُّكَ بِاجْتِمَاعٍ فَأَنْتَ مِنَ الْفِرَاقِ عَلَى يَقِينِ
ثُمَّ حَصَرَ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَوْقِفُ الْوَدَاعِ ، وَالْكُلُّ
مَا بَيْنَ وَاجِبٍ ^(٢) وَبَالِكٍ وَدَاعٍ ، فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِ مَنْ قَلْبُهُ
لِفِرَاقِ الْأَحْبَابِ فِي أَنْصِدَاعٍ :

وَدَعَّيْهُمْ وَدُمُوعِي عَلَى الْخُدُودِ غِزَارُ
فَاسْتَكْرُوا دَمْعَ عَيْنِي لَمَّا اسْتَقَلُّوا ^(٣) وَسَارُوا
وَقَوْلِ آخَرَ :

يَا وَحْشَةً مِنْ جِيرَةٍ قَدْ ^(٤) نَأَوْنَا غُلُوقَ دَرِي فِي الْهَوَى أَنْحَطَّا

(١) يجوز أن يكون (شمال) جمع شملة : وهي كساء دون القטיפية يشتمل به ، ومثزر من صوف أو وبر أو شعر يؤتز به ، فإذا لفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل ، وفي حديث علي قال للأشعث بن قيس : ان أبا هذا كان ينسج الشمال يمينه ، وهي من أحسن الألفاظ وألطفها بلاغة (٢) الوجوم : العبوس والاطراق لشدة الحزن ، والسكوت على غيظ (٣) أي رحلوا راكبين المطايا وفيه مع قوله (استكروا) إيهام التضاد (٤) أظن (قد) محرفة عن (مذ) الظرفية حتى تربط صدر البيت بعجزه

حَكَتْ دُمُوعِي الْبَحْرَ مِنْ بَعْدِهِمْ
لَمَّا رَأَتْ مَنْزِلَهُمْ شَطًّا^(١)
وَحَقَّقَ لِي أَنْ أَعْتَلَّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِ الْفَزَارِيِّ :
لَا تَسْلِنِي عَمَّا جَنَاهُ الْفِرَاقُ حَمَلْتَنِي يَدَاهُ مَا لَا يُطَاقُ
أَيْنَ صَبْرِي أَمْ كَيْفَ أَمْلِكُ دَمْعِي
وَالْمَطَايَا بِالظَّاعِنِينَ تُسَاقُ ؟
فَإِنْ مَعِيَ نَنْدُبُ الطُّلُولِ فَهَذِي
سُنَّةٌ قَبْلُ سَنَاهَا الْمُشَاقُّ
وَأَعِدْ لِي ذِكْرَ الْغَوِيرِ^(٢) فَكَمْ مَا
لَ بَعْظُنِي نَسِيْمُهُ الْخَفَاقُ^(٣)
فِي سَبِيلِ الْغَرَامِ مَا فَعَلْتُ يَا
مَاشِقِينَ الْقُدُودُ وَالْأَحْدَاقُ
يَوْمَ وَلَّتْ طَلَالِيعُ الصَّبْرِ مِنَّا ثُمَّ شَنَّتْ غَارَاتِهَا الْأَشْوَاقُ
وَبِقَوْلِ غَيْرِهِ :
كُنَّا جَمِيعًا وَالْدَّارُ تَجْمَعُنَا مِثْلَ حُرُوفٍ لِلْجَمْعِ مُلْتَصِقَةً

(١) شط : بعد ، تقول : شط الزار وشحط ، وفيه تورية بالسطو وهو الشاطي .
(٢) الغوير : ماء لبني كلب بأرض السبابة بين العراق والشام — أو ماء
بين العقبة والقاع في طريق مكة ، والغوير أيضا على الفرات ، وفيه قالت
الزباء : عسى الغوير أبوسا (٣) الخفاق : المضطرب

وَالْيَوْمَ صَارَ الْوَدَاعُ يَجْمَلُنَا مِثْلَ حُرُوفِ الْوَدَاعِ ^(١) مُفْتَرِقَةً
وَقَوْلٍ آخَرَ :

حِينَ هَمَّ الْحَيْبُ بِالتَّوْدِيْعِ عَيَّرُونِي أَنِّي سَفَحْتُ دُمُوعِي ^(٢)
لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الْفِرَاقِ وَلَا مَا

أُخْرَقَتْ لَوَعَةُ الْأَسَى مِنْ ضُلُوعِي
كَيْفَ لَا أَسْفَحُ الدُّمُوعَ عَلَى رَبِّ

حِوَى خَيْرَ سَاكِنٍ وَجُمُوعِ
هَبْكَ أَنِّي كَتَمْتُ حَالِي أَنَحْنِي زَفَرَاتُ الْمَتَمِّ الْمَصْدُوعِ ؟
إِنَّمَا يُعْرِفُ الْغَرَامُ بِمَنْ لَا حَ عَلَيْهِ الْغَرَامُ بَيْنَ الرُّبُوعِ
وَقَوْلٍ مَنْ قَالَ :

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيْعِهِ وَكُلُّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسٌ ^(٣)
لَنْ قَعَدَتْ عَنْكَ أَجْسَادُنَا لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الْأَنْفُسُ
وَقَوْلِ الصَّائِي :

وَلَمَّا حَضَرَتْ لِتَوْدِيْعِهِ وَطَرَفُ النَّوَى نَحُونًا شَوْسٌ ^(٤)

(١) أى كلمة وداع ، كل حرف منها غير متصل بما قبله ولا بما بعده فهي متفرقة ، كما أن حروف كلمة (جمع) كلها متصلة (٢) سفع الدمع والدم : أراقه (٣) أبلس . تحير وحزن وسكت من حزن أو خوف (٤) الشوس : النظر بمؤخر العين وشقها تكبرا وتبها أو تعيظا وحقدا

عَكَسْتُ لَهُ يَنْتَ شِعْرٍ مَضَى
يَلِيْقُ بِهِ اُحْالُ اِذْ يُعْكَسُ
لَنْ سَافَرْتُ عَنْكَ اُجْسَادُنَا
لَقَدْ قَعَدْتُ مَعَكَ الْاَنْفُسُ
وَقَوْلِ الْمُهَذَّبِ بْنِ اُسْعَدَ الْمَوْصِلِيِّ :
دَعْنِي وَمَا شَاءَ التَّفَرُّقُ وَالْاَسَى
وَأَقْصِدْ بِلَوْمِكَ مَنْ يُطْعِمُكَ اَوْ يَبِي
لَا قَلْبَ لِي قَائِمِ اللَّامَ فَإِنِّي
أَوْدَعْتُهُ بِالْأَمْسِ عِنْدَ مُوَدَّعِي
هَلْ يَعْلَمُ الْمُتَحَمِّلُونَ لِنَجْمَةٍ ^(١)
أَنَّ الْمَنَازِلَ أَخْصَبَتْ مِنْ أَدْمَعِي ؟
كَمْ غَادَرُوا حَرَضًا ^(٢) وَكَمْ لَوْدَاعِهِمْ
يَبْنَ الْجَوَانِحُ مِنْ غَرَامٍ مُوَدَّعٍ ؟
وَالسُّقْمُ آيَةٌ مَا أَجْنُ مِنْ الْجَوَى وَالْدَّمْعُ يَنْتَهُ عَلَى مَا أَدَّعِي

(١) النجمة : طلب الكلا في موضعه ، ونجع البلد آناه (٢) حرَضَ حرَضًا : فسد بدنه ومرض حتى أشقى على الهلاك وصار لا يقدر على النهوض ، وفي الآية الكريمة (حتى تكون حرَضًا) أى مدنفًا ، وحرَضه الموت وأحرَضه إذا أدنفه حتى أشرف على الموت ، والحرَض أيضا الذى أذاب به الحزن والعشق

وَقَوْلِ الْكَمَالِ التَّنُوخِي :

كَمْ لَيْلَةً قَدْ بَثَّهَا زَعَى الشَّهَا (١)
جَزَعًا لِفُرْقَتِهِمْ بِمُقَلَّةِ أَرْمَدٍ
قَضَيْتُهَا مَا بَيْنَ نَوْمٍ نَافِرٍ
وَزَفِيرِ مَهْجُورٍ وَقَلْبِ مُكْمَدٍ
لَمْ أَنْسَ أَيَّامَ الشُّرُورِ وَطَلِبَهَا
بَيْنَ السَّدِيرِ وَبَيْنَ بُرْقَةِ شَهَدٍ (٢)

وَالرَّوْضُ قَدْ أَبْدَى بَدَائِعَ تَوْرِهِ

مِنْ أَرْزَقٍ وَمُقَضَّضٍ وَمُورَدٍ
وَالْمَاءُ يَبْدُو كَالصَّوَارِمِ سَارِيًا
فَيَمِيدُهُ مَرُّ الصَّبَا كَالْبَرَدِ
وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُسْجَعٍ وَمُرْجَعٍ
وَمُغَرَّدٍ وَمُعَدِّدٍ وَمُرَدَّدٍ
وَقَوْلِ الْقَاضِي بِهِاءِ الدِّينِ السَّنْجَارِيِّ :
أَحِبَّابَنَا مَالِي عَلَى بُعْدِ الْمَدَى
جَلَدٌ، وَمَنْ بَعْدَ النَّوَى يَتَجَلَّدُ؟
لِلَّهِ أَوْقَاتُ الْوَصَالِ وَمَنْظَرُ
نَضْرٍ وَغُصْنُ الْوَصْلِ غُصْنٌ (٣) أَمْلَدُ (٤)

(١) نجم صغير لا يراه إلا حديد البصر . وفي المثل : «أريها السها وتريني القمر» (٢) هي ابني دارم ، ذكره طرفة بن العبد صاحب المعلقة في مطلعها لحولة أطلال بيرقة شهيد تلوح كباق الوشم في ظاهر اليد والسدير : أرض باليمن وموضع بالحيرة (٣) قد تكون محرفة عن (غص) (٤) الأملد : الناعم

أَتَى يُطِيقُ أَخُو الْهَوَى كِشْمَانَهُ
وَأَخَذَ بِاللَّمْعِ الْمَصُونِ مُخَدَّدٌ^(١)؟
مَا بَعْدَ مُفْتَرَقِ الرُّكَّابِ تَصَبُّرٌ
عَمَّنْ أَحَبُّ فَهَلْ خَلِيلٌ يُسْعِدُ^(٢)؟
يَاسَعْدُ سَاعِدِ بِابْكَاءِ أَخَا هَوَى
يَوْمَ الْوَدَاعِ بَكَى عَلَيْهِ الْحَسَدُ

وَقَوْلِ ابْنِ الْأَثِيرِ :
لَمْ أَنْسَ لَيْلَةَ وَدَّعُوا صَبًّا وَسَارُوا بِالْحُمُولِ
وَاللَّمْعُ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى يَجْرِي فَيَعْتُرُ بِالذُّيُولِ
وَقَوْلِ الْأَرَجَانِيِّ :

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً
وَطَرَفِي وَقَلْبِي هَامِعٌ وَخَفُوقُ
بَكَيتُ فَأَضْحَكَتُ الْوُشَاةَ^(٣) شِمَاتَةً
كَأَنِّي سَحَابٌ وَالْوُشَاةُ بُرُوقُ

(١) أى فيه أخا يدوش فوق (٢) أى يعين ويساعد بالبكاء معى (٣) الوشاة :
الساعون بين الناس بالتفريق

وَقَوْلِ ابْنِ بُبَاةَ السَّعْدِيِّ :

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَامِتٌ وَغَيُورٌ

وَقَفْنَا فَمِنْ بَاكِ يُكَفِّفُ دَمْعَهُ

وَمُلْتَرِمٍ قَلْبًا يَكَادُ يَطِيرُ

وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

لَمَّا حَدَا الْخُلْدَى بِتَرْحَالِهِمْ هَبَّجَ أَشْوَاقِي وَأَشْجَانِي^(١)

وَرَأَحَ يَتْنَى الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِهِمْ فَهَوَّ لَهُمْ حَادٍ وَلِي ثَانِي

وَقَوْلِ الصَّفْدِيِّ :

لَمَّا أُعْتِنَقْنَا لَوْدَاعِ النَّوَى وَكَذْتُ مِنْ حَرِّ الْجُوى أُحْرِقُ

رَأَيْتُ قَلْبِي سَارَ قُدَّامَهُمْ وَأَذْمَعِي تَجْرِي وَلَا تَلْحَقُ

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

تَذَكَّرْتُ عَيْشًا مَرَّ حُلُوءًا بِقُرْبِكُمْ

فَهَلْ لِلْيَالِينَا النَّوَاهِبِ وَاهِبُ ؟

وَمَا أَنْصَرَفَتْ أَمَالُ نَفْسِي لِغَيْرِكُمْ

وَلَا أَنَا عَنْ هَذِي الرِّغَائِبِ غَائِبُ

سَأَصْبِرُ كُرْهًا فِي الْهَوَىٰ غَيْرَ طَائِعٍ

لَعَلَّ زَمَانِي بِالْحَبَائِبِ آئِبٌ

وَقَوْلِ ابْنِ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيِّ :

فِي كَنَفِ اللَّهِ وَفِي حِفْظِهِ مَسْرَاكَ وَالْعَوْدُ بِعَزْمٍ صَرِيحٍ

لَوْ جَازَ أَنْ تُسَلِّكَ أَجْفَانُنَا^(١) كُنَّا فَرَشْنَا كُلَّ جَفْنٍ قَرِيحٍ

لَكِنَّا بِالْبُعْدِ مُتَعَلَّةٌ وَأَنْتَ لَا تَسْلُكُ^(٢) إِلَّا الصَّحِيحَ

وَقَوْلِ الْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ :

عَجِبْتُ لِنَفْسِي بَعْدَهُمْ مَا بَقَاؤَهَا

وَلَمْ أَحْظَ مِنْ لُقْيَاهُمْ بِرَادِي

لِعَمْرُكَ مَا فَارَقْتُهُمْ مُنْذُ وَدَّعُوا

وَلَكِنَّا فَارَقْتُ طِيبَ رُقَادِي

وَقَدْ مَنَعُوا مِنِّي زِيَارَةَ طَيْفِهِمْ

وَكَيفَ يَزُورُ الطَّيْفُ حِلْفَ سُهَادٍ

وَأَعْجَبُ مَا فِي الْأَمْرِ شَوْقِي إِلَيْهِمْ

وَهُمْ فِي سَوَادِي نَاطِرِي وَقَوَادِي

(١) أى تجعل طريقا مسلوكا (٢) فى الجملة توزية واضحة

وَقَوْلِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ الْمُقَامِ بِرَوْضَةٍ تَرْمُحُ عَلَيْنَا بِالشُّرُورِ وَتَعْتَدِي
كَانَ الشَّقِيقَ الْغَضَّ بَيْنَ بَطَاحِهَا نُجُومٌ عَقِيقٍ فِي سَمَاءِ زَبَرَجَدٍ
وَقَوْلِ الْقَاضِي الرَّشِيدِ الْأَسْوَانِيِّ (١) :

رَحَلُوا فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ
وَنَآوَا فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحُ عَنْهُمْ
وَسَرَّوْا وَقَدْ كَتَمُوا الْغَدَاةَ مَسِيرَهُمْ
وَضِيَاءُ نُورِ الشَّمْسِ مَالَا يُكْمُ
وَتَبَدَّلُوا أَرْضَ الْعَقِيقِ عَنِ الْحَمَى
رَوَتْ جُفُونِي أَيْ أَرْضِي يَمُمُوا ؟
تَزَلُّوا الْعَذِيبَ وَإِنَّمَا هُوَ مُهَجَّتِي

رَحَلُوا وَفِي قَلْبِ الْمُتَمِّمِ خَيْمُوا
مَاضَرَهُمْ لَوْ وَدَّعُوا مَنْ أَوْدَعُوا نَارَ الْغَرَامِ وَسَلَّمُوا مَنْ أَسْلَمُوا (٢)

(١) هو أبو الحسين أحمد بن القاضي الرشيد أبي الحسن علي بن إبراهيم
ابن محمد ابن الحسين بن الزبير القسائي الأسواني : كان من أهل الفضل
والنباهة والرياسة جامعاً بين جودة النظم والنثر توفي سنة ٥٦٣ هـ ، وهو
منسوب إلى مدينة أسوان بصعيد مصر (٢) أسلمه : خذله ولم ينصره

هُمْ فِي الْحَشَانِ أَغْرُقُوا^(١) أَوْ أَيْسُوا
 أَوْ أَشَامُوا أَوْ أَنْجِدُوا أَوْ أَتَمُّوا
 وَقَوْلِ الشَّاعِرِ أَبِي طَاهِرٍ الْأَصْفَهَانِيَّ، الْمَعْرُوفِ بِالْوَتَّائِي :
 أَشَاعُوا فَقَالُوا وَقَفَّةٌ وَوَدَاعٌ وَزُمْتُ مَطَايَا لِلرَّحِيلِ سِرَاعُ
 فَقُلْتُ وَدَاعٌ لَا أَطِيقُ عِيَانَهُ كَفَانِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُسْتَسْمَاعُ
 وَلَمْ يَمْلِكِ الْكِتْمَانُ قَلْبُ مَلَكْتُهُ
 وَعِنْدَ النَّوَى سِرُّ الْكِتْمَانِ مُذَاعُ
 وَقَوْلِ أَبِي الْمَجْدِ قَاضِي مَارِدِينَ :
 رَعَى اللَّهُ رَبَّمَا أَنْتُمْ فِيهِ أَهْلُهُ وَجَادَعَلِيهِ هَاطِلٌ وَهَتُونُ^(٢)
 وَلَا زَالَ مُخْضَرٌّ الْجَوَانِبِ مُتَرَعِّ أَا
 حِيَاضٍ وَفِيهِ لِلنَّعِيمِ قُنُونُ
 لَنْ قَدَّرَ اللَّهُ الْإِلْقَاءَ وَأَيَّعَتْ
 غُصُونُ التَّدَانِي قَالِبَعَادُ يَهُونُ
 وَإِنْ حَكَمْتَ أَيْدِي الْفِرَاقِ بِمُسْرَةٍ
 فَكَمْ قُضِيَتْ لِلْمُسِيرِينَ دُيُونُ

(١) أغرقوا وما بعدها : ذهبوا الى العراق أو اليمن أو الشام أو نجداً وتهامة

(٢) الهتون من الطر : للنصب الدائم التسكاب

وَقَوْلٍ آخَرَ :

غَيْثُكُمْ فَمَا لِي فِي التَّصَبُّرِ مَطْمَعٌ
عَظُمُ الْجُوعِ وَأَشْتَدَّتِ الْأَشْوَاقُ
لَا الدَّارُ بَعْدَكُمْ كَمَا كَانَتْ وَلَا

ذَاكَ الْبَهَاءِ بِهَا وَلَا الْإِشْرَاقُ
أَسْتَأْذِنُكُمْ وَكَذَا الْمُحِبُّ إِذَا نَآى
عَنْهُ أَجَبَهُ قَلْبُهُ يَشْتَاقُ

وَقَوْلِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْهَمْدَانِيِّ :
وَيَوْمٍ وَلَّتِ الْأَظْمَانُ عَنَّا وَقَوَّضَ حَاضِرٌ وَأَرْنَ^(١) بَادِي
مَدَدْتُ إِلَى الْوَدَاعِ يَدًا وَآخَرَى
حَبَسْتُ بِهَا الْحَيَاةَ عَلَى فُؤَادِي

وَقَوْلِ ابْنِ الصَّائِغِ :
قَدْ أَوْدَعُوا الْقَلْبَ لَمَّا وَدَّعُوا حَرْقًا^(٢)
فَظَلَّ فِي الْأَيْلِ مِثْلَ النَّجْمِ حَيْرَانًا

(١) رن وأرن : صاح ورفع صوته بالبكاء (٢) جمع حرقة : وهى حرارة القلب من الشوق

رَاوَدَتْهُ يَسْتَعِيرُ الصَّبْرَ بَعْدَهُمْ

فَقَالَ إِنِّي أُسْتَعِرْتُ^(١) الْيَوْمَ نِيرَانًا

وَقَوْلِ الصَّدْرِ بْنِ الْأَدِيِّ مُكْتَفِيًا :

يَوْمَ تَوَدَّيْ لِحُبَابِي غَدَا ذِكْرِي شَاغِلِي عَنْ كُلِّ شَيْ

فَرَنْتَ نَحْوِي وَقَالَتَ يَا تَرَى أَنْتَ حَيٌّ فِي هَوَانَا قُلْتُ مَيَّ^(٢) ؟

وَقَوْلِ غَيْرِهِ :

وَلِي فُؤَادٌ مَذْنَأَى شَخْصُهُمْ ظَلَّ كَثِيبًا مُدْفَنًا مُوجِعًا

وَمُقَلَّةٌ مَهْمًا تَذَكَّرْتُهُمْ تَذَرِفُ دَمْعًا أَرْبَعًا أَرْبَعًا

وَلَيْسَ لِي مِنْ حِيلَةٍ كَلِمًا لَجَّتْ بِي الْأَشْوَاقُ إِلَّا الدُّعَا

أَسْأَلُ مَنْ أَلْفَ مَا يَنْتَنَا وَقَدَّرَ الْفُرْقَةَ أَنْ يَجْمَعَا

وَقَوْلِ الرَّعَيْنِيِّ الْفَرْنَاطِيِّ :

حَمَّاسِنْ رُبَيْعٍ قَدْ حَمَّاهُنَّ مَا جَرَى

مِنْ الدَّمْعِ لِمَا قِيلَ قَدْ رَحَلَ الرَّكْبُ

تَنَاقَضَ حَالِي مَذْ شَجَانِي فِرَافُهُمْ

فَمِنْ أَصْلَمِي نَارٌ وَمِنْ أَدْمَعِي سَكْبُ

(١) من استعرت النار إذا اشتد لهيبها ، أو من الاستعارة ففيه تورية

(٢) أى ميت ففيه اكتفاء ، أو يريد به اسم محبوبته ففيه تورية

وَفِي مَمْنَاهُ قَوْلُهُ أَيْضًا ^(١) :

وَقَالُوا مَا هَذَا الذَّرُّ الَّتِي

تَسَاقَطُهَا عَيْنَاكَ سَمِطَيْنِ سَمِطَيْنِ ^(٢) ؟

فَقُلْتُ لَهَا هَذَا الَّذِي قَدْ حَسَا بِهِ

أَبُو مُضَرٍّ أَذْنِي تَسَاقَطَ مِنْ دِينِي

وَقَوْلُ الزَّخَشَرِيِّ ^(٣) :

لَمْ يُبَكِّنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِمْ لَمَّا أَسْرَّ بِهِ إِلَيَّ مُودَعِي

هُوَ ذَلِكَ الذَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مَسْمَعِي أَجْرِيَّتُهُ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلُ الزَّعَاغَرِيِّ ^(٤) :

قَدْ بَعَثْتُمْ قَلْبِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ بِنَظَرَةِ التَّوْدِيعِ وَهُوَ يَخْتَرِقُ

وَلَمْ أَجِدْ مِنْ بَعْدِهَا لِرَدِّهِ وَجْهًا وَكَانَ الرَّدُّ لَوْ لَمْ تَفْتَرِقْ

وَقَوْلُ بَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ :

سَارُوا فَوَدَّعَهُمْ طَرَفِي وَأَوْدَعَهُمْ قَلْبِي فَمَا بَعْدُوا عَنِّي وَلَا قَرُبُوا

(١) المعروف أن هذين البيتين من شعر جابر الله الزخشرى يرتى شيخه أبا مضر، وروى البيت الثانى هكذا :

فقلت هو الدر الذى كان قد حسا أبو مضر أذنى تساقط من عيني

(٢) السمت بكسر السين : الحيط مادام فيه الأؤلؤ فان خلا منه فهو سلك

(٣) والمعروف أن هذين البيتين للقاضي أبى بكر الأرجانى ، وكان معاصرا

للزخشرى فلا يدرى أيهما أعظم الآخر (٤) هو شرف الدين حسن الغزى الشهير

بالزغارى، وكان معاصرا لجمال الدين بن نباتة المصرى (فى القرن الثامن الهجرى)

(١٣ - نفع الطيب - أول)

هُمُ الشُّمُوسُ فِي عَيْنِي إِذَا طَلَعُوا
فِي الْقَادِمِينَ وَفِي قَلْبِي إِذَا غَرُبُوا
وَقُلْتُ أَنَا مُضْمِنًا بِدِيهَةٍ :

لَا كَانَ يَوْمُ فِرَاقِي سَاقَ الشُّجُونِ إِلَيْنَا
فَكَمْ أَذَلَّ نَفُوسًا يَا مَنْ ^(١) يَعْزُّ عَلَيْنَا
وَقُلْتُ أَيْضًا مُضْمِنًا :

سَلَا ^(٢) أَحِبَّتُهُ مَنْ لَمْ يَدُبْ كَدًّا
يَوْمَ الْوَدَاعِ وَإِنْ أَجْرَى الدَّمُوعَ دَمًا
يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ
مِنْ بَعْدِ كُمْ هُدَّ رُكْنُ الصَّبْرِ وَأَنْهَدَمَا
وَإِنْ نَأَى الْجِسْمُ كَرَّ هَاعَنْ مَنَازِلَكُمْ
فَالْقَلْبُ نَأَوٍ ^(٣) بِهَالَمْ يَصْحَبِ الْقَدَمَا

(١) جزء من شمار بيت للتنبئ من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة
ابن حمدان مطلعها :

واحر قلباه عن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده سقم
ومنها يا من يعز علينا أن تفارقهم وجدانا كل شئ بعدكم علم
(٢) سلا : هجر (٣) ناو : مقيم

وَمَا نَسِينَا عُهْدًا لِلْهَوَىٰ كَرُمْتَ
نَمْ قَرَعْنَا عَلَيْهَا سِنًّا نَدْمَا
وَأَظْلَمْتَ بِالنَّوَىٰ أَرْجَاءَ مَقْصِدِنَا
وَصَارَ وَجْدَانُ إِنْفٍ غَيْرِ كُمْ عَدْمَا
وَقُلْتُ أَيضًا مُّضْمِنًا :
لَمْ أَنْسَ بِالشَّامِ أَنْسَا شِمْتُ بَارِقَهُ
جَادَتْ مَعَاهِدُهُ أَنْوَاهُ نَيْسَانَ
لَهْنِي لِمَيْشٍ قَضَيْنَا فِي مَشَاهِدِهَا
مَا يَبِينُ حُسْنٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِحْسَانِ
وَقُلْتُ كَذَلِكَ :
يَاجِيرَةٌ بَانُوا وَأَبْقُوا حَسْرَةً
تُجْرِي دُمُوعِي بَعْدَهُمْ وَفَقَّ الْقَضَا
كَمْ قُلْتُ إِذْ وَدَّعْتُهُمْ وَالْأَنْسُ لَا
يُنْسَى وَعَهْدُ وَدَادِهِمْ لَنْ يُرْفَضَا

يَامَوْقِفَ التَّوَدِّيعِ إِنَّ مَدَامِي
فُضَّتْ^(١) وَفَاضَتْ فِي تَرَى ذَاكَ الْفَضَا
وَكَمْ تَقَاءَلْتُ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ ، مَعَ عَلِيٍّ بِأَنَّ عَلَى
اللَّهِ الْمُعْوَلُ :

إِذَا رَأَيْتَ الْوَدَاعَ فَاصْبِرْ وَلَا يُهِمُّكَ الْبَعْدُ
وَأَتَتَّظِرُ الْعَوْدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّ قَلْبَ^(٢) الْوَدَاعِ عَادُوا
وَصَافَتْ بِنَى الرَّحَابِ ، عِنْدَ مُفَارَقَةِ أَعْيَانِ الْأَحْبَابِ
وَالصَّحَابِ ، وَكَثُرَتْ دُمُوعِي مِنْ بَيْنِهِمُ السَّحَابِ ، وَزَنَدُ
الْتَذَكُّرِ يَقْدَحُ الْأَسْفَ فَيَهِيجُ الْاِتِّحَابَ ، وَقَدْ تَمَثَّلْنَا إِذْ
ذَلِكَ - وَالْجَوَارِحُ مِنَ الْجُلُوى فِي الْتِهَابِ ، وَذَخَائِرُ الصَّبْرِ ذَاتُ
الْتِهَابِ - بِقَوْلِ بَعْضِ مَنْ مَزَّقَ الْبَعْدُ مِنْهُ الْإِهَابَ :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَتَزِلًا طَلَّهُ الْتَذَى أَنْيَقًا^(٣) وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدَ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنَى فَمَتَمِنْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا

(١) أى حل وكاؤها (٢) إذا قلبت حروف وداع كانت عادوا (٣) أنيقا :
حسنا

وَقَدْ مُلِّفْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا

وَسَيَّرْتُ خَيْلِي يَنْهَى وَرِكَائِيَا

فَلَمْ أَرْ مِنْهَا مِثْلَ بَعْدَادَ مَنَزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شَمَائِلًا وَأَعَذَّبَ الْفَاطَا وَأَحْلَى مَعَانِيَا
وَبِقَوْلِ مَنْ تَأَسَّفَ عَلَى مَعَانِي التَّدَانِي، وَهُوَ أَبُو الْحُجَّاجِ

الْأَنْدَلُسِيُّ الدَّنَائِي :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَفَارِقَ مَنَزِلًا يُطَالِعُنِي وَجْهَ النَّحْيِ فِيهِ سَافِرَا
كَانَ عَلَى الْأَيَّامِ حِينَ غَشِيَتْهُ ^(١) يَمِينًا فَلَمْ أَحُلُّهُ إِلَّا مُسَافِرَا
وَنَحْيَلُنَا أَنْ إِقَامَتَنَا بِدِمَشْقَ وَقَاهَا اللَّهُ كُلَّ صَرْفٍ ،

مَا كَانَتْ إِلَّا خَطَرَةَ طَيْفٍ مُلِمٍّ أَوْ لَمَحَةَ طَرْفٍ ،

وَقَفْنَا سَاعَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وَمَا بُعِنِي الْمَشُوقُ وَوُقُوفُ سَاعَةٍ
كَانَ الشَّمْلُ لَمْ يَكُ فِي أَجْتِمَاعٍ إِذَا مَا شَتَّتَ الْبَيْنُ أَجْتِمَاعَهُ
وَطَالَمَا عَلَّتْ أَنْفُسُ بِالْعُودِ إِلَيْهَا ثُمَّ إِلَى بَقَاعِي ، مُنْشِدًا

قَوْلَ الْأَدِيبِ الشَّهِيرِ ابْنِ الْفِقَاعِيِّ :

مَتَى عَايَنْتَ عَيْنَايَ أَعْلَامَ حَاجِرٍ
 جَعَلْتَ مُوَاطِيَّ الْيَسْرِ فَوْقَ حَاجِرِي
 وَإِنْ لَاحَ مِنْ أَرْضِ الْمَوَاصِمِ بَارِقُ
 رَجَعْتُ بِأَحْشَاءِ صَوَادٍ صَوَادِرِ
 سَمِعَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْمَوَاطِنَ وَالرُّبَا
 مُوَاطِرَ أَجْفَانٍ هَوَامٍ ^(١) هَوَامِرِ ^(٢)
 وَحَيًّا أَلْحِيَامِينَ سَاكِئِي أُلْحَى أَوْجُهًا
 سَفَرْتُ بِأَنْوَارٍ زَوَاهِ زَوَاهِرِ
 بِحَيْثُ زَمَانُ الْوَصْلِ غَضُّ وَرَوْضُهُ
 أَرِيضُ بِأَزْهَارٍ بَوَاهِ بَوَاهِرِ
 وَحَيْثُ جُفُونُ الْحَاسِدِينَ غَضِيضَةٌ
 رَمَقْنَ بِأَمَاقٍ سَوَاهِ سَوَاهِرِ
 ثُمَّ حَاوَلْتُ خَاطِرِي الْكَلِيلَ، فِيمَا يَشْفِي بَعْضَ الْقَلِيلِ
 فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ التَّضْمِينِ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّوْقُ
 وَالتَّخْمِينُ :

يَا بَنِي مَنْ أَوْدَعُوا مُذْ وَدَّعُوا

قَلْبِي الشَّوْقَ وَلِلْعَيْسِ ذَمِيلٌ^(١)

جِيْرَةٌ غُرٌّ كِرَامٌ خَيْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُمْ يَبْدُو جَمِيلٌ
وَعَلَى الْجُمْلَةِ مَالِي غَيْرُهُمْ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَمِيلُوا أَوْ يَمِيلَ
ثُمَّ قُلْتُ وَقَدْ سَدَدَ الثَّنَائِي إِلَى نَبَلِهِ ، مُوَطَّنًا لِلْيَتِي
الثَّالِثِ كَمَا فِي الْأَيَّاتِ قَبْلَهُ :

يَادَمْشَقًا حَيَّاكَ غَيْثُ غَزِيرُ وَوَقَاكَ الْإِلَهُ مِمَّا يَضِيرُ
حُسْنُكَ الْفَرْدُ وَالْبَدَائِعُ جَمْعٌ مُتَنَاهٍ فِيهِ فَعَزَّ النَّظِيرُ
أَيَّنَ أَيَّامَنَا يَطْلُكَ وَالشَّمْلُ جَمِيلٌ وَالْعَيْشُ غُضُّ نَضِيرُ؟
ثُمَّ أَكْثَرْتُ الْإِلْتِفَاتِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ، وَقَدْ
شَبَّهْتُ الْبَيْدَاءَ وَالشَّوْقَ يَبْدُلُ الْكُلِّ وَالْإِشْتِمَالِ ، وَتَنَسَّمْتُ
مِنْ نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْجَاءِ أَرْبَعِ الشَّمَالِ ، وَضَمَنْتُ فِي الْمَعْنَى
قَوْلَ بَعْضِ مَنْ تَنَى الْخُبُّ عِطْفَهُ وَأَمَالَ :

تَنَسَّمْتُ أَرْوَاحًا سَرَتْ مِنْ دِيَارِ مَنْ

بِهِمْ كَانَ جَمْعُ الشَّمْلِ لَمَعَةً حَالِمِ

وَجَاوَبْتُ مَنْ يَلْعَى عَلَى ذَاكَ جَاهِلًا

بِقَوْلٍ لَيْبٍ بِالْعَوَاقِبِ عَالِمٍ

وَمَا أَنْشَقُ الْأَزْوَاحَ إِلَّا لِأَنَّهَا

تَمُرُّ عَلَى تِلْكَ الرُّبَا وَالْمَعَالِمِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْآخِرِ :

سَرَتْ مِنْ نَوَاحِي الشَّامِ لِي نَسْمَةُ الصَّبَا

وَقَدْ أَصْبَحَتْ حَسْرَى مِنَ الشَّيْرِ ظَالِمَةً^(١)

وَمِنْ عَرَقٍ مَبْلُوءَةٍ أَجْلِبٍ بِالنَّدَى

وَمِنْ تَعَبٍ أَنْفَاسَهَا مُتَابِعَةٍ

وَقُلْتُ أَنَا :

حَدَّثْتُ وَحَقَّ لِلَّهِ لِلشَّامِ رَحْلَةً أَتَاحَتْ لِعَيْنِي أَجْتِلَاءُ مُحْيَاةٍ

وَبَعْدَ التَّنَائِي صِرْتُ أُرْتَاخُ لِلصَّبَا

لِأَنَّ الصَّبَا تَسْرِي بِعَاطِرِ رَبَاهُ^(٢)

فَلِلَّهِ عَهْدٌ قَدْ أَتَاحَ يَجْلِقُ^(٣) سُرُورًا فَحْيَاهُ الْإِلَهُ وَحْيَاهُ^(٤)

(١) الفلح : العرج (٢) الريا : الرائحة الذكية (٣) اسم دمشق (٤) ربما كانت : ويياه

وَأَسْتَحْضَرْتُ عِنْدَ جِدِّ السَّيْرِ، قَوْلَ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ
الْمُرْسِيِّ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخَيْرِ :

أَيْنَ أَيَّامُنَا اللَّوَاتِي تَقَضَّتْ إِذْ جَرْنَا^(١) لِلْوَصْلِ أَيْمَنَ طَيْرٍ
ثُمَّ قَوْلَ غَيْرِهِ يَمِّنَ حَنَّ وَأَنَّ، وَقَلِقَ قَلْبُهُ وَمَا أَطْمَأَنَّ :
أَجِنُّ إِلَى مَشَاهِدِ أَنْسٍ إِلَيَّ

وَعَهْدِي مِنْ زِيَارَتِهِ قَرِيبُ
وَكُنْتُ أَظُنُّ قُرْبَ الْهَمْدِ يُطْفِئُ

لَهَيْبَ الشَّوْقِ فَازْدَادَ الْهَلِيبُ
وَرُبَّمَا تَجَلَّدْتُ مُغَالِطًا، مُتَعَلِّلًا بِقَوْلِ مَنْ كَانَ لِإِنْفِهِ
مُخَالِطًا :

حَضَرْتُ فَكُنْتُ فِي بَصَرِي مُقِيمًا
وَعُيِّتَ فَكُنْتُ فِي وَسَطِ الْفَوَادِ

(١) زجر الطير من الميافة : فإذا زجرها من أراد أمرًا فطارت يمنة
فهي ساعية ، وذلك خير ، أو يسرة فهي بارحة وذلك شر . والميافة باطلة
قال الشاعر :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحما ولا زجرات الطير ما الله صانع

وَمَا شَطَّتْ بِنَادَاؤُ وَلَكِنْ ثَقِلَتْ مِنَ السَّوَادِ إِلَى^(١) السَّوَادِ
وَقَوْلٍ غَيْرِهِ :

وَكُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بَعْدٍ
فَالْقَلْبُ يَرَعَاكَ إِنْ لَمْ يَرَعْكَ الْبَصَرُ
وَبِقَوْلِ الْوَدَاعِي^(٢) :

يَا عَازِلِي فِي وَحْدَتِي بَعْدَهُمْ وَأَنْ رَبَّنِي مَا بِهِ مِنْ جَلِيسٍ
وَكَيْفَ يَشْكُو وَحْدَةً مِنْ لَهُ دَمْعٌ حَمِيمٌ وَأَيْنُ أَنْيْسٍ
ثُمَّ رَدَدَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، بِقَوْلِ بَعْضٍ مَنْ لَمْ يُبْلِغْهُ
السُّلُوكَ رِيقَهُ :

لَا رَعَى اللَّهُ عَزَمَةً ضَمِنَتْ لِي سَلَوَةَ الْقَلْبِ وَالتَّصَبُّرَ عَنْهُمْ
مَا وَفَتْ غَيْرَ سَاعَةٍ ثُمَّ عَادَتْ مِثْلَ قَلْبِي تَقُولُ لَا بُدَّ مِنْهُمْ
وَبِقَوْلِ ابْنِ آجُرُومَ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْفَرَضِ الْمَرْوَمِ :
يَا غَائِبًا كَانَ أَنَسِي رَهْنٌ طَلَعَتْهُ

كَيْفَ أَصْطَبَارِي وَقَدْ كَابَدَتْ يَنْتَهَمَا
دَعَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبِي يُعَارِضُهَا
شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الْجَمْعُ يَنْتَهَمَا ؟

(١) يريد أنه انتقل من سواد عينه إلى سواد قلبه (٢) هو علاء الدين
على الوداعي الكندي توفي سنة ٧١٦

ثُمَّ جَدَّ بِي السَّيْرُ إِلَى مِصْرَ وَأُسْتَمِرَّ، فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ
 الصَّفْدِيِّ، وَقَدْ أَشْتَدَّ بِالرَّمْلِ الْحَرُّ
 أَقُولُ وَحَرُّ الرَّمْلِ قَدْ زَادَ وَقْدُهُ
 وَمَالِي إِلَى شَمِّ النَّسِيمِ سَبِيلُ
 أَظُنُّ نَسِيمَ الْجَوْ قَدْ مَاتَ وَأُنْقَضَى
 فَمَهْدِي بِهِ فِي الشَّامِ وَهُوَ عَلِيلُ
 وَقَوْلَ ابْنِ الْخَيْطِ :

قَصَدْتُ مِصْرًا مِنْ رُبَا جِلْقٍ بِهَمَّةٍ تَجْرِي بِتَجْرِي
 فَلَمْ أَرِ الطَّرَّةَ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُ عَيْنِي بِالْمَرْزَبِ^(١)
 وَحِينَ وَصَلْتُ مِصْرَ لَمْ أُنْسَ عَهْدَ الشَّامِ الْمَرْعَى،
 وَأُنْشَدْتُ قَوْلَ الشَّهَابِ الْخَنْبَلِيِّ الزَّرْعِيِّ :
 أَحِبَّنَا وَاللَّهِ مُذْ غِبْتُ عَنْكُمْ

شُهَادِي سَمِيرِي وَالْمَدَامِعُ مِدْرَارُ
 وَاللَّهِ مَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ وَإِنَّهُ
 بَرْنَعِي وَلِي فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ أَغْدَارُ

(١) المرزيب : تصغير مرزاب (لغة في الميزاب) وليست فصيحة : وهو
 المسراب الذي يسيل منه ماء الطر

إِذَا شَامَ بَرَقَ الشَّامِ طَرَفِي تَبَابَتُ
 سَحَابُ جَفْنِي وَالْفُؤَادُ بِهِ نَارُ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَمُودَنَّ شَمْلُنَا
 جَمِيعًا وَتَحْوِينَا رُبُوعُ وَأَقْطَارُ؟
 وَقَوْلَ ابْنِ عُثَيْنٍ ^(١) :
 دِمَشْقُ بِنَا شَوْقُ إِلَيْكَ مُبَرِّحُ
 وَإِنْ لَجَّ وَاشِي أَوَّالِحَ عَذُولُ
 بِلَادُ بِهَا الْخَصْبَاءُ ^(٢) دُرٌّ وَرُبَاهَا
 عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ شَمُولُ ^(٣)
 تَسْلَسُلُ مِنْهَا مَاوُهَا وَهُوَ مُظْلَقُ
 وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عِلِيلُ
 وَقَوْلَ آخَرَ :
 نَفْسِي الْفِدَاءُ لِأَنْسِي كُنْتُ أَعْهَدُهُ
 وَطِيبَ عَيْشِي تَقْضَى كُلُّهُ كَرَمُ

(١) هو أبو الحسن شرف الدين محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين
 ابن عثين الكوفي الأصل البصري المولد شاعر مجيد أديب ولكنه كان
 هجاء خبيث اللسان — ولد سنة ٥٤٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ بدمشق
 (٢) أي للسر والحما (٣) من أسماء الحمر

وَجِيرَةٍ كَانَ لِي إِلْفٌ بِوَصْلِهِمْ
 وَالْأَنْسُ أَفْضَلُ مَا بِالْوَصْلِ يُنْتَمِ
 بِالشَّامِ خَلَقْتُهُمْ ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ إِلَى
 سِوَاهُمْ فَأَعْتَرَانِي بَعْدَهُمْ أَلَمْ
 كَانُوا نَعِيمَ قُورَيْدٍ وَالْحَيَاةَ لَهُ
 وَالْآنَ كُلُّ وَجُودٍ بَعْدَهُمْ عَدَمٌ
 فَإِنْ أَنْشَدَ لِسَانُ الْحَالِ ، فِيمَا اقْتَضَاهُ مَعْنَى الْبُعْدِ عَنْهَا
 وَالْإِزْتِحَالِ :
 يَا غَائِبًا قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبُهُ
 بِسُورَى دِمَشْقَ وَأَهْلِهَا لَا يَمْلُقُ
 إِنْ كَانَ صَدَّكَ نَيْلُ مِصْرِ عَنْهُمْ
 لَا غَرَوْ فَهَوَلْنَا أَلْمَدُوءَ الْأَزْرَقِ^(١)
 أَتَيْتُ فِي جَوَابِهِ ، بِقَوْلٍ بَعْضُ مَنْ بَرَّحَ الْجَوَى بِهِ :
 اللَّهُ دَهْرٌ جَمَعَنَا شَمْلَ لَذَّتِهِ
 بِالشَّامِ أَعْذَبُ مِنْ أَمْنٍ عَلَى فَرْقٍ

(١) أى شديداً بالعداوة و زرقاء الماء كناية عن صفاته فى (الازرق) تورية

مَرَّتْ لِيَالِيَهُوَ الْأَيَّامُ فِي خُلْسٍ^(١)
 كَأَنَّمَا سَلَبَتْهُ كَفُّ مُسْتَرِقٍ
 مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْ لَا تَنَقَّلَهَا
 مِنْ النَّعِيمِ إِلَى ذَلِكَ^(٢) مِنْ الْحَرْقِ
 رَقَّ الْمَذُولُ لِحَالِي بَعْدَهَا وَرَقَّى
 لِي فِي الْجَوَى وَالنَّوَى وَالشَّجْوَى وَالْأَرْقِ
 وَبِالْجُمْلَةِ فَتِلْكَ الْأَيَّامُ مِنْ مَوَاسِمِ الْعُمْرِ مَحْشُوبَةٌ،
 وَالسُّعُودُ إِلَى طَوَالِهَا مَنُشُوبَةٌ :
 وَكَانَتْ فِي دِمَشْقَ لَنَا لَيَالٍ سَرَقْنَاهُنَّ مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ
 جَعَلْنَاهُنَّ تَارِيخَ اللَّيَالِي وَغُنَّوَانِ الْمَسَرَّةِ وَالْأَمَانِي
 وَهِيَ مَنَايِ التَّهَانِي الَّتِي مَا نَسِينَاهَا ، وَأَمَانِي زَمَانِي الَّتِي
 نَعِمْتُ بِطُورِ سَيَانَاهَا ، عَلَيْهَا وَعَلَى وَطَنِي مَقْصُورَةٌ ، وَالْقَلْبُ
 فِي التَّمَنَّى مُقِيمٌ بِهِمَا وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِهِمَا بِالصُّورَةِ ،
 وَالْأَشْوَاقُ إِلَيْهِمَا قَضَايَاهَا مُوجَّهَةٌ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ
 مَحْشُورَةٍ .

(١) الخلة : التهمة ، يقال الفرصة خلة (٢) أي ملتهب : من ذكت النار
 إذا التهب

وَلِلَّهِ عَهْدٌ قَدْ تَقَضَّى وَإِنْ يَمُدَّ
فَأَتَى عَنِ الْآيَامِ أَعْفُو وَأَصْفَحُ
بِقَلْبِي مِنْ ذِكْرَاهُ مَا لَيْسَ يَنْقَضِي

وَمِنْ بُرْهَانِ الشُّوقِ مَا لَيْسَ يَبْرَحُ
إِذَا مَسَحَتْ كَفِّي الدُّمُوعَ لَسْتُ رَا

بَدَتْ زَفْرَةٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ تُقَدِّحُ
فَإِنْ جَمَعَتْ شَمْلِي اللَّيَالِي بِقُرْبِهِمْ

تَجْمَعُ غَيْلَانُ^(١) وَمَيَّ وَصَيْدَحُ^(٢)

عَلَى أَنَّهَا الْآيَامُ جِدُّ مَزَاحِمَا وَرُبُّ مُجَدِّفِي الْأَذَى وَهُوَ يَمْزَحُ
وَكَثِيرًا مَا يَلْهَجُ اللِّسَانُ بِقَوْلٍ مَنْ قَالَ :

وَمَا تَفْضُلُ الْأَوْقَاتُ أُخْرَى لِدَائِمَتِهَا

وَلَكِنَّ أَوْقَاتَ الْحَسَنِ حَسَنُ

وَرَدَّدُ قَوْلٍ مَنْ شَوْفُهُ مُتَجَدِّدُ :

سَقَى مَعَهْدَ الْأَحْبَابِ نَاقِعُ صَبَبٍ

مِنْ الْمُزْنِ عَنْ مَفْنَاهُ لَيْسَ يَرِيمُ^(٣)

(١) هواسم ذي الرمة الشاعر (٢) هواسم ناقة ذي الرمة (٣) أي يتحول

وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ سَاكِنِيهِ فَإِنَّهُ
يُحِلُّ بِهِ خِلَ عَلَى كَرِيمٍ
وَيُنْشِدُ مَنْ يَلُومُ ، قَوْلَ مَنْ فِي حَشَاءُ وَلَهُ وَفِي قَلْبِهِ
كُلُّهُمْ^(١) :

قَدْ أَصْبَحَ آخِرُ الْهَوَى أَوْلَهُ فَلَمَّا ذَلِ فِي هَوَاكَ مَالِي وَلَهُ
بِاللَّهِ عَلَيْكَ خَلٌّ مَا أَوْلَهُ^(٢) وَأَرْحَمَ دَفِئًا لَدَى حَشَاءُ وَلَهُ^(٣)
وَقَدْ أُمْتَدَّ بِنَا الْكَلَامُ ، وَرُبَّمَا يَجْعَلُهُ اللَّاحِي ذَرِيعةً
لِزِيَادَةِ الْمَلَامِ ، فَلَنَرْجِعْ إِلَى مَا كُنَّا بِصَدَدِهِ مِنْ إِجَابَةِ
الْمَوْلَى الشَّاهِنِيِّ - أَمَدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعَدِيدِ قَافُولٍ مُسْتَمِدًّا
مِنْ وَاهِبِ الْقَوْلِ .

إِنِّي شَرَعْتُ بَعْدَ الْإِسْتِقْرَارِ بِمِصْرَ فِي الْمَطْلُوبِ ،
وَكَتَبْتُ مِنْهُ بُذَّةً تَسْتَحْسِنُهَا مِنَ الْمُحِبِّينَ الْأَنْبَاعِ
وَالْقُلُوبِ ، وَسَلَكْتُ فِي تَرْتِيبِهِ أَحْسَنَ أُسْلُوبٍ ،
وَعَرَضْتُ فِي سُوقِهِ كُلِّ نَفِيسٍ غَرِيبٍ مِنَ الْغَرَبِ إِلَى
الشَّرْقِ مُجْلُوبٍ . تَسْتَحْسِنُ الْأَبْصَارُ مَا عَلَيْهِ أُخْتَوَى ،

(١) كلوم : جروح (٢) من التأويل : وهو التفسير (٣) أى شدة الحب

وَتَعْرِفُ الْأَفْكَارُ أَنَّهُ غَيْرُ مُجْتَوَى ^(١) ، ثُمَّ وَقَفَ بِي
مَرْكَبُ الْعَزْمِ عَنِ التَّمَامِ وَأَسْتَوَى ، فَأَخْرَجَهُ تَأْخِيرَ
الْفَرِيمِ ، لِذَيْنِ الْكَرِيمِ . وَصَدَّتْنِي أَغْرَاضٌ ، عَنْ
تَكْمِيلِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَغْرَاضٍ . وَأَضْرَبْتُ بُرْهَةً
عَمَّا لَهُ مِنْ مَنْحَى ، لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الدَّهْرِ نَقْمًا وَدَفْعًا
وَمَنْعًا وَمَنْحًا . وَمَرَقْتُ عَنْ هَدَفِ الْإِصَابَةِ نِبَالًا ،
وَطَرَقْتُ فِي سَدَفٍ ^(٢) لِيَالِي الْكِتَابَةِ أُمُورٌ لَمْ تَكُنْ
تَحْطُرُ بِبَالٍ . فَجَاءَتْنِي مِنَ الْمَوْلَى الْمَذْكُورِ آفَاءٌ ،
رِسَالَةٌ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنِ اتِّجَازِ الْوَعْدِ مُتَجَافِيًا ^(٣) ،
فَعُدْتُ لِقَضَاءِ الْوَطَرِ مُسْتَقْبِلًا وَلِلْجُمْلَةِ مُسْتَأْنِفًا . وَحَدَا
بِي خِطَابُهُ الْجُسِيمُ لِلْإِتْمَامِ وَسَاقِي ، وَرَاقِي كِتَابُهُ
الْكَرِيمُ لِتِلْكَ الْأَيَّامِ وَشَاقِي ، وَذَكَرَنِي تِلْكَ اللَّيَالِي الَّتِي لَمْ
أَنْسَهَا ، وَحَرَّكَنِي لِتِلْكَ الْمَعَاهِدِ الَّتِي لَمْ أَزَلْ أَذْكَرُ أَنْسَهَا
وَالْإِلْفُ لَا يَصْبِرُ عَنْ إِفْهِهِ إِلَّا كَمَا يَطْرَفُ بِالْمَيْنِ
وَقَدْ صَبَرْنَا عَنْهُمْ مُدَّةً مَا هَكَذَا شَأْنُ الْمُجِئِينَ

(١) اجتواه : كرهه وأبغضه (٢) السدف والسدف : الظلمة (٣) أى مائلًا لمرضا

فِيَالَهُ مِنْ كِتَابٍ كَرِيمٍ ، أَغْرَبَ عَنْ وُدِّ صَمِيمٍ ، وَذَكَرَ
بِعَهْدٍ غَيْرِ ذَمِيمٍ ، وَوَدَّ طَيْبَ الْعَرْفِ وَالشَّيْمِ ، يَخْجَلُ
أَبْنُ الْمُعْتَزِّ لِبَلَاغَتِهِ وَأَبْنُ الْمُعِزِّ تَمِيمٌ ^(١)

وَلَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابًا حَوَى بَعْضَ مَا قَدْ حَوَى
كَأَنَّ الْمُبَاسِمَ مِيسَاتُهُ وَلَا مَاتِهِ الْأُشْدَغُ لَمَّا أَلْتَوَى
وَأَعْيَنُهُ كَمُيُونِ الْحَسَنِ تَغَاوَلْنَا عِنْدَ ذِكْرِ الْهَوَى
كِتَابٌ ذَكَرْنَا بِأَنْفَاطِهِ عُهُودًا زَكَّتْ بِالْحَمَى وَاللَّوَى
فَكَانَتْهُ الرُّوضُ الْمَطْرُودُ الْأَنْهَارُ ، وَالْدُّوْحُ الْمُدْبِجُ الْأَزْهَارُ .
رَأَيْنَا بِهِ رَوْضًا تَدْبِجُ وَشَيْءُ إِذَا جَادَ مِنْ تِلْكَ الْأَيَادِي غَمَامُ
بِهِ الْفَاتُ كَالْفُصُونِ وَقَدْ عَلَا عَلَيْهِمَا مِنَ الْهَمَزِ الْمَطْلُ غَمَامُ
وَقَدْ سُقِيتَ بِأَنْهَارِ الْبَرَاةِ السَّلْسَالَةُ ، حَدَائِقُ حَلَّتْ
بِهَا غَايَةُ تِلْكَ الرِّسَالَةِ ، لِنَشْفِي صَبْهَا بِالزِّيَارَةِ ، وَتُشْرِفَ
بِدُنُوهَا دِيَارُهُ :

زَارَتِ الصَّبَّ فِي لَيَالٍ مِنَ الْبُعْدِ فَلَمَّا دَنَتْ رَأَى الصَّبْحَ يَلُحُ
قَلَدْتُ بِالْعَقْيَانِ جِيدَ بِيَانٍ لَيْسَ فِيهِ الْفَتْحُ مِنْ بَعْدِ مُطْمَحٍ ^(٢)

(١) تميم بن الحرّ لدين الله الفاطمي كان شاعراً مجيداً، توفي بمصر سنة ٣٧٤

(٢) في ألفاظ : قلدت ، وعقيان ، والفتح ، ومطمح ، تورية وتوجيه
باسم الفتح بن خاقان الاندلسي وكتابه قلادت العقيان ومطمح الانفس

فَشَفَّتِ النَّفْسَ مِنْ آلَامِهَا ، وَأَخِيَتْ مَيْتَ الْهَوَى مُذْ
حَيْثُ بِمَذْبِ كَلَامِهَا :

كَلَامٌ كَالْجَوَاهِرِ حِينَ يَبْدُو وَكَالْمُذْ^(١) الْعَبِيرِ إِذَا يَقُوحُ
لَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَلْفَاظِ جِسْمٌ وَلَكِنَّ الْمَعَانِي فِيهِ رُوحٌ
فَصَيَّرَتْ لِي ذَلِكَ الْكِتَابَ سَمِيرًا ، وَوَرَدَتْ مِنْ
الْمُتَرَوِّرِ مَشْرَعًا تَمِيرًا ، وَتَمَثَّلَتْ بِقَوْلِ بَعْضٍ مَنْ أَخْلَصَ فِي
الْوُدِّ ضَمِيرًا :

يَأْمُرُ دَا أَهْدَى إِلَى كِتَابِهِ جُجَلًا يَحَارُ الذَّهْنُ فِي أَمْنَانِهَا
كَالْمُذْ أَشْرَقَ فِي سُطُوطِ عُقُودِهِ

وَالزَّهْرُ وَالْأَنْوَارُ^(٢) غِيبَ سَمَانِهَا
فَأَفَادَنِي جَذَلًا وَبَالِي كَاسِدُ

وَأَجَارَ نَفْسِي مِنْ جَوَى بُرَحَانِهَا^(٣)
وَحَسِبْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ رَجَعْنَ لِي

فَلَبِسْتُ حُلِيَّ جَمَالِهَا وَبَهَائِهَا

(١) الذم : عود يتبخر به وضرب من الطيب يدخن به ، ويقال للعنبر الذم ،
وفي بعض نسخ الأصل : وكالذم للعنبر اذيقوح ، والعنبر نوع من الطيب يجمع
من أخلاط - وقيل هو الزعفران (٢) جمع نور : هو الزهر أيضا عند
بعض المتأخرين . والغيب : العاقبة . والمراد بالنساء اللطيف (٣) البرحاء : شدة
الاذى والشقة

لَا يَلْعَدُّمُ الْإِخْوَانُ مِنْكَ مَحَاسِنًا
كُلُّ الْمَفَاخِرِ قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهَا
فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ كِتَابٍ جَاءَ مِنَ السَّرِيِّ الْعَلِيِّ، وَالْمَاجِدِ
الْأَخِ الْوَلِيِّ:

فَضَضْتُ خِتَامَهُ فُتِّبِنْتُ^(١) لِي مَعَانِيهِ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ
وَكَانَ اللَّهُ فِي عَيْنِي وَأُنْدَى عَلَى كِبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ
وَضُمِّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمِّنْ صُدُورُ الْغَايَاتِ مِنَ الْجَلِيِّ
وَأَعْرَبَ عَنِ اعْتِمَادِ مُتَمَادٍ، وَوَدَادِ مُزْدَادٍ، وَأَطَابَ
حِينَ أَطَالَ، وَأَدَّى دِينَ الْفَصَاحَةِ دُونَ مِطَالٍ. وَاشْتَمَلَ مِنْ
فُصُولِ الْعِبَارَةِ عَلَى أَحْسَنَ مِنَ الْخُذْقِ الْمِرَاضِ، وَأَتَى مِنْ
أُصُولِ الْبَرَاغَةِ بِبِرَاهِينِ ابْنِ شَاهِينَ الَّتِي لَا خُلْفَ فِيهَا
وَلَا اعْتِرَاضَ. وَرَوَيْنَا مِنْ غَيْثِ أَنْامِلِهِ الْهَتُونِ^(٢)، وَرَوَيْنَا
عَنْهُ مُسْنَدَ أَحْمَدَ حَسَنَ الْأَسَانِيدِ وَالْمُتُونِ. وَحَثْنَا عَلَى
الْعَوْدِ وَالرُّجُوعِ، وَكَانَ أَجْدَى مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ لِذِي ظَلَمٍ
وَالْمُشْتَهَى مِنَ الطَّعَامِ لِذِي سَغَبٍ^(٣) وَجُوعٍ:

(١) ويروى : فتبلجت لي غرائبه عن الخبر الجلي

والايات من قصيدة لابي تمام يمدح بها الحسن بن وهب

(٢) أى للنصب للقتايح (٣) الدغب : الجوع الشديد

وَأَشْعَى فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَمَانِي
وَأَخْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْهُجُوعِ
وَجَلَا بِنُورِهِ ظِلَامَ اسْتِيحَاشِي ، وَحَشَرَ إِلَى أَشْتَاتِ
الْمَسَرَّاتِ دُونَ أَنْ يُحَاشِي . وَوَجَدَنِي فِي مُكَابَدَةِ شُغُوبٍ ^(١) ،
وَأَشْفَالٍ أَشْرَبَتْ الْقَلْبَ الْكَسَلَ وَاللُّغُوبَ ^(٢) . وَحَيَّرَتْ
الْخَوَاطِرَ ، وَصَيَّرَتْ سُحْبَ الْأَقْلَامِ غَيْرَ مَوَاطِرَ . فَزَحَزَحَ
عَنِّي الْقُغُومَ وَسَلَّانِي ، وَأَوْلَانِي - شَكَرَ اللَّهُ صَنِيعَهُ - فِي
الْمَسَرَّاتِ مَا أَوْلَانِي :

حَدِيثُهُ أَوْ حَدِيثُ عَنْهُ يُطْرُقُنِي
هَذَا إِذَا غَابَ أَوْ هَذَا إِذَا حَضَرَ
كِلَاهُمَا حَسَنٌ عِنْدِي أَسْرُ بِهِ
لَكِنَّ أَحْلَاهُمَا مَا وَافَقَ النَّظْرَا

وَقَالَ آخَرُ :

لَسْتُ مُسْتَأْنِسًا بِشَيْءٍ إِذَا غَبَ
مَتَّ سِوَى ذِكْرِكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ

(١) جمع شغب ، وهو تهيج الشر والفتنة والحصام والحلاف (٢) اللغوب :
التعب الشديد

أَنْتَ دُونَ الْجُلَاسِ عِنْدِي وَإِنْ كُنْ

تَ بَعِيدًا فَلَا أَنْسُ مِنْكَ قَرِيبَ

وَضَمَنْتُ فِيهِ لَمَّا وَرَدَ مَعَ مُجَلَّةٍ كُتِبَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ،

وَأَنوَارُ أَهْلِهَا ذَوِي الْفَضَائِلِ الشَّهِيرَةِ أَظْهَرُ مِنْ شَمْسِ

الظَّهِيرَةِ فِي السَّمَاءِ الصَّاحِيَةِ :

قُلْتُ لَمَّا أَتَيْتُ مِنَ الشَّامِ كُتِبَ مِنْ أَجَلَاءِ نُورِهِمْ يَتَأَلَّقْنَ

مَرْحَبًا مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِعِيُونٍ رَأَتْ عَاسِينَ جِلْقَ

وَقُلْتُ أَيْضًا :

قُلْتُ لَمَّا وَافَقْتُ مِنَ الشَّامِ كُتِبَ

وَاللَّيَالِي تُتَبَّحُ قُرْبًا وَبُعْدًا

مَرْحَبًا مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا

بِعِيُونٍ رَأَتْ عَاسِينَ سَعْدِي

وَكَانَ مِنْ فُضُولِ هَذَا الْكِتَابِ الْوَارِدِ ، مِنْ أَمَوَلَى

الشَّاهِينِ الَّذِي أَقْتَنَصَ بِفَضْلِهِ كُلَّ شَارِدٍ ، مَا نَصَّهُ : وَمِمَّا اسْتَخْلَصَ

قَلْبِي مِنْ يَدَي تَرْحِي ، وَجَدَّدَ سُورِي وَنَبَّهَ فَرَجِي ، حَدِيثُ

الْكِتَابِ وَمَا حَدِيثُ الْكِتَابِ ؟ حَدِيثُ نَسَخَ بِحُلَاوَتِهِ

مَرَارَةَ الْعِتَابِ ، وَأَنْسَانِي حَرَارَةَ الْمُصَابِ فِي الْأَنْسَالِ^(١)
وَالْأَعْقَابِ . وَقَضَى بِهِ مِنْ حَقِّ لِسَانِ الدِّينِ ، دَيْنَهُ الَّذِي تَبَرَّعَ
بِهِ غَرِيمٌ مَلِيٌّ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَدِينٍ ، حَتَّى كَأَنِّي
يَأْسِدِي هَذِهِ الْبُشْرَى ، أَخْرَزْتُ سِوَارِي كِسْرَى . وَكَانَ فِي
مَسْمَعِي كُلِّ حَرْفٍ إِلَيْهَا مَنْسُوبٌ ، قَبِصَ يُونُسَ فِي أَجْفَانِ
يَعْقُوبَ . وَحَتَّى كَذْتُ أَهْجُرُ أَهْلِي وَيَتِي ، وَأُسْرِجُ
لَا سِتْقَالَ هَذِهِ الْبُشْرَى أَشْهِي^(٢) وَكُمَيْتِي^(٣) . وَحَتَّى أَنِّي حَارَبْتُ
نُوزِي وَنُوزِي ، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَرْجُلَ نَاقَتِي فِي وَقْتِي وَيُونُزِي .
وَإِنَّ ذَلِكَ التَّلْغِيسَ^(٤) وَالتَّهْجِيرَ^(٥) ، فِي جَنْبِ مَا بُشِّرْتُ بِهِ
لَحَقِيرٌ ، وَإِنَّ مَوْقِعَهَا لَدَى هَذَا الْعَبْدِ الْحَقِيرِ لَخَطِيرٌ ، وَقَدْ
كُنْتُ سَأَلْتُ شَيْخِي حِينَ وَرَدَ دِمَشْقَ الشَّامِ ، وَأَشْتَمَ مِنْهَا
الْعَرَارُ وَالْبَشَامَ^(٦) ، وَشَرَّفَنِي ، فَعَرَّفَنِي ، وَشَاهَدَنِي ، فَمَا هَدَنِي ، عَلَى

(١) جمع نسل . والانسال والاعقاب : الذرية (٢) الفرس يقب بياضه
على سواده أو يخالط بياضه سواد (٣) الكميت من الخيل : الذي خالط
حمرته سواد (٤) غلس القوم : ساروا بغلس وهو آخر الليل (٥) هجر القوم :
ساروا في الهجرة (٦) البشام بفتح الباء : شجر عطر الرائحة يستاك به يدانه

أَنْ يُجْرِيَ مَا دَارَ يَنَنَّا لَدَى الْمُجَاوَرَةِ ، مِنْ الْمُشَاوَرَةِ
وَالْمُحَاوَرَةِ ، فِي دِيَابَجَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، الَّذِي قَتَنَ الْمُقُولَ
خَبْرُهُ وَسَحَرَ الْأَلْبَابَ ، وَمَا قَصَدْتُ إِلَّا أَنْ يُجْرِيَ أَسْمَى
عَلَى قَلْبِهِ ، وَيَرْفُثَ رَسْمِي فِي مَطَاوِي تَحْرِيرِهِ وَرَقْمِهِ ،
وَيَكُونُ ذِكْرِي مُتَحَلِّطًا بِذِكْرِهِ ، كَمَا أَنَّ سِرِّي مُرْتَبِطٌ فِي
الْمَحَبَّةِ بِسِرِّهِ . فَرَأَيْتُ شَيْخِي لَمْ يَتَّصِدْ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْبُشْرَى ،
لِمَا يُفْهِمُنِي بِالذِّكْرِ لِأَنْتَظِرَ النَّجَاحَ فِي الْأُخْرَى . وَلَمْ
يُسَاعِدْنِي عَلَى ذَلِكَ الْمُتَمَسِّ ، وَحَبَسَ عِنَانَ الْقَلَمِ فَاحْتَبَسَ .
فَانْكَسَرَتْ سَوْرَةٌ سُورِي بِفُتُورِي ، وَتَبَيَّنَ لِنَفْسِي عَنْ
بُلُوغِ ذَلِكَ الْأَمَلِ تَخَلُّفِي وَقُصُورِي : انْتَهَى

(ثُمَّ قَالَ) بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ لَمْ نَذْكُرْهُ لِمَدَمِ تَعَلُّقِهِ
بِهَذَا الْفَرَضِ مَا صُورَتْهُ : وَحَسِبْتُ أَنَّ سَيِّدِي وَحَاشَاهُ ،
نَسِيَ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ . وَظَنَنْتُ بِهِ الظُّنُونِ ، لِأُمُورٍ تَكُونُ
أَوَّلًا تَكُونُ . وَهَلْ يَكْرَهُ سَيِّدِي وَشَيْخِي أَنْ يُهْدَى
الذُّنْيَا فِي طَبَقٍ ، ثُمَّ الْأُخْرَى عَلَى ذَلِكَ النَّسَقِ . وَلَا شَكَّ

أَنَّ حَظَّهُ هُوَ الرُّوضَةُ الْفَنَاءُ^(١)، لَا يَلْ جَنَّةُ الْمَأْوَى، فَطُوبَى
لِنَفْسِي إِنْ جَنَّتْ ثَمَرَتُهُ طُوبَى، وَلَعَمْرُؤُ شَيْخِي إِنِّي بِذَلِكَ
لَجَدِيرٌ، وَإِنِّي كُنْتُ أُمْلِكُ بِهِ الْخُورَنَقَ^(٢) وَالسَّيْرَ. انْتَهَى
مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَرَضِ مِنْ هَذَا الرَّقِيمِ، الَّذِي شَكَلَ مَنْطِقَهُ
غَيْرُ عَقِيمٍ، سَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِي وَبَيْنَ وَجْهِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.
وَأَتَى فِي الْمَكْتُوبِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ، مِمَّا تَرَكْتُ
ذِكْرَهُ هُنَا لِعَدَمِ تَعَلُّقِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْخَاصِّ الَّذِي يُسَرُّ
لِكَارِعِ الْأَدَبِ مَسَاغَةً. وَخَتَمَهُ بِقَصِيدَةٍ تَقْسِمُهُ مِنْ نَظْمِهِ
يَسْتَنْجِزُ فِيهَا ذَلِكَ الْوَعْدَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ حَازَ فِيهَا قَصَبَ
السُّبْقِ وَالْمَجْدِ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدًا^(٣)، وَهَذِهِ
صُورَتُهَا:

يَاسَيْدًا أَفْدِيهِ بِالْأَكْثَرِ مِنْ أَصْغَرِ الْعَالَمِ وَالْأَكْبَرِ
وَيَا وَحِيدًا قُلْ^(٤) قَوْلِي لَهُ: عِطَارِدُ أَنْتَ مَعَ الْمُشْتَرَى
وَيَا مُجِيدًا لَيْسَ عِنْدِي لَهُ إِلَّا مَقَالُ الْمَادِحِ الْمُكْثَرِ

(١) الفناء: التي تغرد طيورها و (حظه) قد تكون محرفة عن (خطه)
كما قال أبو الفتح البستي:

خطه روضة وألفاظه الأثر هار يضحك والمانى الثار

(٢) قصران. للنعمان بن النضر (٣) عجز بيت للأحطية صار مثلاً في
الصدق، وصدرة: وتمناني أفناء سعد عليهم (٤) عطارد والمشتري: كوكبان
سياران. وعطارد عند الأقدمين كوكب الكتاب

أَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي حَجَّتْ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْمَشْعَرِ
 مَا لِلْعَمَلِ وَالْعِلْمِ إِلَّا أَبُو الْعَبَّاسِ شَيْخِي أَحْمَدُ الْقَمَرِيُّ
 ذَاكَ الَّذِي آثَرَنِي مِنْهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي لِلْغَيْرِ لَمْ يُؤَثِّرْ
 وَخَصَّنِي مِنْهُ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَقْرُ بِهَا غَيْرِي وَلَمْ يَغْتَرِ
 فَرُخْتُ عَبْدًا ذَا وَقَاءَ لَهُ مُعْتَرِفًا بِالرُّقِّ لَا أُمْتَرِي^(١)
 فَيَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا مَنْ غَدَا أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ مَعْشَرِي
 وَمَنْ إِذَا مَا غَابَ عَنِّي نَاطِرِي كَانَ سَمِيرَ الْقَلْبِ لِلْمَحْضَرِ
 هَاتِ أَفْذِنِي سَيِّدِي عَنِّي غَلَا لِمَوْلَى لِسَانِ الدِّينِ ذَاكَ السَّرِيِّ
 ذَاكَ الْوَحِيدُ الْفَذُّ فِي عَصْرِهِ بَلْ أَوْحَدُ الْأَذْهَرِ وَالْأَعْصَرِ
 ذَاكَ الَّذِي أَخْبَرَنِي سَيِّدِي عَنْهُ مَزَايَا بَعْدَ لَمْ تُحْصَرِ
 ذَاكَ الَّذِي الْعَيْتُوقُ^(٢) لَا يَعْتَلِي إِلَى مَعَالِيهِ وَلَا يَجْتَرِي
 مَا قَدْ وَعَدْتَ الْعَبْدَ فِي جَمْعِهِ مِنْ خَيْرٍ عَن فَضْلِهِ مُسْفِرِ
 بِحَظِّكَ الْوَضَّاحِ وَهُوَ الَّذِي خَبَرُهُ يُرْبِي عَلَى الْمَنْظَرِ
 وَالشَّيْءُ لَا يُرْجَى إِذَا مَا غَدَا مُنْظَرُهُ يُرْبِي عَلَى الْمَخْبَرِ

(١) الامتراء : الشك والجورال على مذهب التشكك والريبة (٢) هو نجم
 أحمر مضى في طرف الهجرة الأيمن يتلو التريا لا يتقدمها ويطلع قبل الجوزاء
 سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء التريا

نَقَشَ^(١) عَلَى طَرَسٍ بَيَاضٍ كَمَا لَاحَتْ عُيُونُ الرَّشَاءِ^(٢) الْأَخْوَرِ
وَأَسْطَرُ قَدْ سَلَسِلَتْ مِثْلَ مَا لَاحَ عِذَارُ الشَّادِنِ^(٣) الْأَخْضَرِ
وَتَرْهَةُ الْأَنْفُسِ مَعْنَى غَدَا مَا يَنْهَى يَنْسَابُ كَالْكَوْثَرِ

عَذْبٌ رَقِيقٌ مِثْلُ ظَلِي غَدَا

يَلُوحُ طَاوِي الْكَشْحِ أَوْجُوذُ^(٤)

آثَارُ أَقْلَامِكَ وَهِيَ الَّتِي أَغْنَتْ عَنِ الْأَبْيَضِ^(٥) وَالْأَسْمَرِ
بِرَاغِكَ الْجَامِعُ رَاوٍ غَدَا

يَرَوِي اللَّغْنَى عَنْ لَفْظِكَ الْجَوْهَرِي

يَنْثُرُ مِسْكَ تَارَةً نَاطِلًا وَيَنْظِمُ الْجَوْهَرَ بِالْمَنْبَرِ
هَذَا ابْنُ شَاهِينَ أَلْفَى أَحْمَدَ عَنْ ذِكْرِكَ أَلْمَأُثُوسِ لَمْ يَفْتُرْ
فَاجْعَلْ لَهُ ذِكْرًا كَرِيمًا بِهِ يَزْدَانُ مَغْبُوطًا إِلَى الْمَحْشَرِ

(١) ويجوز أن يكون (نقش) أي جبر وهو المداد الذي يكتب به وهذا يناسب
التشبيه بعده (٢) هو الغزال . والخور شدة بياض العين وشدة سوادها
(٣) الشادن من أولاد الأطباء الذي قوى واستغنى عن أمه . قال المتنبي :
رحلت فكم باك بأجفان شادن على وكم باك بأجفان ضيف
(٤) هو ولد البقرة الوحشية وتشبهه بالحنان لجمال عيونه . قال عدي بن
الرقاع العامل :

وكانها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وقال الأخطل : ترنو بمقلة جوذر بحميلة وبمشرق بهج وجيد غزال
(٥) يريد بالأبيض السيف ، وبالأسمر الرمح

وَأَذْكُرُ يُونَتَانِي وَكُلَّ الَّذِي كَتَبْتُهُ نَحْوَكَ فِي دِفْتَرِي
 أَنْتَ جَدِيرٌ بِمَدِيحِي فَكُنْ ذَاكِرَ عَبْدٍ بِالْوَقَا أَجْدَرِ
 وَهَذَا كَمَا سَيَّارَةٌ أَعْنَقَتْ^(١) عَلَى جَوَادٍ كَانَ لِلْبُخْتَرِي
 طَرَفِ كَرِيمٍ سَابِقِ صَافِينَ^(٢) مُطَهَّمٍ^(٣) ذِي أَدَبٍ أَوْفَرِ
 وَرِثْتُهُ مِنْهُ وَلَكِنَّمَا مِنْ شَاعِرٍ وَاقٍ إِلَى أَشْعَرِ
 مَا لَفَتِي الطَّائِي شَوْطُ أَمْرِي بِصَطَادُ نَسْرٍ أَلْجَوْ بِالْمُنْصَرِ^(٤)
 وَأَسْلَمَ لِعَبْدٍ لَا يَرَى سَيِّدًا سِوَى الَّذِي فِي نَوْبِكَ الْأَطْهَرِ
 فِي كَرَمِ الْمُنْصَرِ فَرَدًا غَدَا طَبْعُكَ فَاشْكُرْ كَرَمَ الْمُنْصَرِ
 مَاحِنٌ مُشْتَاقٌ أَخُو صَبْوَةٍ إِلَى خَلِيلٍ فِي الْهَوَى مُفَكِّرِ
 فَلَمَّا وَصَلَنِي هَذَا الْخُطَابُ، الَّذِي مَلَأَ مِنَ الْفَصَاحَةِ
 الْوِطَابَ، وَحَلَّى^(٥) عَيْنِي وَقَلْبِي وَطَابَ، تَحَرَّ كَتَدَوَاعِي الْوَجْدِ
 لِذَلِكَ الْمَجْدِ . الَّذِي وَلِعْتُ بِهِ وَلَوْ عَ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ^(٦)

(١) العنق : السر السريع . قال الشاعر :

يَانَا قَسِيرِي عَنَّا فَا سِيحَا إِلَى سَابِغَانِ فَتَسْتَرِيحَا

(٢) الطرف : الجواد الكريم من أصائل الخيل ، والشافين من الخيل : القائم على ثلاث (٣) الجواد اللطيف : تام الحسن (٤) المنسر لسباع الطير بمنزلة المنقار اغبرها ، وقطعة من الجيش الكبير تمر فدامه ، والمنسر أيضا جماعة الخيل - وأظنه يريد بالفتي الطائي أبا تمام ، وبأمرى يصيد الخمر أبا القيس - فانظر (٥) لعله : وحلى في عيني ، يقال حل الشيء بعيني وقلبي يحل ، وحلا يحلوا إذا أعجبك (٦) يشير إلى قول ابن الدمينية :

أَلَا يَأْبَا نَجْدَ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكُ وَجْدَا عَلَى وَجْدِ

بِصَبَابٍ نَجْدٍ ، وَأَثَارٍ مِنَ الْهَيْامِ وَالْأَوَارِ ، مَا يَزِيدُ عَلَى مَا حَصَلَ
لِلْفَرَزْدَقِ لَمَّا فَارَقَ^(١) النَّوَارَ ، وَلَضَاعَفَ الشَّوْقُ إِلَى تِلْكَ
الْأَنْجَادِ وَالْأَغْوَارِ ، مُنْشِدًا قَوْلَ الْأَوَّلِ لَمَّا أَبَى الْمَغْوَارِ .
وَتَذَكَّرْتُ - وَالَّذِي كَرَى شُجُونَ وَأَطْوَارَ - تِلْكَ الْأَضْوَاءِ
وَالْأَنْوَارِ ، الْمُشْرِقَةَ بِقَطْرِ أَزْهَرِ بِالْمَحَاسِنِ ، وَجَرَى نَهْرُهُ
غَيْرَ آسِنٍ ، فَلَمْ يَذُمَّ فِيهِ الْجَوَارُ

وَإِنْ أَصْطَبَارِي عَنْ مَعَاهِدِ جِلْقِ

غَرِيبٍ ، فَمَا أَجْنَى الْفِرَاقَ وَأَجْفَانِي !

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا لَوْ ظَفِرْتُ بِتُرْبِهَا

كَحَلَّتْ بِهَا مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ أَجْفَانِي

وَحَصَلَ التَّصْمِيمُ ، عَلَى التَّكْمِيلِ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّسْمِيمِ ،

رَعِيًّا لِهَذَا أَوْلَى الْحَلِيمِ ، أَفَاضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ غَيْثَ الْبُرِّ

الْعَمِيمِ . وَأَبْقَى ظِلَّ عِزِّهِ مَمْدُودًا ، وَحَلَى سُودُودِهِ مَوْدُودًا ،

وَأَنَالَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا لَيْسَ مَحْصُورًا وَلَا مَمْدُودًا ،

(١) نوار كانت زوجا للفرزدق فطلقها وتبعها نفسه فندم ، ثم قار في ذلك :

ندمت ندامة الكسبي لما غلت مني مطلقه نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وَجَمَعَنِي وَإِيَّاهُ ، وَأَظْلَمَنِي بِشَرِّ مُحِبِّيهِ ، وَأَنْشَقَنِي عَرَفَ
أَجْمَاعِهِ وَرَبِّيَّاهُ ، وَكَيْفَ لَا أَسْتَدِيمُ أَمَدَ بُقْيَاهُ ، وَأَعْتَقِدُ
الْبَشَارَ فِي لُقْيَاهُ ، وَأَسْتَقِي غُرُوسَ الْوُدِّ بِسُقْيَاهُ ؟ وَهُوَ
الصَّدْرُ الَّذِي أَصْقَى لِي الْوِدَادَ ، وَالرُّكْنُ الَّذِي لِي بِثُبُوتِهِ
اعْتِمَادٌ وَأَعْتِدَادٌ

فَعَلَيْهِ مِنْ مُصْنِي هَوَاهُ تَحِيَّةٌ كَالْمِسْكِ لَمَّا فَضَّ عَنْهُ خِتَامُ
تَتَرَى بِسَاحَتِهِ السَّيِّئَةَ مَادَعَتْ فَوْقَ الْفُصُونِ هَدِيلَهُنَّ^(١) حَمَامُ
وَدَامَتْ فَضَائِلُهُ ظَاهِرَةً كَالشَّمْسِ ، مَحْرُوسَةً بِالسَّبْعِ
الْمَثَانِي^(٢) مُعَوَّذَةً بِالْخُمْسِ^(٣)

(١) الهديل : فيما زعم العرب حمام هلك من عهد بعيد ، فكل حمامة
تبكى عليه حتى القيامة وتدعو هديلا هذا في بكائها وترجييعها ، وإلى هذا
يشير المعري بقوله :

يَابَنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْمَدُنْ أَوْعِدْ نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْأَسْعَادِ
إِيَّاهُ اللَّهُ دَرَكُنْ فَأَتْنِمْ مِ الْوَاتِي يَعْرِفُنْ حَفْظَ الْوَدَادِ
مَانِسِتْنِ هَالِكَا فِي الزَّمَانِ الْ خَالِ أَوْدِي مِنْ قَبْلِ هَلِكِ الْيَادِ

(٢) هي الفاتحة . سميت بذلك لأنها سبع آيات بالاجماع ، ومثاني لأن
نصفها ثناء على الله تعالى والنصف الآخر دعاء من العبد . وقيل لثنيتها إياك في
قوله إياك نمد الخ وثنيتها كلمة الصراط الخ (٣) لعله يريد بها الصلوات
الخ اذ أنها معاذ من النار ، وقد ورد أن خير ما يستعاذ به عند الكرب
من القرآن المعوذتان ، وفي رواية « وقل هو الله أحد » وسورة الفلق
آياتها خمس ، فلهذا يريد بها

وَلَا أَتُفَكِّ مَا يَرْجُوهُ أَقْرَبَ مِنْ غَدٍ

وَلَا زَالَ مَا يَخْشَاهُ أَبَعَدَ مِنْ أَمْسٍ

وَبَقِيَ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَرَمٍ أَمِينٍ . آمِينَ .

وَلَمَّا حَصَلَ لِي كَمَالُ الْأَغْتِبَاطِ ، بِمَا دَلَّ عَلَى صِحَّةِ حَالِ

الِإِزْتِبَاطِ ، نُشِرَ بِسَاطُ الْأَنْبِسَاطِ ، وَحَدَّثَتْ لِي قُوَّةُ النَّشَاطِ ،

وَأَنْقَشَتْ عَنِّي سَحَابُ الْكَسَلِ وَأُنْجَبَتْ ، وَنَادَيْتُ

فِكْرَتِي فَلَبَّتُ مَعَ ضَعْفِهَا وَأَجَابَتْ ، فَاقْتَدَحْتُ مِنَ الْقَرِيحَةِ

زَنْدًا كَانَ شَحَاحًا ، وَجَمَعْتُ مِنْ مُقَيَّدَاتِي حِسَانًا وَصِحَاحًا ،

وَكُنْتُ كَتَبْتُ شَطْرَهُ ، وَمَلَأْتُ بِمَا تَسَّرَ هَامِشُهُ وَسَطْرُهُ ،

وَرَقَمْتُ مِنْ أَنْبَاءِ لِسَانِ الدِّينِ ابْنَ الْخَطِيبِ جُلَلًا لَا تُخْلِقُ^(١)

جِدَّتَهَا الْأَعْصُرُ ، وَسَلَكْتُ مِنَ التَّعْرِيفِ بِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

مَهَامِهِ^(٢) تَكْلُفٌ فِيهَا وَاسِعَاتُ الْخُطَا^(٣) وَتَقْصُرُ ، فَحَدَّثَ لِي

بَعْدَ ذَلِكَ عَزَمٌ عَلَى زِيَادَةِ ذِكْرِ الْأَنْدَلُسِ مُجْمَلَةً وَمَنْ كَانَ

يُعْضِدُهُ الْإِسْلَامُ وَيُنْصُرُ ؛ وَبَعْضُ مَفَاخِرِهَا الْبَاسِقَةِ ، وَمَا ثَرِ

(١) خلق الثوب: بلى وأخلفته: أبليته. أى لا تبلى جدتها الا زمان. وجدة الشيء

كونه جديدا (٢) هو جمع مهمم : وهو الفلاة الواسعة (٣) واسعات الخطا :

الابل الشديدة ، أو يريد الخطا الواسعة ، وأسند السكال اليها مجازا

أَهْلَهَا الْمُنَاسِقَةَ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَوْفِيهِ الْقَلَمُ وَلَا يُحْصَرُ،
وَجِئْتُ مِنَ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ بِبُذَّةٍ تُوضَعُ لِلطَّالِبِ سُبُلُهُ ،
وَتُظْهِرُ عِلْمَهُ وَنُبْلَهُ ، وَتُتَرَعُ ^(١) كَأَنَّ عُحَاسِيْنَهُ مِنْ رَاحِ
الْمُذَاكِرَةِ وَإِنَاؤُهُ ، حَتَّى يَرَى حُسْنَ هَذَا التَّأْلِيفِ أَبْنَاءَ هَذَا
التَّصْنِيفِ وَأَدْبَاؤُهُ . وَكُنْتُ فِي الْمَغْرِبِ وَخِلَالِ الشَّبَابِ
ضَافِيَةً ^(٢) ، وَسَمَاءَ الْأَفْكَارِ مِنْ قَزَعٍ ^(٣) الْأَكْدَارِ صَافِيَةً ،
مُعْتَنِيًا بِالْفَحْصِ عَنْ أَبْنَاءِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَخْبَارِ أَهْلِهَا
الَّتِي تَنْشِرُحُ لَهَا الصُّدُورُ وَالْأَنْفُسُ . وَمَا لَهُمْ مِنَ السَّبْقِ
فِي مِيزَانِ الْعُلُومِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ الظُّلُمِ ، وَمَحَاسِنِ
بِلَادِهِمْ ، وَمَوَاطِنِ جِدَالِهِمْ وَجِلَادِهِمْ ^(٤) ، حَتَّى أَقْتَنَيْتُ مِنْهَا
ذَخَائِرَ يَرْغَبُ فِيهَا الْأَفَاضِلُ الْأَخَايِرُ ^(٥) ، وَأَتَقَنَيْتُ جَوَاهِرَ
فَرَائِدِهَا لِلْمَقُولِ بَوَاهِرُ ، وَأَتَقَلَّفْتُ أَزَاهِرَ أَنْجُمِهَا فِي أَفُقِ

(١) أترع الكاس: ملامها (٢) أى وارقة، وتقول توبضاف أى طويل سانع
(٣) أى قطع من السحاب متفرقة رفاق كأنها ظل اذا مرت من تحت السحابة
الكبيرة ، وما فى السماء قزعة : أى قطعة من النجم (٤) الجلال والمجادة :
المصادمة والمبارية (٥) الأخابر جمع أخبر نحو أفضل وأفاضل

الْمُحَاصِرَةِ زَوَاهِرُ ، وَحَصَلَتْ فَوَائِدُ بَوَاطِنَ وَطَوَاهِرَ ،
 طَالَمَا كَانَتْ أَعْيُنُ الْأَلْبَاءِ لِنَيْلِهَا سَوَاهِرَ . وَجَمَعْتُ -
 مِنْ ذَلِكَ كَلِمًا غَالِيَةً لَوْ خَاطَبَ بِهَا الدَّاعِي صُمُّ الْجَلَامِيدِ
 لَا نَبْجَسَ ^(١) حَجَرُهَا ، وَحِكْمًا غَالِيَةً لَوْ عَامَلَ بِهَا الْأَيَّامُ
 رُبِحَ مُتَجَرِّمُهَا ، وَأَسْجَاعًا تَهْتَرُّ لَهَا الْأَعْطَافُ ، وَمَوَاعِظُ
 يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهَا مَنْ حَفَّتْ بِهِ الْأَلْطَافُ . وَقَوَافِي ، مَوْفُورَةٌ ^(٢)
 الْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي ، يُثْنِي عَلَيْهَا مَنْ سَلِمَ مِنَ الْغَبَاوَةِ وَالصَّمِّ ،
 وَيَعْتَرِفُ بِرَاعِيَتِهَا مَنْ لَا يَمْتَرِيهِ اللَّهُمَّ ^(٣) . وَطَالَمَا
 أَعْرَضَ الْجَاهِلُ الْمُمَرُّ بِوَجْهِهِ عَنْ مِثْلِهَا وَأَشَاحَ ^(٤) ، وَأَنْصَتَ
 لَهَا الْخَبِيرُ أَنْصَتَ السُّوَارِ لِحَرْسِ ^(٥) الْحَلِيِّ وَلَنَمِ الْوُشَاحُ .
 وَفَرِحَ إِنْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَرَحَ الصَّائِدِ بِالْقَيْصِ ،
 وَالسَّارِي الْعَارِي ذِي الْبَطْنِ الْخَمِيصِ ^(٦) بِالزَّادِ وَالْقَمِيصِ .
 وَتَرَكْتُ الْجَمِيعَ بِالْمَغْرِبِ ، وَلَمْ أَسْتَضِجِبْ مَعِيَ مِنْهُ
 مَا يَبِينُ عَنِ الْمَقْصُودِ وَيُعْرِبُ ، إِلَّا تَزَرًّا يَسِيرًا عَلِقَ

(١) انبجس : تفجر منه الماء (٢) قد تكون (موفورة) أى تامة كاملة
 قوية (٣) اللهم ، جنون خفيف يلم بالانسان ، يقال به لم أى جنون خفيف
 (٤) أشاح عنه : أعرض ، وانهمر : الجاهل الغرير المحرب للأمور ، ومن
 لا غناء عنده ولا رأى (٥) الجرس : الصوت ، وأجرس الحلى : سمع له صوت
 مثل صوت الجرس (٦) الخميص : الجائع

بِحَفِظِي ، وَحَلَيْتُ بِحَوَاهِرِهِ جِيدَ لَفْظِي ، وَبَعَضَ أَوْرَاقِي
 سَعِدَ فِي جَوَابِ السُّؤَالِ بِهَا حَظِّي . وَلَوْ حَضَرَنِي الْآنَ
 مَا خَلَفْتُهُ ، مِمَّا جَمَعْتُ فِي ذَلِكَ الْفَرَضِ وَالْفَتْهُ ، لَقَرَّتْ بِهِ
 عُيُونُ وَسُرَّتْ أَلْبَابُ ، إِذْ هُوَ - وَاللَّهِ - الْغَايَةُ فِي هَذَا
 الْبَابِ ، وَلَكِنَّ الْمَرْءَ ابْنُ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ ، وَكُلُّهُ يُنْفِقُ
 عَلَى قَدَرِ وَسْعِهِ وَأُسْطِطَاعَتِهِ . وَعُذْرُ مِثْلِي بَادٍ ، لِلْمُنْصِفِينَ
 مِنَ الْعِبَادِ ، إِنْ قَصَرْتُ ، فِيمَا تَبَصَّرْتُ ، أَوْ تَخَلَّفْتُ ، فِي الَّذِي
 تَكَلَّفْتُ ، أَوْ أَضَعْتُ ، تَحْرِيرَ مَا وَضَعْتُ ، وَالتَّقَمُّتُ ثَدَى
 التَّقْصِيرِ وَرَضَعْتُ ، أَوْ أَطَعْتُ دَاعِيَ التَّوَانِي فَتَأَخَّرْتُ
 عَنْ سَبْقِ وَأَنْتَقَطْتُ « إِنْ أُرِيدَ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ »
 وَمَنْ كَانَتْ بِيَضَاعَتُهُ مُزْجَاةً^(١) ، فَهُوَ مِنَ الْإِنْصَافِ بِمَنْجَاةٍ ،
 إِذَا أَتَى بِالْمَقْدُورِ ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الدَّعْوَى فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ ،
 وَعَيْنُ الرِّضَا^(٢) عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ

(١) أى رديئة، تزجى وتدفع لرداءتها، والمزجاة أيضا القليلة، وقيل فى قوله تعالى
 « وجئنا ببضاعة مزجاة » أى بنقود زائعة أو ببضاعة فيها اغماض لم يتم
 صلاحها (٢) صبر بيت عجزه :

كأن عين السخط تبدى المساويا . والعين السكيلة: التى لا تبصر جيدا

الْمَلَامَةِ مُتَمَذَّرَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ ، وَقَدْ قَالَ إِمَامُنَا مَالِكٌ صَاحِبُ
الْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ : كُلُّ كَلَامٍ يُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إِلَّا كَلَامُ
صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْكَى صَلَاحٍ وَأَتَمَّ
سَلَامٍ . وَشَفَى بِجَاهِهِ مِنَ الْآلَامِ قُلُوبَنَا الْعَلِيلَةَ ، وَجَعَلَنَا
بِمَنْ كَانَ أَتْبَاعُ سُنَّتِهِ رَائِدُهُ وَدَلِيلُهُ . آمِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرُ لِي هَذَا الْقَدْرَ ، مَعَ ضِيقِ
الصَّدْرِ ، وَقَلَّةِ بِضَاعَتِي ، وَكَثْرَةِ إِضَاعَتِي ، فَإِنَّ حَمْدَهُ جَلَّ
جَلَالُهُ تَتَضَوَّعُ ^(١) بِهِ الْمَطَالِبُ طَيِّبًا ، وَتُقْضَى
بِرَّكَتِهِ الْمَآرِبُ فَيَرْقَى صَاحِبُهَا عَلَى مَنَبَرِ الْقَبُولِ خَطِيبًا ،
وَتَعْدُبُ بِهِ الْمَشَارِبُ فَتَنْبِتُ فِي أَرْضِ الْقُرْطَاسِ مِنْ
زَاكِي الْفِرَاسِ مَا يَرُوقُ مَنْظَرًا نَضِيرًا وَيُورِقُ غُصْنًا
رَطِيبًا ؛ وَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْمَقَالِ ، بِمَا يُقَرُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
عَيْنَ وَامِقٍ ^(٢) وَيُرْغَمُ أَنْفَ قَالَ ^(٣) ، وَإِنْ كُنْتُ بِمَنْ هُوَ
فِي ثَوْبِ أَلْعِي رَافِلٌ ، وَعَنْ نِسْبَتِهِ لِلْقُصُورِ غَيْرُ غَافِلٍ ،

(١) أى تذكو وتعبق . قال الشاعر :

نضوع مسكا بطن نمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات
(٢) ومق : أحب . والوامق الحب (٣) الفالى : المبيض الكاره . من قلايقا وبقلى

وَمَنْ جَعَلَ النَّفْسَ هَدَفًا، وَصَيَّرَ مَكَانَ الدُّرِّ صَدَفًا. إِذْ لِسَانُ
الدِّينِ بْنِ أَلْطَيْبٍ إِمَامُ هَذِهِ الْفُنُونِ، الْمُحَقِّقُ لِدَوَى الْأَمَالِ
الظُّنُونِ، الْمُسْتَخْرِجُ مِنْ بَحَارِ الْبَلَاغَةِ دُرِّهَا الْمَكْنُونِ،
وَلَهُ الْيَدُ الطُّوَلَى فِي الْمُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا،
وَالْأَلْفَاظِ الرَّائِقَةِ الَّتِي تَرْيِّحُ وَخْشَةَ الْأَنْفُسِ بِإِيْنَانِهَا.

نَاهِيكَ مِنْ فَرْدٍ أَعْرَ مُمَدِّجٍ رَحْبِ الدُّرِّ أَحْرُ الْكَلَامِ مُحَسَّدٍ
بَهَرِ الْأَنَامِ رِيَّاسَةً وَسِيَاسَةً وَجَلَّالَةً فِي الْمُسْتَمَى وَالْمَحْتَدِ^(١)
وَأَتَى بِكُلِّ بَدِيعَةٍ فِي نَوْعِهَا لَمْ تُخْتَرَعْ وَغَرِيبَةٍ لَمْ تُعْهَدْ
مَا شِئْتَ مِنْ شِعْرِ أَرْقٍ مِنَ الصَّبَا

وَكِتَابَةٍ أَزْهَى مِنَ الزَّهْرِ النَّدَى

وَبَدِيعِ قِرطَاسٍ تَوَشَّحَ مَتْنُهُ بِمَنْمَمٍ^(٢) مِنْ رَقْعِهِ وَمُنَجَّدٍ^(٣)
بِهَجٍّ كَانَ الْحُسْنَ حَلًّا أَدِيمُهُ

فَكَسَاهُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ الْأَغِيدَ^(٤)

(١) المحدث : الأصل والنسب (٢) منمم : منقوش مرقش مزخرف ، وثوب
منمم : مرقوم موشى (٣) نجد البيت : زينه . وعبرة اللسان نجدت
البيت : بسطته بتياب موشية (٤) الأغيد من النبات الناعم المتنى ، وشجرة
غادة وغيداء : ريا غضة

كَأَبْرَدٍ فِي تَوْشِيهِ^(١) وَأَسْلَكِ فِي
 تَرْصِيهِ^(٢) وَالْوَشْيَ نَعَى بِالْيَدِ
 وَكَأَنَّمَا سَالَ الْعِذَارُ عَلَيْهِ أَوْ
 خَطَّتُهُ أَيْدَى الْغَانِيَاتِ بِإِعْدِ^(٣)
 يَحْتَالُ بَيْنَ مُوَصَّلٍ وَمُفَصَّلٍ
 وَمُطَرَّرٍ وَمُنْظَمٍ وَمُنْضَدٍ
 قَدْ قَيَّدَ الْأَبْصَارَ وَالْأَفْكَارَ مِنْ
 الْفَاطِطِ الْمُتَقَفِّ^(٤) وَمُقَيِّدِ
 مَا فِيهِ مَفَرُّزُ إِصْبَعٍ إِلَّا وَفِيهِ
 تَنْبِجَةٌ لِمُفَرَّجٍ وَمَوْلَدٍ
 وَلِكُلِّ جُزْءٍ حِكْمَةٌ أَوْ مُلْحَةٌ^(٥)
 أَوْ بَدْعَةٌ لِمُرْسَلٍ^(٦) وَمُقَصَّدٍ^(٧)

(١) وشع الثوب: أعلم وجعل في طرفه زخرفة (٢) رصع المائع الذهب
 بالجواهر: أنزلها فيه . والمراد من هذا كله التزيين والتحلية (٣) الأعد :
 السكحل (٤) أي مهذب. تقول تقف الرمح : سواء وقومه ، وتقف الولد :
 هذبه (٥) أي فكاهة وطرفة (٦) المرسل من الكلام : النشور (٧) المقصد:
 المنظوم

أَوْ لَيْسَ مِثْلِي قَاصِرًا عَنْ وَصْفِهِ
وَالْحَقُّ نُورٌ وَاضِحٌ لِلْمُهْتَدِي
وَكَمَا قُلْتُ وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ آدَاءِ الْوَاجِبِ وَحَاوَلْتُ
الْمَسْنُونِ ، وَفَضَّلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لَيْسَ بِمَمْنُونٍ وَلَا مَمْنُونٍ (١) :
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ الْعِبَارَاتِ تُوفِي
وَاجِبَ ابْنِ الْخَطِيبِ مِمَّا أَرُومُ ؟
وَأَنَا عَاجِزٌ عَنِ الْبَعْضِ مِنْهَا
لِقُصُورِي وَمَا أَلَيَّْ مَكُومُ
وَهُوَ يُدْعَى لِسَانَ دِينٍ وَنَاهِي
لَكَ أَفْتَحَارًا بِتِمِّ الرُّسُومِ
فَبِأَيِّ الْخَلَى أَحَلَّى عَلَى مَنْ
نَالَ فَضْلًا رَوْنَهُ غُرْبُ وَرُومُ ؟
وَعَلَى الْفَرَضِ مَا الَّذِي أَتَّحِي مِنْهُ
لَهُ لَدَى الْوَصْفِ أَنْ يُخَصَّ الْمُعْمُومُ

أَلِحِفْظُ قَدْ أَرْتَوَى مِنْ مَعِينٍ لِيَصَوَّابٍ عَلَيْهِ كُلُّ يَحُومٍ ؟

أَمْ لِفَهْمٍ يَسْتَخْرِجُ الدَّرَّ غَوْصًا

مِنْ بِحَارٍ يَخْتَشِي بِهَا مَنْ يَعُومُ ؟

أَمْ لِفِكْرِ مُؤَلَّفٍ فِي فُنُونٍ

عَنْ دَهَاءٍ بِهِ تُدَاوَى الْكُلُومُ^(١) ؟

أَمْ لِنِظْمٍ كَأَنَّهُ جَوْهَرُ السُّدِّ

إِذَا غَلَا قَدْرُهُ عَلَى مَنْ يَسُومُ^(٢) ؟

تَتَبَّاهَى بِهِ الصُّدُورُ حُلِيًّا وَتَرُوقُ أَلْمِیُونَ مِنْهُ نُجُومُ^(٣)

أَمْ لِنَثْرِ وَاقٍ بِسِحْرِ بَيَانٍ فَهُوَ كَالرُّوحِ وَالْمَعَانِي جُسُومُ

وَأَظْلَمَتْهُ لِلْبَدِيعِ سَمَاءٌ تَتَلَا فِي جَانِبَيْهَا أَلُومُ

فَاسْتَرَّادَتْ مِنْهُ أَلْفُوسُ رَشَادًا

وَأَسْتَرَّانَتْ مِنْهُ أَلْهَى وَالْحُلُومُ^(٤)

(١) جمع كلم: وهو الجرح ، والدهاء: العقل والبصر بالأمور ، وجودة
الرأى (٢) سام السلمة : قدر ثمنها وساوهم بائعها (٣) من معاني النجم
الكلمة (وجمعه نجوم) وقال أبو العباس أحمد بن يحيى (تطلب) في
قوله تعالى « فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم » انه مانجم من
كلامهم لما سألوهم أن يخرج معهم الى عيدهم ، و (نظر) أى تفكر ليدبر
حجة ، فقال: انى سقيم ، أى من كفركم - وقيل فى الآية غير ذلك . ويقال
فلان ينظر فى النجوم : اذا فكر فى أمر لينظر كيف يدبره (٤) أى العقول

أَمْ لِحِطِّ مُنْتَمٍ فَاقَ حُسْنًا مِثْلَ وَشِي تُلُوحٍ مِنْهُ الرُّقُومُ
أَوْ كَزْهَرٍ فِي بَهْجَةٍ وَرَوَاءَ وَأَرِيحٍ بِهِ تُرَاحُ النُّعُومُ
وَالنُّصُونُ الْأَقْلَامُ وَالطَّرْسُ^(١) رَوْضُ

نَاضِرُ وَالْمِدَادُ غَيْثُ سَجُومٍ
تِلْكَ سِتُّ أَعْجَزَنَ وَصْنِي فَأَنَّى بِسِوَاهَا مِمَّا يَجِلُّ أَقُومُ؟!
- وَلَمْ يَكُنْ جَمْعِي - عِلْمُ اللَّهِ - هَذَا التَّأْلِيفَ لِرَفْدِ اسْتَهْدِيهِ ،
أَوْ عَرَضِ^(٢) نَائِلِ اسْتَجْدِيهِ ، بَلْ لِحَقِّ وَدِّ أَوْدِيهِ ، وَدَيْنِ وَعَدِ
أَقْدَمُهُ وَأَبْدِيهِ^(٣) ، وَوَقُوفٍ عِنْدَ حَدٍّ لَا يَحُوزُ تَعْدِيهِ ، وَتَلْبِيَةِ
دَائِعِ أُجْبِيهِ وَأَفْدِيهِ .

إِنَّ مَنْ يَرْجُو نَوَالًا وَنَدَى مِنْ بَنِي الدُّنْيَا لَذَوْحَظٍ غَيْبِ^(٤)
فَلَقَدْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْهُدَى مَنْ يُسَوِّيهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَيَرْجِي مِنْهُمْ الرُّزْقَ فَهَلْ خَالِقُ الْكُلِّ فَقِيرٌ أَوْ ضَنِينٌ^(٥)؟
أَتُخَلِّ قَصْدَ رَبِّ مَالِكٍ وَتُرَى لِلْخَلْقِ جَهْلًا قَاصِدِينَ

(١) الطرس : الورق (٢) قد تكون (غرض) (٣) يقال : بدبت بالشئ أى قدمته وابتدأت به (لغة أنصارية) وبدى الشئ : أبداه وأظهره ،
والعامة تستعمله بمعنى تقديم الشئ وإشارته على غيره (٤) أى مغبون ذى
وكس ونقص ، والمغبون هو الذى غش فى الشراء وغلب وخدع
(٥) أى بخيل . من ضن يطن ضنا : بخيل

مَالَنَا مِنْ غُلَاصٍ نَأْتِي بِهِ

غَيْرَ جَاهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي الْأَمِينِ

سَيِّدِ الْخَلْقِ الْعِمَادِ الْمُرْتَجَى لِلْمِلَلِ شَفِيعِ الْمَذْنِبِينَ
فَعَلَيْهِ صَلَوَاتُ تَنْتَحِي حَضْرَةً حَلَّ بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ
وَالرَّضَا مِنْ بَعْدِ عَنْ أَرْبَعَةٍ ^(١) هُمْ بِحَقِّ أَمْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
فِيمَيْنَا إِنْ مَنْ يَهْوَاهُمْ لَيْسَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
وَسَطَ جَنَاتٍ مُحْيِيهِ بِهَا

أَنَسَاتُ قَاصِرَاتُ ^(٢) الْطَّرَفِ عَيْنِ ^(٣)

بِقَوَارِيرِ لُجَيْنٍ ^(٤) شُرْبُهُ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ
وَالَّذِي شَرَّفَهُمْ يَمْنَحُنَا

حُبُّهُمْ وَالْكَوْنُ ^(٥) مَعَهُمْ أَجْمَعِينَ

فَدُونَكَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، الْمُتَجَانِي عَنْ
مَذْهَبِ التَّقْدِ وَالْعِتَابِ ، كَلِمَاتٍ سَوَانِحَ ، أُخْتُلِسَتْ مَعَ

(١) يريد الخلفاء الراشدين : الصديق . والفاروق وذا النورين ، وعليه
رضوان الله عليهم (٢) قاصرات الطرف : لا ينظرن لغير بعولتهن (٣) عين : جمع
عيناء : واسمة العين (٤) اللجين : الفضة . والقوارير - جمع قارورة - وهي
الزجاجة . والمراد بالـ كواب . أي يشرب بأـ كواب من فضة (٥) أي الوجود

أَشْتَعَالِ الْجَوَارِحِ ، وَتَضَادَّ الْأُمُورِ الْمَوَانِعِ وَالْمَوَانِجِ ،
وَالْفَاعِلُ بَوَارِحَ أَقْنِصَتْ بَيْنَ أَشْغَالِ^(١) الْجَوَارِحِ ، وَطُرُقًا
أَسْمَتْ^(٢) الطَّرْفَ فِي مَرْعَاهَا وَكَانَتْ مَهْمَلًا غَيْرَ سَوَارِحَ ،
وَمُخَفًّا يَحْصُلُ بِهَا لِلنَّظَرِهِ الْإِمْتَاعُ ، وَلَا يَبْعُدُهَا مِنْ سَقَطِ^(٣)
الْمَتَاعِ الْمُبْتَاعِ ، وَيَلْهَجُ بِهَا الْمُرْتَاخُ وَيَسْتَأْنِسُ الْمُسْتَوْحِشُ
الْمُرْتَاعِ^(٤) .

وَبَعْدَ أَنْ خَمَّتْ^(٥) تَمَامَ هَذَا التَّصْنِيفِ ، وَأَمْنَعَتْ
النَّظَرَ فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ التَّقْرِيطُ^(٦) لِسَامِيهِ وَالتَّشْيِيفُ ، قَسَمَتْهُ
قِسْمَيْنِ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا مُسْتَقِلٌّ بِالْمَطْلُوبِ فَيَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى
بِاسْمَيْنِ :



(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَرَعَّةِ الْأَكْوَابِ ،
وَالْأَنْبَاءِ الْمُشْحِيَةِ صَوْبَ^(٧) الصَّوَابِ ، الرَّافِقَةِ مِنَ الْإِفَادَةِ فِي

(١) يمكن أن تكون (اشتغال) (٢) سمات الابل : رعت ، وأسامها :
أرعاها أى أخرجها الى المرعى ترعى حيث تشاء ، والهمل : المهمة لاراعى
لها . وفى التل (اختلط المرعى بالهمل) (٣) السقط : للتنازع الحقيق . والمتنازع :
المنشترى (٤) أى الخائف (٥) التخمين : الحدس والتقدير الظنى (٦) القرط
ما علق فى أسفل الاذن والشنف ما علق فى أعلاها (٧) صوب : ناحية

سَوَابِغُ^(١) الْأَثْوَابِ، وَفِيهِ بِحَسَبِ الْقَصْدِ وَالِإِفْتِصَارِ، وَتَحَرَّى
التَّوَسُّطَ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ دُونَ الْإِخْتِصَارِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْ
الْأَثْوَابِ :



(البابُ الأوَّلُ)

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَحُسْنِ هَوَائِهَا، وَأَعْتِدَالِ وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ
مِزَاجِهَا وَوُفُورِ خَيْرِهَا وَكَمَالِهَا وَأُسْتَوَائِهَا، وَأَشْتِمَالِهَا عَلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَحَاسِنِ وَأَخْتَوَائِهَا، وَكَرَمِ نَبَاتِهَا
الَّذِي سَقَتْهُ سَمَاءُ الْبَرَكَاتِ مِنْ جَنَابَتِهَا بِنَافِعِ^(٢) أَنْوَائِهَا^(٣)،
وَذِكْرِ بَعْضِ مَآثِرِهَا الْمَجْلُوءَةِ الصُّورِ، وَتَمْدَادِ كَثِيرٍ مِمَّا لَهَا
مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْكُورِ^(٤) الْمُسْتَمِدَّةِ مِنْ أَضْوَائِهَا .



(١) سوابغ : جمع سابغ، وهو من الثياب والدروع : الواسع الطويل، تقول درع
سابقة، ونعمة سابقة على المجاز . وفي التنزيل قال تعالى لداود عليه السلام
« أن اعمل سابغات » أى دروعاً سابغات (٢) وقد يكون (بنافع) محرفة عن
(بناقع) (٣) أى أمطارها (٤) الكورة : البقعة التى يجتمع فيها قرى ومحال .
يقال لسكل مصر كورة، والجمع كور

(البَابُ الثَّانِي)

فتح الأندلس في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد ، وفتحها
على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وصيرورتها
ميداناً لسبق الجياد ، ومحط رحال الأرتياء والأرتياد ، وما
يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه زياد^(١) ، ونبا وصل إليه
اعتيام^(٢) وتقرر بمثله اعتياد .



(البَابُ الثَّالِثُ)

الدين بالأندلس في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز
السامي العماذ ، والقهر للعدو ، في الرواح والعدو ، والتحرر
للعدو البالغ غاية الآماد . وأعمال أهلها للجهاد ، بالجد
والاجتهاد ، في الجبال والوهاد ، بالأسنة المشرعة والسيف
المستلة من الأنعاماد .



(١) لعله : ازدياد (٢) أى اختيار . اعتام الشئ : اختاره واصطفاه . قال

طرفة بن العبد في معلقته :

أرى الموت يتم الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المنشد

(البابُ الرَّابِعُ)

فِي ذِكْرِ قُرْطَبَةَ الَّتِي كَانَتْ اخِلَافَةُ عِمْرَهَا لِلْأَعْدَاءِ قُرْطَبَةَ
قَاهِرَةً ، وَجَامِعَهَا الْأُمُوِيَّ ذِي الْبَدَائِعِ الْبَاهِيَةِ الْبَاهِرَةِ ،
وَالْإِلْمَاعِ بِخَضِرَتِي الْمَلِكِ : الزَّهْرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ وَالْعَامِرِيَّةِ
الزَّاهِرَةِ ، وَوَصَفِ جُمْلَةٍ مِنْ مُتَنَزَّهَاتِ تِلْكَ الْأَفْطَارِ وَمَصَانِمِهَا
ذَاتِ الْمَحَاسِنِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، وَمَا تَجَرُّ إِلَيْهِ شُجُونُ
الْحَدِيثِ مِنْ أُمُورٍ تَقْضِي بِحُسْنِ إِرَادِهَا الْقَرَائِحُ الْقَوَادِ
وَالْأَفْكَارُ الْمَاهِرَةُ



(البابُ الْخَامِسُ)

فِي التَّعْرِيفِ بِبَعْضِ مَنْ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَى بِلَادِ رِجَالِ الْأَنْدَلُسِ
الْمَشْرِقِ الذَّاكِيَةِ الْفَرَارِ^(١) وَالْبَشَامِ ، وَمَدْحِ جَمَاعَةٍ مِنْ
أُولَئِكَ الْأَعْلَامِ ، ذَوِي الْأَلْبَابِ الرَّاجِحَةِ وَالْأَحْلَامِ ، لِشَامَةِ^(٢)
وَجَنَةِ الْأَرْضِ دِمَشْقِ الشَّامِ ، وَمَا اقْتَضَتْهُ الْمُنَاسَبَةُ مِنْ

(١) الفرار والبشام من نبات بلاد العرب (٢) الشامة: نقطة سوداء قيل هي
الحال ، فكأن دمشق في وجه الأرض خال في وجنة حسناء

كَلَامٍ أَغْيَانَهَا وَأَرْبَابَ يَنَانِهَا، دَوَى السُّوْدُودِ وَالْإِحْنَامِ،
وَمُخَاطَبَاتِهِمْ لِلْمَوْلَفِ الْفَقِيرِ حِينَ حَلَّهَا عَامَ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ
وَأَلَفٍ وَشَاهِدَ بَرَقَ فَضْلُهَا الْيَمِينِ وَشَامَ.

(البَابُ السَّادِسُ)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْوَافِدِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ
الْمَشْرِقِ، الْمُهْتَدِينَ فِي قَصْدِهِمْ إِلَيْهَا بِنُورِ الْهُدَايَةِ الْمَضِيءِ
الْمُشْرِقِ، وَالْأَكَابِرِ الَّذِينَ حَلَّوْا مِنْهَا بِحُلُولِهِمْ فِيهَا الْجَيِّدِ^(١)
وَالْمُفَرِّقِ^(٢). وَافْتَحَرُوا بِرُؤْيَا قُطْرِهَا الْمُوتِقِ عَلَى
الْمُشَمِّ^(٣) وَالْمُعْرِقِ^(٤).

(البَابُ السَّابِعُ)

فِي بُبْدَةِ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ
تَوْقِدِ الْأَذْهَانِ، وَبَذْلِهِمْ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَارِفِ وَالْمَعَالِي

(١) الجيد : العنق (٢) مفرق الشعر: وسط الرأس (٣) أى داخل الشام

(٤) أى داخل العراق

من وفد على
الأندلس

منة الله على
أهل الأندلس

مَا عَزَّ أَوْ هَانَ، وَحَوَزِهِمْ فِي مَيْدَانِ الْبَرَاةِ مِنْ قَصَبِ السَّبْقِ
خَصَلَ^(١) الرِّهَانِ، وَجُمْلَةٍ مِنْ أَجْوِبَتِهِمُ الدَّالَّةَ عَلَى لَوْذِعِيَّتِهِمْ^(٢)،
وَأَوْصَافِهِمُ الْمُؤْذِنَةَ بِالْمَعِيَّتِهِمْ^(٣)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ
الَّتِي لَهَا عَلَى فَضْلِهِمْ أَوْضَحُ بُرْهَانٍ.

(البابُ الثَّامِنُ)

حالة الجزيرة
وتقلب الأعداء
عليها

فِي ذِكْرِ تَغْلِبِ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ عَلَى الْجَزِيرَةِ بَعْدَ
صَرْفِهِ وَجُوهَ الْكَيْدِ إِلَيْهَا وَتَضَرِّيهِ^(٤) بَيْنَ مُلُوكِهَا وَرُؤَسَائِهَا
بِمَكْرِهِ، وَاسْتِمْعَالِهِ فِي أَمْرِهَا حِيلَ فِكْرِهِ، حَتَّى اسْتَوْلَى -
دَمَرُهُ اللَّهُ- عَلَيْهَا. وَحَا مِنْهَا التَّوْحِيدَ وَاسْمَهُ، وَكَتَبَ عَلَى
مَشَاهِدِهَا وَمَعَاهِدِهَا وَاسْمَهُ، وَفَرَّرَ مَذْهَبَ التَّثْلِيثِ
وَالرَّأْيَ الْخَلِيفَةَ لَدَيْهَا، وَاسْتَعَاثَةَ مَنْ يَهَى بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ
مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ، حِينَ تَعَذَّرَتْ

- (١) الحصل في النضال الحظر الذي يتحاطر عليه . والحفلة الاصابة في الرمي
والغلبة في الرهان ، وحصل القوم خلاصا : فضلهم وغلبهم . وأحرز فلان
خصلة اذا غلب (٢) اللوذعي : الأريب الحاذق اللبيب
(٣) الألمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
(٤) أظهرها معرفة (وتضررت) من ضراره بالأمر عوده اياه ودر به ، وضري
بالشيء اذا اعتاده فلا يكاد يصبر عنه ، وضري السكب بالصيد : اعتاده
ونظم بلحمه ودمه ، وأضراره صاحبه وضراه : أغراه به وعوده

بِحَصَارِهَا مَعَ قَلَّةٍ مُحَامَتِهَا وَأَنْصَارِهَا الْتَارِبُ وَالْأَوْطَارُ ،
وَجَاءَهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ خَلْفِهَا وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا . أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْهَا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا شَرِيعَةَ سَيِّدِ الْأَنْامِ ، - عَلَيْهِ
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - وَرَفَعَ يَدَ الْكُفْرِ عَنْهَا وَعَمَّا
حَوَالَيْهَا . آمِينَ . وَلَمْ أَغْلِ بِأَبَا فِي هَذَا الْقِسْمِ مِنْ كَلَامِ
لِلْسَانِ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ وَإِنْ قُلْتُ ، مَعَ أَنَّ الْقِسْمَ الثَّانِي
بِذَلِكَ كَمَا سَقِفْتُ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَقَلَّ . وَهَذَا آخِرُ مَا تَعَلَّقَ
بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، وَعَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ التَّشْكُلُ وَالْمُعَوَّلُ .

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

فِي التَّعْرِيفِ بِلِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، وَذِكْرِ أَنْبَاءِهِ
الَّتِي يَرُوقُ سَمَاعُهَا وَيَتَأَرَّجُ نَفْحُهَا وَيَطِيبُ . وَمَا يُنَاسِبُهَا
مِنْ أَحْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَفْرَادِ ، وَالْأَعْلَامِ الَّذِينَ أَقْتَضَى ذِكْرُهُمْ
شُجُونُ الْكَلَامِ وَالِاسْتِطْرَادُ ، وَفِيهِ أَيْضًا مِنَ الْأَبْوَابِ
نَمَائِيَّةٌ ، مُوَصَّلَةٌ إِلَى جَنَاتِ آدَبٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غُصْنٍ
مِنْهَا رَطِيبٌ .

التعريف بابن
الخطيب

(الباب الأول)

فِي ذِكْرِ أَوَّلِيَّةِ لِسَانِ الدِّينِ وَذِكْرِ أَسْلَافِهِ ،
الَّذِينَ وَرِثَ عَنْهُمْ الْمَجْدَ وَأَرْتَضَعَ دَرَّ أَخْلَافِهِ ^(١) ، وَمَا
يُنَاسِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَذْهَبُ الْمُتَصِفُ إِلَى خِلَافِهِ .



(الباب الثاني)

فِي نَشَأَتِهِ وَتَرْقِيهِ وَوِزَارَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ، وَمُسَاعَدَةِ الدَّهْرِ
لَهُ ثُمَّ قَلْبِهِ لَهُ ظَهْرٌ ^(٢) الْمَجْنُّ عَلَى عَادَتِهِ ، فِي مُصَافَاتِهِ
وَمُتَافَاتِهِ . وَأَرْتَبَا كِه ، فِي شِبَا كِه ، وَمَا لَقِيَ مِنْ إِحْنٍ ^(٣) أَلْحَاسِدِ ،
ذِي الْمَذْهَبِ الْفَاسِدِ ، وَمَحْنِ الْكَائِدِ الْمُسْتَأْسِدِ ^(٤) وَآفَاتِهِ .
وَذِكْرِ قُصُورِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ فِي تَقَلُّبَاتِهِ
عِنْدَ مَا قَابَلَهُ الزَّمَانُ بِأَهْوَالِهِ ، فِي بَدْتِهِ وَإِعَادَتِهِ إِلَى وَقَاتِهِ ،



(١) الدر : اللين . والأخلاف : جمع خلف : وهو للناقة كالضرع للشاة

(٢) قلب الدهر لفلان ظهر المجن : عاداه وكدر صفوه . والمجن : الترس

(٣) احن : جمع احنة : الحقد (٤) استأسد : اجتراً وتشبه بالأسد في الشدة

(البَابُ الثَّالِثُ)

فِي ذِكْرِ مَشَائِخِهِ الْجَلَّةِ^(١)، هُدَاةِ النَّاسِ وَنُجُومِ الْمِلَّةِ ،
وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الشَّافِيَةِ لِلْعِلَّةِ ، وَالْمَوَاعِظِ
الْمُنَجِّيةِ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ ، وَالْمُنَاسَبَاتِ الْوَاضِحَةِ الْبَرَاهِينِ
وَالْأَدِلَّةِ .



(البَابُ الرَّابِعُ)

فِي مُحَاطَبَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَكَابِرِ الْمُوَجَّهَةِ إِلَى حَضْرَتِهِ
الْعَلِيَّةِ ، وَتَنَاءٍ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفِ
الْقَاصِدِينَ وَجُوهَ التَّائِمِلِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَاجْتِلَالِهِمْ أَنْوَارَ رِيَاسَتِهِ
الْجَلِيلَةِ .



(١) الجلة: العظماء ، وجمع جليل. وقوم جلة: ذوو أخطار (٢) التأميل: من
الأمل وهو الرجاء

(البَابُ الْخَامِسُ)

فِي إِيرَادِ جُمْلَةٍ مِنْ نَثَرِهِ الَّذِي عَبَقَ أَرِيحُ الْبَلَاغَةِ مِنْ
 نَفَحَاتِهِ ، وَتَظْمِهِ الَّذِي تَنَالَتْ^(١) نُورُ الْبَرَاةِ مِنْ لَمَحَاتِهِ
 وَصَفَحَاتِهِ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَزْجَالِهِ وَمُوشِحَاتِهِ ،
 وَمُنَاسَبَاتٍ رَائِقَةٍ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ وَمُصْطَلَحَاتِهِ .



(البَابُ السَّادِسُ)

فِي مُصَنَّفَاتِهِ فِي الْفُنُونِ ، وَمُؤَلَّفَاتِهِ الْمُحَقَّقَةِ لِلِوَاقِفِ
 عَلَيْهَا إِلَّا مَالَ وَالْظُنُونِ ، وَمَا كَمُلَ مِنْهَا أَوْ اخْتَرَمَتْهُ^(٢) دُونَ
 إِتْمَامِهِ الْمُنُونِ .



(البَابُ السَّابِعُ)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ تَلَامِذَتِهِ الْآخِذِينَ عَنْهُ ، الْمُسْتَدِلِّينَ

(١) أى أضاء ، ولمح البرق : لمع (٢) اخترمته المنون : أخذته من بين
 أصحابه وأهلكته

بِهِ عَلَى الْمِنْهَاجِ ، الْمُتَلَقِّينَ أَنْوَاعَ الْمُلُومِ مِنْهُ ، وَالْمُقْتَسِبِينَ
أَنْوَارَ الْفُهُومِ مِنْ سِرَاجِهِ الْوَهَّاجِ .

(البَابُ الثَّامِنُ)

فِي ذِكْرِ أَوْلَادِهِ الرَّافِلِينَ فِي حُلَلِ الْجَلَالَةِ ، الْمُقْتَسِبِينَ
أَوْصَافَهُ الْحَمِيدَةَ وَخِلَالَهُ ، الْوَارِثِينَ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالرِّيَاسَةَ
وَالْمَجْدَعْنَ غَيْرَ كِلَالَةٍ^(١) ؛ وَوَصِيَّتِهِ لَهُمُ الْجَامِعَةَ لِآدَابِ الدِّينِ
وَالدُّنْيَا ، الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى النَّصَائِحِ الْكَافِيَةِ وَالْحُكْمِ الشَّافِيَةِ
مِنْ كُلِّ مَرَضٍ بِلَا تُنْيَا^(٢) ، الْمُنْقِذَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّلَالَةِ .
وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ الْقَوِيَّةِ ، وَالْأَمْدَاحِ النَّبَوِيَّةِ ،
الَّتِي لَهَا عَلَى حُسْنِ اخْتِتامِ أَظْهَرُ دَلَالَةٍ .

- وَقَدْ كُنْتُ أَوَّلًا سَمَّيْتُهُ « بِعَرَفِ الطَّيِّبِ » ، فِي
التَّعْرِيفِ بِالْوَزِيرِ ابْنِ الْخَطِيبِ « ثُمَّ وَسَمَّيْتُهُ حِينَ أَخْلَقْتُ
أَخْبَارَ الْأَنْدَلُسِ بِهِ « بِفَتْحِ الطَّيِّبِ ، مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ

(١) أي لم يروها عن بعد وعرض ، بل عن قرب واستحقاق (٢) أي بلا استثناء

(٣) أي الأراج والرائحة الذكية

الرَّطِيبِ ، وَذَكَرَ وَزِيرَهَا لِسَانَ الدِّينِ ابْنِ اَلْخَطِيبِ « وَلَهُ
بِالشَّامِ تَعَلُّقٌ مِنْ وَجْهِ عَدِيدَةٍ ، هَادِيَةٍ لِمَتَّامِلِهِ إِلَى الطَّرِيقِ
السَّيِّدَةِ . أَوَّلُهَا : أَنَّ الدَّاعِيَ لَتَأْلِيْفِهِ أَهْلُ الشَّامِ - أَبْقَى اللَّهُ
مَا بَرَّهُمْ وَجَعَلَهَا عَلَى مَرَّ الزَّمَانِ مَدِيدَةً - . ثَانِيهَا : أَنَّ الْفَاتِحِينَ
لِلْأَنْدَلُسِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ ذُوو النَّجْدَةِ وَالشُّوْكَةِ
الْحَدِيدَةِ^(١) . ثَالِثُهَا أَنَّ غَالِبَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ عَرَبِ
الشَّامِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا بِالْأَنْدَلُسِ وَطَنًا مُسْتَأْنَفًا وَحَضْرَةً
جَدِيدَةً . رَابِعُهَا : أَنَّ عَرَنَاطَةَ نَزَلَ بِهَا أَهْلُ دِمَشْقَ وَسَمَوْهَا
بِاسْمِهَا لِشَبَهِهَا بِهَا فِي الْقَصْرِ وَالنَّهْرِ ، وَالذَّوْجِ وَالزَّهْرِ ،
وَالْفُوطَةِ^(٢) الْفَيْحَاءَ ، وَهَذِهِ مُنَاسِبَةٌ قَوِيَّةُ الْعُرَا شَدِيدَةٌ .
هَذَا وَإِنِّي أَسْأَلُ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، أَنْ يَنْظُرَ بَيْنَ الْإِغْضَاءِ^(٣)
إِلَيْهِ ، كَمَا أُطْلَبُ بِمَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي تَصْنِيفِهِ ، وَالدَّاعِيَ إِلَى
تَأْلِيْفِهِ وَتَرْصِيْفِهِ ، أَسْتِنَادًا لِرُكْنِ الثَّقَةِ ، وَأَعْتِمَادًا عَلَى الْوُدِّ

(١) أى القوية (٢) القنطرة : موضع بالشام كثير الماء والشجر يعرف بقنطرة
دمشق ، ويعلم من الجنان ، والفيحاء : الواسعة ، وفاحت الريح « الطيبة »
سقطت وأرجت (٣) الاغضاء : اتغاضى

وَالْمَقَّةُ ، أَنْ يَصْفَحَ عَمَّا فِيهِ مِنْ قُصُورٍ وَيَسْمَحَ ، وَيُلاحِظَهُ
بِمَنْ الرُّصَا الْكَلِيلَةَ وَيَلْمَحَ ، إِذْ رَكِبْتُ شَكْلَ مَنْطِقِهِ
وَالْأَشْجَانُ غَالِبَةٌ ، وَقَضِيَّةُ الْعُرْبَةِ مُوجِبَةٌ لِلْكُرْبَةِ وَلِبَعْضِ
الْأَمَالِ سَالِبَةٌ ، وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَوْفَّ بِكُلِّ الْغَرَضِ ، فَلَا
يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ وَقَدْ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْجَوْهَرِ بِالْعَرَضِ . ، فَإِنْ
أَدَّتْ الْمُفْتَرَضُ وَذَلِكَ ^(١) الْمَرَامُ الَّذِي أَرْتَضِيهِ ، وَيُوجِبُ الْوُدَّ
وَيَقْتَضِيهِ ، وَإِلَّا فَحَسْبِي أَنْ بَدَلْتُ بِهِ جُهْدِي ، وَأَنْفَقْتُ مِنْ
وُجْدِي ^(٢) عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدِي . وَقَدْ تَوَهَّمْتُ أُنَّى لَمْ أُسَبِّحْ
إِلَى مِثْلِهِ فِي بَابِهِ ، إِذْ لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى نَظِيرٍ أَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِهِ ،
وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ هَدِيَّةً مُسْتَمْلَحَةً مُسْتَعْدَبَةً ، وَطُرْفَةً ^(٣)
مَقْبُولَةً مُسْتَفْرَبَةً :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عَنْ مِثِّي وَهَمِّي أَكْثَرَ مِنْ مَالِي
وَخَالِصُ الْوُدِّ وَنَحْضُ الْإِخَا أَكْثَرُ مَا يُهْدِيهِ أَمْثَالِي

(١) قد يكون أصلها « فذاك » لنكون الجملة جواب الشرط ، والا فحذف
الجواب في مثل هذا الموضع كثير شائع سائغ (٢) أى مما أقدر عليه
وأستطيعه (٣) الطرفة : الشيء النفيس يخص به من تحب

وَأُورِذَتْ فِيهِ مِنْ نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ، مَا يَكْفِي الْمُتَصَرِّ عَلَيْهِ
 إِنْ شَاءَ، وَمِنْ أَخْبَارِ مُلُوكٍ وَرُؤَسَاءَ، وَطَبَقَاتٍ مَنْ أَحْسَنَ أَوْ
 أَسَاءَ، مَا فِيهِ اُعْتِبَارٌ لِّلْمُتَأَمِّلِ، وَادِّكَارٌ لِّلرَّاحِلِ الْمُتَحَمِّلِ،
 وَزِينَةٌ لِّلذَّاكِرِ الْمُتَجَبِّلِ، وَتَنْكِيتٌ عَلَى أَهْلِ الْبَطْرِ^(١)،
 وَتَبْكِيَةٌ لِّمَنْ خَرَجَ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَقْضِ مِنَ الطَّاعَةِ
 الْوَطَرَ^(٢) :

أَرَى أَوْلَادَ آدَمَ أَبْطَرَتْهُمْ حُظُوظُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا الدِّنْيَةِ
 فَلَمْ يَبْطَرُوا وَأَوَّلُهُمْ مِنِّي إِذَا نُسِبُوا^(٣) وَآخِرُهُمْ مِنِّي؛
 وَفِيهِ إِيقَاطٌ لِّمِثْلِ مِنْ سِنَةِ الْفَلَةِ، وَحَثٌّ عَلَى عَدَمِ
 الْإِغْتِرَارِ بِالْمُهَلَةِ^(٤)، وَتَنْبِيهٌُ لِلْإِسِّ بِرُودِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ،
 أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حَادِثِ الْمَوْتِ قَبْلَ أَوْ بَعْدَ الْمَشِيبِ :

لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ وَنَاصِحٍ مِنْهَاجُهُ وَاصِحُ
 كُلِّ أَمْرٍ يُعْجِبُهُ شَأْنُهُ وَحَادِثُ الدَّهْرِ لَهُ فَاصِحُ

(١) البطر : الكبر : والنكات الطعام في الناس ، والنكيت الطعون فيه
 (٢) الوطر : الحاجة والبقية (٣) ويرى : اذا افتخروا - وهو من قول
 أبي العتاهية :

مابال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

وأصل هذا كله قول الامام علي رضي الله عنه : ما بين آدم والفخر ،
 وانما أوله نطفة وآخره جيفة (٤) المهلة : الانظار والتأخير

فَكَمْ بَالِكٍ عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ، وَشَاكٍ لِفِرَاقِ عَهْدِ الصَّبَا
وَالْأَحْبَابِ، أَنْسَاهُ طَارِقُ الزَّمانِ سُلَيْمِي^(١) وَالرَّبَّابِ
مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ كَلَمَحِ بَرْقٍ
وَعَصْرُ الشَّيْبِ بِالْأَكْدارِ شَيْبَا^(٢)
وَمَا أَعْدَدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ زَادًا
لِيَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبَا^(٣)
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَغْلَامِ :
مَضَى مَا مَضَى مِنْ حُلُوِّ عَيْشٍ وَمُرَّةٍ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَأَصْفَاتِ أَحْلَامِ
وَقَوْلَ مَنْ أُرْشِدَ سَفِيهَا :
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهْلُ الْجُهْلُ مَنْ لَصُطْفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمَوْتُ لَغَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
وَفِي مَعْنَاهُ لِغَيْرِهِ :
دُنْيَاكَ شَيْثَانٌ فَانْظُرْ مَاذَا نِكَ الشَّيْثَانُ

(١) سلمى : اسم يستعمل للنساء وكذلك سليمان والرباب . والرباب : بنت امرئ القيس ، وكانت من أحسن النساء وجهاً وأفضلهن عقلاً وأدباً (٢) من الشوب وهو الخلط (٣) جمع أشيب : وأصله شيب بضم الشين . كسر أوله لمناسبة الياء ، لأن أفعل يجمع على فعل ، كاحمر وحر

مَا فَاتَ مِنْهَا فَطَمٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي
وَمَا أَخْكَمَ قَوْلَ ابْنِ حِطَّانٍ^(١) مَعَ وَفْوَعِهِ مِنْ
الْبِدْعَةِ فِي أَشْطَانٍ^(٢)

يَأْسَفُ الْعَرءُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ لَبَّائَاتٍ^(٣) إِذَا لَمْ يَقْضِهَا
وَرَأَاهُ صَاحِبًا مُسْتَبْشِرًا بِأَلَّتِي أَمْضَى كَأَنَّ لَمْ يُقْضِهَا
إِنَّمَا عِنْدِي كَأَخْلَامِ الْكَرَى^(٤)

لَقَرِيبُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا

وَلَفَيْرِهِ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
مُبْقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا
فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدًا ؟

وَلَا خَرَّ :

لَا حَظَّ فِي الدُّنْيَا لِمُسْتَبْصِرٍ يَلْمَحُهَا بِالْفِكْرِ الْبَاصِرَةِ

(١) هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحرث
ابن سدوس أحد بني عمرو بن شيبان وقد كان رأس العقد من الخوارج
الصفرية وخطيبهم وشاعرهم - وكان قبل ذلك رجل العلم والحديث ،
وقد أدرك صدرا من الصحابة وروى عنهم (٢) الشطن : الحبيل الطويل .
والمراد : تقييده بها وتظليلها عليه (٣) اللبانة : الحاجة والوطر (٤) أى النوم

إِنْ كَدَّرْتَ مَشْرَبَهُ مَلَهَا وَإِنْ صَفَّتْ كَدَّرْتَ الْآخِرَةَ

وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ الْوَزِيرِ ابْنِ الْمَعْرِيِّ:

إِنِّي أَبُثُّكَ^(١) مِنْ حَدِيثِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونٌ

فَارَقْتُ^(٢) مَوْضِعَ مَرَقَدِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي الشُّكُونُ

قُلْ لِي قَاوُلٌ لَيْلَةً لِلْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى أَكُونُ؟

وَقَوْلُ مَامِيَّةَ:

تَأْمَلُ فِي الْوُجُودِ بَعِينَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّيْنَةَ كَالْخِلَالِ

وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى

وَيَبْقَى وَجْهَ^(٣) رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَقَوْلُ بَعْضِ الْعَارِفِينَ:

أُسْتَعِدِّي يَأْتِقْسُ لِلْمَوْتِ وَأُسْعَى

لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ

قَدْ تَيَسَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ مَ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ

(١) أبثك: أظلمك على سري (٢) و يروى: غرت - والوزير المعري هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين من أصل فارسي، كان من الدهاة العارفين والأذكاء النابغين، كاتباً شاعراً أديباً عالماً - وله مع الحاكم الفاطمي صاحب مصر قصة طويلة في أيام الخليفة العباسي الامام القادر بالله، وانتهى به الأمر إلى أن وُزِرَ لمُشْرِف الدولة البويهى ببغداد ... ثم توفي سنة ٤١٨ بمِظَارَيْنِ وحمل إلى الكوفة ودفن بها (٣) وجهك: أى ذاته تعالى

إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْ فَ تَرُدِّينَ وَالْمَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهُو وَتَلْهَيْنَ وَالْمَنَآيَا تَجِدُ
أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيُّ حَظٍّ

لِأَمْرِي حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لَعْدُ؟

لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حُتُوفِهَا لَكَ وَرُدُّ
كَيْفَ يَرْجُو أَمْرُهُ لَذَاذَةً أَبَدًا مِ عَلَيْهِ الْأَنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ؟
وَأَسْأَلُ مِنْ مُبَلِّغِ السَّائِلِينَ مَا يَرْجُونَ ، أَنْ يَصْفَحَ عَنْ
زَلَّاتِي وَيُسَاحِنِي فِيمَا أَوْرَدْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الزَّلِّ
وَالْمُجُونِ^(١) ، الَّذِي جَرَّتِ الْمُنَاسَبَةُ إِلَيْهِ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ.
وَمَا الْقَصْدُ مِنْهُ إِلَّا تَرْوِيحُ قُلُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُونَ عَيْسَ
الْأَسْمَارِ^(٢) وَيَرْجُونَ . وَفِيمَا أَوْرَدْتُ مِنَ الْمَوَاعِظِ
وَالنَّصَائِحِ ، وَحِكَايَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ طِيبُ زَهْرٍ مَنَاقِبِهِمْ
فَائِضٌ ، وَالتَّوَسُّلُ بِمَحَاسِنِ الْأَمْدَاحِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ يَسْتُرَ

(١) المجون : الزح والمزحل (٢) السمر : الحديث ليل . والعيس : الابل

البيض . يريد قطع الليل بالحديث والفكاهة

بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ الْقَبَائِحَ ، وَيُرِينَا وَجْهَ الْقَبُولِ بِلاَ اكْتِسَامٍ .
وَيَمْنَحُنَا الزُّلْفَى ^(١) وَحُسْنَ الْخِتَامِ

وَمَنْ يَتَوَسَّلَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

شَفِيعِ الْبَرَايَا السَّيِّدِ السَّنَدِ الْأَسْنَى

فَذَاكَ جَدِيرٌ أَنْ يُكَفِّرَ ذَنْبُهُ

وَيُمْنَحَ نَيْلَ الْقَصْدِ وَالْخِتَمَ بِالْحُسْنَى

وَهَذَا أَوَّلُ الشَّرُوعِ ، فِي الْأُصُولِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ

وَالْفُرُوعِ ، وَعَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أُعْتِمِدُ ، وَمِنْ مَعُونَتِهِ أَسْتَعِذُّ

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَرَعَةِ ^(٢) الْأَكْوَابِ

أخبار الأندلس

وَالْأَنْبَاءِ الْمُتَحِيَّةِ صَوْبَ الصَّوَابِ ، الرَّافِلَةِ مِنَ الْإِفَادَةِ

فِي سَوَائِغِ الْأَنْوَابِ ، وَفِيهِ بِحَسَبِ الْقَصْدِ وَالِاقْتِصَارِ ،

وَتَحَرَّرَى التَّوَسُّطُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ دُونَ الْإِخْتِصَارِ ، ثَمَانِيَةٌ

مِنَ الْأَنْوَابِ

(١) أى القربى (٢) المترعة : المملوءة . والمراد : الكثيرة الجملة الشبيهة اللذيذة



(الباب الأول)

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَحُسْنِ هَوَائِهَا ، وَاعْتِدَالِ ^{وصف جزيرة} _{الاندلس} مِزَاجِهَا وَوُفُورِ خَيْرَاتِهَا وَأُسْتَوَائِهَا ، وَأَشْتِمَالِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَأَخْتَوَائِهَا ، وَكَرَمِ بُقْعَتِهَا الَّتِي سَقَتْهَا سَمَاءُ الْبَرَكَاتِ بِنَافِعِ أَنْوَائِهَا^(١) ، وَذِكْرِ بَعْضِ مَا ثَرَمَهَا الْمَجْلُودَةُ الصُّورِ ، وَتَعْدَادِ كَثِيرٍ مِمَّا لَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْكُورِ^(٢) ، الْمُسْتِمْدَةِ مِنْ أَضْوَائِهَا . فَأَقُولُ : مَحَاسِنُ الْأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوَفَى بِعِبَارَةٍ ، وَتُجَارَى فَضْلُهَا لَا يَشُقُّ^(٣) غُبَارُهُ ، وَأَنَّى تُجَارَى وَهِيَ الْخَازِنَةُ قَصَبُ السَّبْقِ ، فِي أَقْطَارِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ



« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ بْنِ طُوبَالِ ^{سبب التسمية} _{بالاندلس} ابْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ لِأَنَّهُ تَزَلَّهَا ، كَمَا أَنَّ أَخَاهُ سَبْتَةَ بْنَ يَافِثَ تَزَلَّ الْعِدْوَةُ^(٤) الْمَقَابِلَةَ لَهَا وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ سَبْتَةُ .
« قَالَ » وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يُحَافِظُونَ عَلَى قِيَامِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ لِأَنَّهُمْ إِمَّا عَرَبٌ أَوْ مُتَعَرِّبُونَ . أَنْتَهَى

(١) الأنواء: جمع نوء، وهو المطر (٢) الكور: جمع كورة وهي الصقع والناحية (٣) لا يشق غبارُه: مثل بضرب لمن لا قرن له يجاريه (٤) العدو: الأرض المرتفعة

« وَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ : إِنَّهُ أُنْدَلُسِيٌّ يُبَايِثُ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

« وَقَالَ الْوَزِيرُ » لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي بَعْضِ كَلَامٍ لَهُ أُجْرِيَ فِيهِ ذِكْرُ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ ، بِبَرَكََةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ ، مَا نَصَّهُ : خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرَّيْعِ ^(١) ، وَغَدَقَ ^(٢) السُّقْيَا ، وَلَدَاذَةَ الْأَقْوَاتِ ، وَفَرَاهَةَ ^(٣) الْحَيَوَانِ ، وَدُرُورَ الْفَوَاكِهِ ، وَكَثْرَةَ الْمِيَاهِ ، وَتَبَخَّرَ ^(٤) الْعُمُرَانِ ، وَجَوْدَةَ اللَّبَاسِ ، وَشَرَفَ الْآيَةِ ، وَكَثْرَةَ السَّلَاحِ ، وَصِحَّةَ الْهَوَاءِ ، وَأَيْضَاضِ أَلْوَانِ الْإِنْسَانِ ، وَتَبَلُّلِ الْأَذْهَانِ ، وَفُتُونِ الصَّنَائِعِ ، وَشَهَامَةِ الطَّبَاعِ ، وَتُؤْوِذِ الْإِذْرَاكِ ، وَإِحْكَامِ التَّمَذُّنِ وَالِاعْتِمَارِ ^(٥) بِمَاحِرِمِهِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَقْطَارِ مِمَّا سِوَاهَا « انْتَهَى »

« قَالَ أَبُو عَامِرٍ السَّلْمِيُّ » فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِدُرَرِ

وصف بلاد
الأندلس

(١) أى النماء (٢) الغدق : اللاء الكثير العام . وفى التنزيل « لأسنة ينهمر ماء غدقا » (٣) الفراهة : النشاط والحفة ، يقال غلام فاره ، ويوصف بها الحمار والبغل ، ولا يقال فرس فاره ، وإنما جواد ، ورائع (٤) أى سقته (٥) الاعتار : القصد الى موضع عامر

الْقَلَائِدِ وَغَرَرِ الْفَوَائِدِ : الْأَنْدَلُسُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الشَّامِيِّ ،
وَهُوَ خَيْرُ الْأَقَالِيمِ وَأَعْدَلُهَا هَوَاءً وَتُرَابًا ، وَأَعْذَبُهَا مَاءً ،
وَأَطْيَبُهَا هَوَاءً وَحَيَوَانًا وَنَبَاتًا ، وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ ، وَخَيْرُ
الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . انْتَهَى

« قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ : الْأَنْدَلُسُ شَامِيَّةٌ فِي وَصْفِ آخِرِ
طَبِيعِهَا وَهَوَائِهَا ، يَمَانِيَّةٌ فِي أَعْدَالِهَا وَأَسْتَوَائِهَا ، هِنْدِيَّةٌ فِي
عَطْرِهَا وَذَكَائِهَا ، أَهْوَازِيَّةٌ فِي عِظَمِ جِبَالِهَا ، صِينِيَّةٌ فِي
جَوَاهِرِ مَعَادِنِهَا ، عَدْنِيَّةٌ ^(١) فِي مَنَافِعِ سَوَاحِلِهَا ، فِيهَا آثَارُ
عَظِيمَةِ الْيُونَانِيِّينَ أَهْلِ الْحِكْمَةِ وَحَامِلِي الْفَلَسَفَةِ ، وَكَانَ
مِنْ مُلُوكِهِمُ الَّذِينَ أَثَرُوا ^(٢) الْآثَارَ بِالْأَنْدَلُسِ هِرَقْلِسُ ، وَلَهُ
الْأَثَرُ فِي الصَّنَمِ بِجَزِيرَةِ قَادِسَ ، وَصَنَمَ جَلِيقِيَّةَ ، وَالْأَثَرُ
فِي مَدِينَةِ طَرْقُونَةَ ^(٣) الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ .

(١) أى كمدن وهى بلد بإحلال اليمن مشهورة بالحصب (٢) أثروا :
تركوا الآثار فيها (٣) طركونة : بلدة بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة
بينها وبين برشالونة ، وهى مدينة قديمة على شاطئ البحر ، وطركونة موضع
آخر بالأندلس من أعمال لبلة ، غربى قرطبة ، ولبللة كورة خصبة غزيرة
الزراع والشجر



محمد بن
الأندلسي

« قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ تَكُونُ مَسِيرَةً
عَمَائِرَهَا وَمُدُنُهَا نَحْوَ شَهْرَيْنِ ، وَلَهُمْ مِنَ الْمُدُنِ الْمَوْصُوفَةِ
نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ مَدِينَةً . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . وَنَحْوُهُ لِابْنِ
الْيَسَعِ إِذَا قَالَ : طُولُهَا مِنْ أَرْبُوعَةِ إِلَى أَشْبُونَةَ^(١) ، وَهُوَ قَطْعُ
سِتِّينَ يَوْمًا لِلْفَارِسِ الْمُجِدِّ . وَاتَّقِدَ بِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
يَقْتَضِي أَنَّ أَرْبُوعَةَ دَاخِلَةٌ فِي جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَالصَّحِيحُ
أَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْهَا ، وَالثَّانِي أَنَّ قَوْلَهُ سِتِّينَ يَوْمًا لِلْفَارِسِ الْمُجِدِّ
إِعْيَاءٌ وَإِفْرَاطٌ ، وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ : إِنَّهَا شَهْرٌ وَنِصْفٌ .

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » وَهَذَا يَقْرُبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْفَارِسِ
الْمُجِدِّ ، وَالصَّحِيحُ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّرِيفُ مِنْ أَنَّهَا مَسِيرَةُ
شَهْرٍ . وَكَذَا قَالَ الْحِجَارِيُّ^(٢) : وَقَدْ سَأَلْتُ الْمُسَافِرِينَ
الْمُحَقِّقِينَ عَنْ ذَلِكَ فَعَمِلُوا حِسَابًا بِالْمَرَّاحِلِ الْجَيِّدَةِ أَفْضَى
إِلَى نَحْوِ شَهْرٍ بَنِيْفٍ^(٣) قَلِيلٍ .

(١) ويقال أيضا : لشبونة ، وهي متصلة بشنترين قرية من البحر المحيط
(٢) أظنه : الحجاري : نسبة الى وادي الحجارة « جمع حجر » كورة
بالأندلس ينسب اليه محمد بن ابراهيم بن حيون الحجاري الأنديسي
الاديب الشاعر المحدث . وينسب اليه أيضا أبو بكر عبيد الباقي بن محمد
ابن سعيد بن براهيم الحجاري توفى بمدينة بلنسية سنة ٥٠٢ (٣) النيف :
الزائد - ولا يقال الا بعد عقد



« قَالَ الْحِجَارِيُّ » فِي مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: إِنَّ طُولَ
الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْحَاجِزِ إِلَى أَشْبُونَةَ أَلْفُ مِيلٍ وَنِيفَ. انْتَهَى .
وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمُرَادُ التَّقْرِيبُ مِنْ غَيْرِ مُشَاحَّةٍ ^(١) كَمَا قَالَهُ
ابْنُ سَعِيدٍ وَأُطَالَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: وَمَسَافَةُ
الْحَاجِزِ الَّذِي بَيْنَ بَحْرِ الرُّزْقِاقِ ^(٢) وَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ أَرْبَعُونَ
مِيلًا، وَهَذَا عَرْضُ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ رَأْسِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
وَوَلِقَلَّتِهِ سُمِّيَتْ جَزِيرَةً، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِجَزِيرَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ
لَا تَصَالِ هَذَا الْقَدْرُ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ. وَعَرْضُ جَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ فِي مُوسَطِّهَا عِنْدَ طُلَيْطَلَةَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَاتَّفَقُوا
عَلَى أَنَّ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ مُثَلَّثَةُ الشَّكْلِ، وَأَخْتَلَفُوا فِي
الرُّكْنِ الَّذِي فِي الشَّرْقِ وَالْجَنُوبِ فِي حَيْزِ أَرْبُونَةَ، فَمِنْ
قَالَ: إِنَّهُ فِي أَرْبُونَةَ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تُقَابِلُهَا مَدِينَةُ
بَرْذِيلَ ^(٣) الَّتِي فِي الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الرَّازِيُّ، وَأَبْنُ حَيَّانَ، وَفِي كَلَامٍ غَيْرِهِمَا أَنَّهُ فِي جِهَةِ أَرْبُونَةَ.

(١) مشاحة: أي جدال ولا معنى لفك الادلغام فيها كافي الاصل بل يجب ادغام
الثلثين (٢) بحر الرزقاق: المراد به مضيق جبل طارق (٣) لم نثر في المعاجم على
اسم هذه المدينة، وقد تكون محرفة عن (برذيش) وهي من مدن قرمونية
بالأندلس. وقرمونية كورة يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة
(١٧ - نفع الطيب - أول)

وَحَقَّقَ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِتِلْكَ الْجَهَةِ لِتَرَدُّدِهِ
فِي الْأَسْفَارِ بَرًّا وَبَحْرًا إِلَيْهَا وَتَفَرُّغِهِ لِهَذَا الْفَنِّ .

« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » : وَسَأَلْتُ جَمَاعَةً مِنْ عُلَمَاءِ هَذَا
الشَّانِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ الصَّحِيحَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ ،
وَأَنَّ أَرْبُونَةَ وَبَرْشِلُونَةَ غَيْرُ دَاخِلَتَيْنِ فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ ،
وَأَنَّ الثَّرَكْنَ الْمَوْفِي^(١) عَلَى بَحْرِ الرِّثَاقِ بِالْمَشْرِقِ بَيْنَ
بَرْشِلُونَةَ وَطَرَّ كُونَةَ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِوَادِي زَنْلَقُطُو ،
وَهُنَالِكَ الْحَاجِزُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْأَرْضِ
الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَلْسُنِ الْكَثِيرَةِ ، وَفِي هَذَا الْمَكَانِ
جَبَلُ الْبَرِّ الْفَاصِلُ فِي الْحَاجِزِ الْمَذْكُورِ ، وَفِيهِ الْأَبْوَابُ
الَّتِي فَتَحَهَا مَلِكُ الْيُونَانِيِّينَ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ وَالْحُلِّ ، وَلَمْ
يَكُنْ لِلْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ ذَلِكَ طَرِيقٌ
فِي الْبَرِّ . وَذَكَرَ الشَّرِيفُ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْوَابَ يَقَعُ فِي
مُقَابَلَتِهَا فِي بَحْرِ الرِّثَاقِ الْبَحْرُ الَّذِي بَيْنَ جَزِيرَتَيْ
مَيُورْقَةَ وَمَنُورْقَةَ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي ذَلِكَ جُمْهُورُ الْمُسَافِرِينَ لِتِلْكَ
النَّاحِيَةِ . وَمَسَافَةُ هَذَا الْجَبَلِ الْحَاجِزِ بَيْنَ الثَّرَكَنِ الْجَنُوبِيِّ وَالثَّرَكَنِ

الشَّامِلِيُّ أَرْبَعُونَ مِيلًا . قَالَ : وَشَمَالُ الزُّكْنِ الْمَذْكُورِ عِنْدَ
مَدِينَةِ بَرْذِيلَ ، وَهِيَ مِنْ مَدْنِ الْإِفْرِنجَةِ مُطْلَقَةً عَلَى الْبَحْرِ
الْمُحِيطِ فِي شَمَالِ الْأَنْدَلُسِ . قَالَ : وَيَتَقَهَّرُ الْبَرُّ بَعْدَ تَحْيِيزِ
هَذَا الزُّكْنِ إِلَى الشَّامِلِ فِي بِلَادِ الْفِرَنْجَةِ ، وَلَهُمْ بِهِ جَزَائِرُ
كَثِيرَةٌ ، وَدَوَكْرَا^(١) مِنْ الزُّكْنِ الشَّامِلِيِّ عِنْدَ «سَنْتِ يَاقُو»^(٢)
مِنْ سَاحِلِ الْجَلَالِقَةِ فِي شَمَالِ الْأَنْدَلُسِ حَيْثُ تَبْتَدِئُ
جَزِيرَةُ بَرطَانِيَةِ الْكَبِيرَةِ فَيَتَصَوَّرُ هُنَاكَ بَحْرٌ دَاخِلٌ
بَيْنَ أَرْضَيْنِ . مِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْعَلُهُ بَحْرًا مُفْرَدًا خَارِجًا عَنِ
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لَطُولِهِ إِلَى الزُّكْنِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ عِنْدَ
مَدِينَةِ بَرْذِيلَ .

« وَذَكَرَ الشَّرِيفُ » : أَنَّ عِنْدَ «سَنْتِ يَاقُو»^(٢) فِي هَذَا
الزُّكْنِ الْمَذْكُورِ عَلَى جَبَلٍ يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ صَنَمًا مُطْلَأًا
مُشَبَّهًا بِصَمِّ قَادِسَ ، وَالزُّكْنُ الثَّالِثُ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ جَبَلِ
الْأَغْنِ حَيْثُ صَمِّ قَادِسَ ، وَالْجَبَلُ الْمَذْكُورُ يَدْخُلُ مِنْ
غَرْبِهِ مَعَ جَنْوَبِهِ بَحْرُ الزُّقَاقِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ مَارًا مَعَ

(١) ينظر هذه الأسماء والا فالمرءوف أن (دورقة) مدينة من بطن
سرقسطة و (سنت ياقب) قلعة حصينة بالاندلس

سَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ الْجَنُوبِيِّ إِلَى جَبَلِ الْبَرْتِ الْمَذْكُورِ .
انْتَهَى .

وَالْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا طَوِيلٌ الدَّيْلُ

« قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى الرَّازِي : بَلَدُ
الْأَنْدَلُسِ هُوَ آخِرُ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَهُوَ
عِنْدَ الْحُكَمَاءِ بَلَدٌ كَرِيمٌ الْبُقْعَةُ ، طَيِّبُ التُّرْبَةِ ، خِصْبُ
الْجَنَابِ ، مُنْبَجِسٌ ^(١) الْأَنْهَارِ الْغِزَارِ وَالْعِيُونِ الْعِذَابِ ، قَلِيلُ
الْهَوَاءِ ذَوَاتِ السُّمُومِ ، مُعْتَدِلُ الْهَوَاءِ وَالْجَوِّ وَالنَّسِيمِ ،
رَبِيعُهُ وَخَرِيفُهُ وَمَشْتَاؤُهُ وَمَصِيفُهُ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الْإِعْتِدَالِ ،
وَسَطَةٌ ^(٢) مِنَ الْخَالِ ، لَا يَتَوَلَّدُ فِي أَحَدِهَا فَصْلٌ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ فِيمَا
يَتَلَوُّهُ أُنْتِصَاصٌ ، تَتَّصِلُ فَوَاحِيهِ أَكْثَرُ الْأَزْمِنَةِ ، وَتَدْوُمُ
مُتَلَاحِقَةً غَيْرَ مَفْقُودَةٍ . أَمَّا السَّاحِلُ مِنْهُ وَنَوَاحِيهِ فَيَبَادِرُ
بِأَكْثَرِهِ ^(٣) ، وَأَمَّا الْغُرُ وَجِهَاتُهُ ، وَالْجِبَالُ الْمَخْصُوصَةُ
بِبَرْدِ الْهَوَاءِ فَيَتَأَخَّرُ بِالْكَثِيرِ مِنْ ثَمَرِهِ ، فَمَادَّةُ الْخَلِيرَاتِ
بِالْبَلَدِ مُتَمَادِيَةٌ فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ ، وَفَوَاحِيهِ عَلَى الْجُمْلَةِ

وصف اقليم
الأندلس

(١) منبجس الانهار : متفجر الانهار (٢) سطة : مصدر كالوسط : نى
الاعتدال (٣) البا كور : المعجل المحي . والادراك من كل شئ

غَيْرُ مَعْدُومَةٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَلَهُ خَوَاصُّ فِي كَرَمِ النَّبَاتِ
تُؤَافِقُ فِي بَعْضِهَا أَرْضَ الْهِنْدِ الْمَخْصُوصَةَ بِكَرَمِ النَّبَاتِ
وَجَوَاهِرِهِ ، مِنْهَا أَنَّ الْمَخْلَبَ وَهُوَ الْمُقَدَّمُ فِي الْأَفَاوِيهِ ^(١) ،
وَالْمُفْضَلُ فِي أَنْوَاعِ الْأَشْنَانِ ^(٢) لَا يَنْبُتُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ
إِلَّا بِالْهِنْدِ وَالْأَنْدَلُسِ . وَلِلْأَنْدَلُسِ الْمُدُنُ الْحَصِينَةُ ،
وَالْمَعَاوِلُ الْمُنِيعَةُ ، وَالْقَلَاعُ الْحَرِيرَةُ ، وَالْمَصَانِعُ الْجَلِيلَةُ ،
وَلَهَا الْبَرُّ وَالْبَحْرُ ، وَالسَّهْلُ وَالْوَعْرُ ، وَشَكْلُهَا مُثَلَّثٌ ،
وَهِيَ مُعْتَمِدَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ : الْأَوَّلُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي
فِيهِ صَمٌّ قَادِسٌ الْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْهُ مَخْرَجُ الْبَحْرِ
الْمُتَوَسِّطِ الشَّامِيِّ الْأَخِذِ بِقِبْلِي الْأَنْدَلُسِ ، وَالرَّكْنُ
الثَّانِي هُوَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ بَيْنَ مَدِينَةِ بَرْبُونَةَ ^(٣) وَمَدِينَةِ
بَرْذِيلَ ، مِمَّا بِيَايِدِي الْفَرَنْجَةِ الْيَوْمَ بِإِزَاءِ جَزِيرَتِي مَيُورَقَةَ
وَمَنُورَقَةَ ، بِمَجَاوَرَةٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ : الْبَحْرِ الْمُحِيطِ

(١) أى التوابل التى تدخل فى طهى الطعام لاصلاحه كالفلفل والدارصبنى
والقرقة والزنجبيل والدارفلفل (٢) الاشنان : الحرض ومنه العصفى الذى
يصنع به (٣) لعلها أربونة

وَالْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، وَيَنْتَهَمَا الْبَرُّ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْأَبْوَابِ،
وَهُوَ الْمَدْخَلُ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ
عَلَى بَلَدِ إِفْرَنْجِيَّةَ، وَمَسَافَتُهُ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ،
وَمَدِينَتُهُ بَرْبُوتَةُ تَقَابِلُ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ. وَالرُّكْنُ الثَّالِثُ
مِنْهَا هُوَ مَا بَيْنَ الْجُوفِ^(١) وَالْغَرْبِ مِنْ حَيْزِ جِلْدِيَّةَ حَيْثُ
الْجَبَلُ الْمُؤَفَّى عَلَى الْبَحْرِ، وَفِيهَا الصَّنَمُ الْعَالِي الْمُسَبَّهُ بِصَمِّ
قَادِسَ، وَهُوَ الطَّالِعُ عَلَى بَلَدِ بَرِطَانِيَّةَ. قَالَ: وَالْأَنْدَلُسُ
أَنْدَلُسانَ فِي اخْتِلَافِ هُبُوبِ أَرْيَاحِهَا وَمَوَاقِعِ أَمْطَارِهَا،
وَجَرَيَانِ أَنْهَارِهَا: أَنْدَلُسُ غَرْبِيٌّ، وَأَنْدَلُسُ شَرْقِيٌّ، فَالْغَرْبِيُّ
مِنْهَا مَا جَرَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ، وَتُمِطَرُ
بِالرِّيَّاحِ الْغَرْبِيَّةِ، وَمُبْتَدَأُ هَذَا الْحَوْزِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ مَعَ
الْمَفَازَةِ الْخَارِجَةِ مَعَ الْجُوفِ إِلَى بَلَدِ شَنْتَمِرِيَّةَ^(٢) طَالِعًا إِلَى
حَوْزِ أَغْرِيطَةِ الْمُجَاوِرَةِ لُطَيْطِلَةَ، مَا نِلَّا إِلَى الْغَرْبِ، وَمُجَاوِرًا

(١) الجوف : الطمان من الأرض، والجوف أيضا أرض مطمئنة وأخرجة
في البحر في غربي الاندلس مشرفة على البحر المحيط - والجوف أيضا
من اقليم « أكشونية » من الاندلس يفصل عملها بعمل أشبونة غربي
قرطبة، (٢) شنت مربة : حصن من أعمال « شنت برية » للتصلة بحوز
مدينة سالم شرق قرطبة

لِلْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ الْمُوَازِي لِقَرطاجنة الخلفاء^(١)، الَّتِي مِنْ بَلَدِ
لُورَقَة، وَالْحُوزُ الشَّرْقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَنْدَلُسِ الْأَقْصَى،
وَتَجْرِي أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الشَّرْقِ، وَأَمطارُهُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ،
وَهُوَ مِنْ حَدَجَبَلِ الْبُشْكَنْشِ هَابِطًا مَعَ وَادِي «إبرة» إِلَى بَلَدِ
شَنْتِ مَرِيَّةَ، وَمِنْ جَوْفِ هَذَا الْبَحْرِ وَغَرِبِهِ الْمُحِيطُ، وَفِي
الْقِبْلَةِ مِنْهُ الْبَحْرُ الْغَرْبِيُّ الَّذِي مِنْهُ يَجْرِي الْبَحْرُ الْمُتَوَسِّطُ
أَخَارِجُ إِلَى بَلَدِ الشَّامِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُسَمَّى بِبَحْرِ تِيرَانٍ، وَمَعْنَاهُ
الَّذِي يَشُقُّ دَائِرَةَ الْأَرْضِ، وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الْكَبِيرَ. انْتَهَى.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفُ
بِابْنِ النَّظَّامِ : بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ :
فَالْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ مِنْهُ مَا صَبَّتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ
الْمُتَوَسِّطِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْ أَسْفَلِ أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ،
وَذَلِكَ مَا بَيْنَ مَدِينَةِ تَدْمِيرَ إِلَى سَرَقُسطَةَ، وَالْأَنْدَلُسُ
الْغَرْبِيُّ مَا صَبَّتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ

(١) أظنها محرفة عن « قرطاجنة الخلفاء » قرية قريبة من آلبش من أعمال
تدمير - قال ياقوت : وقد خربت لأن ماء البحر استولى على أكثرها فبقى منها
طائفة وبها إلى الآن قوم ، وكانت عملت على منال قرطاجنة التي بافريقية،
و « تدمير » كورة شرقي قرطبة، ولورقة، أولرقة مدينة من أعمال تدمير أيضا

بِالْمُحِيطِ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ أَخَذَ إِلَى سَاحِلِ الْمَغْرِبِ ، فَالْشَّرْقِ
 مِنْهُمَا يُمَطِّرُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَصْلُحُ عَلَيْهَا ، وَالْمَغْرِبِ
 يُمَطِّرُ بِالرَّيْحِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَبِهَا صَلاَحُهُ ، وَجِبَالُهُ هَابِطَةٌ إِلَى
 الْغَرْبِ جَبَلًا بَعْدَ جَبَلٍ ، وَإِنَّمَا قَسَمَتُهُ الْأَوَائِلُ جُزْءَيْنِ
 لِاخْتِلَافِهِمَا فِي حَالِ أَمْطَارِهِمَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتِ
 الرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ ، كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ ، وَقَحِطَ^(١)
 الْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ ، وَمَتَى اسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ ،
 كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ الشَّرْقِيِّ ، وَقَحِطَ الْغَرْبِيُّ ، وَأَوْدِيَةُ هَذَا
 الْقِسْمِ تَجْرِي مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ .
 وَجِبَالُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ تَمْتَدُّ إِلَى الشَّرْقِ جَبَلًا بَعْدَ جَبَلٍ
 تَقْطَعُ مِنَ الْجَوْفِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَالْأَوْدِيَةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ
 تِلْكَ الْجِبَالِ يَقْطَعُ بَعْضُهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الشَّرْقِ ،
 وَتَنْصَبُّ كُلُّهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِالْأَنْدَلُسِ الْقَاطِعِ إِلَى
 الشَّامِ ، وَهُوَ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ ، وَمَا كَانَ مِنْ بِلَادٍ جَوْفِي
 الْأَنْدَلُسِ مِنْ بِلَادٍ جَلِيقِيَّةٍ وَمَا يَلِيهَا ، فَإِنَّ أَوْدِيَتَهُ تَنْصَبُّ
 إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمُحِيطِ بِنَاحِيَةِ الْجَوْفِ .

(١) قحط : أصابه القحط والجذب من احتباس المطر



« وَصِفَةُ الْأَنْدَلُسِ » شَكْلُ مُرْكَنْ^(١) عَلَى مِثَالِ
الشَّكْلِ الْمُثَلَّثِ، رُكْنُهَا الْوَاحِدُ فِيمَا بَيْنَ الْجَنُوبِ
وَالْمَغْرِبِ، حَيْثُ أَجْتَمَعَ الْبَحْرَيْنِ عِنْدَ صَمِّ قَادِس^(٢)،
وَرُكْنُهَا الثَّانِي فِي بَلَدَةِ جَلِيقِيَّةَ، حَيْثُ الصَّمِّ الْمُشْبَهُ
صَمِّ قَادِسٍ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ بَرِطَانِيَّةَ، وَرُكْنُهَا الثَّلَاثُ
بَيْنَ مَدِينَةِ بَرْبُوتَةَ وَمَدِينَةِ بَرْدِيلٍ مِنْ بَلَدِ الْفَرَنْجَةِ،
بَحْثُ يَقْرُبَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ مِنَ الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْمُتَوَسِّطِ،
فِيكَادَانِ يَحْتَمِعَانِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَيَصِيرُ بَلَدُ
الْأَنْدَلُسِ جَزِيرَةً بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ، لَوْلَا أَنَّهُ يَبْقَى
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ^(٣) بَرِّيَّةٌ صَحْرَاءُ وَعِمَارَةٌ مَسَافَةٌ مَسِيرَةِ يَوْمٍ
لِلرَّاكِبِ، مِنْهُ الْمَدْخَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ، وَمِنْ قِبَلِهِ^(٤) يَتَّصِلُ بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ بِتِلْكَ
الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَلْسُنِ
الْمُخَلَّفَةِ. قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى قَدِيمِ

(١) مركن: أي ذو أركان (٢) قادس: جزيرة في غربي الأندلس قريبة من البر
بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البر (٣) البرزخ:
جزء ضيق من الأرض يوصل بلدين ويقع بين بحرَيْن (٤) قبله: جهته

الْأَيَّامِ فِيمَا تَقَلَّهُ الْأَخْبَارِيُّونَ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ الطُّوفَانِ
 عَلَى مَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاءُ عَجَبَهَا قَوْمٌ يُعْرِقُونَ بِالْأَنْدَلُسِ
 مُعْجَبَةً الشَّيْنِ، بِهِمْ سُمِّيَ الْمَكَانُ، فَمَرَّبَ فِيمَا بَعْدُ بِالسَّيْنِ
 غَيْرِ الْمُعْجَبَةِ، كَانُوا الَّذِينَ عَمَرُوهَا وَتَنَاسَلُوا فِيهَا، وَتَدَاوَلُوا
 مُلْكَهَا دَهْرًا عَلَى دِينِ التَّمَجُّسِ^(١) وَالْإِهْمَالِ وَالْإِفْسَادِ فِي
 الْأَرْضِ، ثُمَّ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ فَجَبَسَ الْمَطَرَ عَنْهُمْ،
 وَوَالَى الْقَحْطَ عَلَيْهِمْ، وَأَعْطَشَ بِلَادَهُمْ حَتَّى نَضَبَتْ مِيَاهُهَا،
 وَغَارَتْ عُيُونُهَا، وَبَيَّسَتْ أَنْهَارُهَا، وَبَادَتْ أَشْجَارُهَا
 فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ، وَفَرَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُمْ، فَاقْفَرَتْ
 الْأَنْدَلُسُ مِنْهُمْ، وَبَقِيَتْ خَالِيَةً فِيمَا يَزْعُمُونَ مِائَةَ سَنَةٍ
 وَبِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ حَدِّ بَلَدِ الْفَرَنْجَةِ إِلَى حَدِّ
 بَحْرِ الْغَرْبِ الْأَخْضَرِ، وَكَانَ عِدَّةُ مَا عَمَرَهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ
 أَلْبَانِدَةَ مِائَةَ عَامٍ وَبِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ ابْتَعَثَ اللَّهُ لِعِمَارَتِهَا
 الْأَفَاقَةَ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ إِقْفَارِهَا تِلْكَ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ
 قَوْمٌ مِنْهُمْ أَجْلَاهُمْ مَلِكٌ إِفْرِيقِيَّةٌ تَخَفُّفًا مِنْهُمْ لِإِحْجَالٍ^(٢)

(١) التمجس : الدخول في دين المجوس (٢) الاحمال : الجلب والقشط

تَوَالَى عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَرَدَّدَ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَادَ يُفْنِيهِمْ ،
فَحَمَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا فِي السُّفُنِ مَعَ قَائِدٍ مِنْ قِبَلِهِ يُدْعَى
أَبْطَرِيقْسَ ، فَأَرْسَوْا بِرَيْفِ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ ، وَأَخْتَلَوْا
بِجَزِيرَةِ قَادِسَ ، فَأَصَابُوا الْأَنْدَلُسَ قَدْ أُمْطِرَتْ ،
وَأَخْصَبَتْ فَجَرَتْ أَنْهَارُهَا ، وَأَنْفَجَرَتْ عُيُونُهَا ،
وَحَيَّتْ أَشْجَارُهَا ، فَتَزَلُّوا الْأَنْدَلُسَ مُتَغَبِّطِينَ ،
وَسَكَنُوهَا مُتَعَمِّرِينَ ، وَتَوَالَّدُوا فِيهَا فَكَثُرُوا ،
وَأُسْتُوسِعُوا فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ السَّاحِلِ الَّذِي
أَرْسَوْا فِيهِ بِغَرْبِهَا إِلَى بَلَدِ الْإِفْرِجَةِ مِنْ شَرْقِهَا ،
وَلَصَبُوا^(١) مِنْ أَنْفُسِهِمْ مُلُوكًا عَلَيْهِمْ ، ضَبَطُوا أَمْرَهُمْ ،
وَتَوَالَوْا^(٢) عَلَى إِقَامَةِ دَوْلَتِهِمْ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى دِيَانَةِ
مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَتْ دَارُ مَمْلَكَتِهِمْ
طَالِقَةً الْخَرَابِ الْيَوْمَ مِنْ أَرْضِ إِشْبِيلِيَّةَ ، اخْتَرَعَهَا
مُلُوكُهُمْ وَسَكَنُوهَا ، فَاتَّسَقَ مُلْكُهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ
مِائَةً وَسَبْعَةً وَخَمْسِينَ عَامًا ، إِلَى أَنْ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى

وَنَسَخَهُمْ^(١) بِعَجَمِ رُومَةَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ
 الْأَفَارِقَةِ فِي مُدَّتِهِمْ تِلْكَ أَحَدَ عَشَرَ مَلِكًا ، ثُمَّ صَارَ
 مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَهُمْ إِلَى عَجَمِ رُومَةَ ، وَمَلِكُهُمْ
 إِشْبَانُ بْنُ طَيْطَشَ وَبِاسْمِهِ تُمَيْتُ الْأَنْدَلُسُ إِشْبَانِيَّةٌ .
 وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ اسْمَهُ أَصْبَهَانُ فَأُحِيلَ بِلِسَانِ الْعَجَمِ
 وَقِيلَ : بَلَى كَانَ مَوْلِدُهُ بِأَصْبَهَانَ فَقَلَّبَ اسْمُهَا عَلَيْهِ ،
 وَهُوَ الَّذِي بَنَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَكَانَ أَشْبَانِيَّةُ اسْمًا خَالِصًا
 لِبَلَدِ إِشْبِيلِيَّةِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُهُ إِشْبَانُ هَذَا ، ثُمَّ غَلَبَ
 الْإِسْمُ بَعْدَهُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ كُلِّهِ ، فَالْعَجَمُ الْآنَ يُسَمُّونَهُ
 إِشْبَانِيَّةَ لِأَثَارِ إِشْبَانَ هَذَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدَ الْمُلُوكِ
 الَّذِينَ مَلَكَوا أَقْطَارَ الدُّنْيَا فِيمَا زَعَمُوا ، وَكَانَ غَزَا
 الْأَفَارِقَةَ عِنْدَ مَا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي جُوعِهِ ، فَفَضَّ
 عَسَاكِرَهُمْ ، وَأَثْنَحَ^(٢) فِيهِمْ ، وَتَزَلَّ عَلَيْهِمْ بِقَاعِدَتِهِمْ
 طَالِقَةً وَقَدْ تَحَصَّنُوا فِيهَا مِنْهُ ، فَأَبْتَنَى عَلَيْهِمْ مَدِينَةَ

(١) نسخهم : أزالهم واستبدل بهم غيرهم (٢) أثحن فيهم : بالغ في قتلهم

إِسْبِيلِيَّةَ الْيَوْمَ ، وَأَتَّصَلَ حَصْرُهُ وَقِتَالُهُ لَهُمْ حَتَّى فَتَحَهَا
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَبَهُمْ ، وَأُسْتُوتَ لَهُ مَمْلَكَةُ الْأَنْدَلُسِ
 بِأَسْرِهَا ، وَدَانَ لَهُ مَنْ فِيهَا ، فَهَدَمَ مَدِينَةَ طَالِقَةَ وَنَقَلَ رُحَامَهَا
 وَآلَاتِهَا إِلَى مَدِينَةِ إِسْبِيلِيَّةَ ، فَاسْتَمَّ بِنَايَهَا وَأَتَّخَذَهَا
 دَارَ مَمْلَكَتِهِ وَأَسْتَغْلَظَ^(١) سُلْطَانُهُ فِي الْأَرْضِ وَكَثُرَتْ
 جُمُوعُهُ ، فَمَلَأَ وَعَظُمُ عُتُوهُ^(٢) ، ثُمَّ غَزَا إِيْلِيَا وَهِيَ الْقُدْسُ
 الشَّرِيفُ مِنْ إِسْبِيلِيَّةَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ مُلْكِهِ ، خَرَجَ
 إِلَيْهَا فِي أَلْسُنِ فَنَنِيهَا وَهَدَمَهَا ، وَقَتَلَ فِيهَا مِنَ الْيَهُودِ
 مِائَةَ أَلْفٍ ، وَأَسْتَرْقَ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَنَقَلَ رُحَامَ إِيْلِيَا وَآلَاتِهَا
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَفَهَرَ الْأَعْدَاءَ وَأَشْتَدَّ سُلْطَانُهُ .



«وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : أَنَّ الْفَرَائِبَ الَّتِي أُصِيبَتْ^(٣) غَرَابِيبُ الْأَنْدَلُسِ

فِي مَنَازِمِ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ فَتْحِهَا^(٤) كَمَا ئِدَةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الَّتِي أَلْفَاها طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ بِكَنِيسَةِ
 طَلِيطَلَةَ ، وَقَلِيلَةَ^(٥) الدَّرُّ الَّتِي أَلْفَاها مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِكَنِيسَةِ

(١) أى قوى وعظم (٢) العتو : الاستكبار وتجاوز الحد (٣) أصيبت :

أُخِذَتْ وَوُجِدَتْ (٤) أى الفتح الإسلامى لها (٥) تصغير قلة

مَارِدَةً وَغَيْرِهَا مِنْ طَرَائِفِ اللَّخَائِرِ إِنَّمَا كَانَتْ مِمَّا صَارَ
لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَنِيمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، إِذْ حَضَرَ فَتَحَهَا
مَعَ مُخْتَصَرٍ ، وَكَانَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَلِكِ بَرْيَانَ ، وَفِي سَهْمِهِ وَقَعَ
ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مِمَّا كَانَتْ الْجُنُ تَأْتِي بِهِ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ
عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
انْتَهَى .



« وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ » : كَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
الْأَفْصَى يُضَرُّونَ بِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِاتِّصَالِ الْأَرْضِ ، وَيَلْقَوْنَ
مِنْهُمْ الْجُهْدَ الْجُهْدَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، إِلَى أَنْ أُجْتَازَ بِهِمْ
الْإِسْكَنْدَرُ ، فَشَكَّوْا حَالَهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ الْمُهَنْدِسِينَ ،
وَحَضَرَ إِلَى الزُّقَاقِ ، فَأَمَرَ الْمُهَنْدِسِينَ بِوَزْنِ سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ
الْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ ^(١) ، فَوَجَدُوا الْمُحِيطَ يَمْلُؤُ الْبَحْرَ
الشَّامِيَّ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ الْبِلَادِ الَّتِي عَلَى سَاحِلِ
الْبَحْرِ الشَّامِيِّ وَتَقْلِيلِهَا مِنَ الْخَضِيفِ إِلَى الْأَعْلَى ، ثُمَّ أَمَرَ

اجتياز
الاسكندر
بالاندلس

بِحَقْرِ مَا بَيْنَ طَنْجَةِ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَحُفِرَتْ
 حَتَّى ظَهَرَتْ الْجِبَالُ السُّفْلِيَّةُ ، وَبَنَى عَلَيْهَا رَصِيفًا بِالْحَجَرِ
 وَالْجِيَارِ ^(١) بِنَاءً مُحْكَمًا ، وَجَعَلَ طُولَهُ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا ، وَهِيَ
 الْمَسَافَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ، وَبَنَى رَصِيفًا آخَرَ
 يُقَابِلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ طَنْجَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَ الرَّصِيفَيْنِ سَعَةً سِتَّةَ
 أَمْيَالٍ ، فَلَمَّا كَمَلَ الرَّصِيفَانِ حَفَرَ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
 وَأَطْلَقَ فَمَ الْمَاءِ بَيْنَ الرَّصِيفَيْنِ فَدَخَلَ فِي الْبَحْرِ الشَّامِيِّ ،
 ثُمَّ فَاضَ مَآوُهُ فَأَغْرَقَ مُدُنًا كَثِيرَةً ، وَأَهْلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً
 كَانَتْ عَلَى الشُّطْنَيْنِ ، وَطَفَأَ ^(٢) الْمَاءَ عَلَى الرَّصِيفَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ
 قَامَةً . فَأَمَّا الرَّصِيفُ الَّذِي بَلَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ
 فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ إِذَا تَقَصَّ الْمَاءُ ظُهُورًا بَيْنًا مُسْتَقِيمًا
 عَلَى خَطٍّ وَاحِدٍ ، وَأَهْلُ الْجَزِيرَتَيْنِ يُسَمُّونَهُ الْقَنْطَرَةَ .
 وَأَمَّا الرَّصِيفُ الَّذِي مِنْ جِهَةِ الْعُدُودِ فَإِنَّ الْمَاءَ حَمَلَهُ فِي
 صَدْرِهِ ، وَاحْتَفَرَ مَا خَلْفَهُ مِنَ الْأَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا ، وَعَلَى

(١) الجيار : الجص اذا خلط بالنورة (٢) طفا الماء : علا ، وقد تكون طغى

طَرَفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ قَصْرُ الْجَوَازِ وَسَبْتُهُ، وَطَنْجَةُ، وَعَلَى
طَرَفِهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى جَبَلُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ، وَجَزِيرَةُ
طَرِيفٍ، وَغَيْرُهُمَا، وَالْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ، وَبَيْنَ سَبْتَةٍ وَالْجَزِيرَةِ
الْخَضْرَاءِ عَرْضُ الْبَحْرِ. انْتَهَى مُلَخَّصًا. وَقَدْ تَكَرَّرَ بَعْضُهُ مَعَ
مَا جَلَبْنَاهُ وَالْمَذْرُوبِينَ لِارْتِبَاطِ الْكَلَامِ بِبَعْضِهِ بِبَعْضٍ.

« وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: » ذَكَرَ الشَّرِيفُ أَنْ لَاحَظَ لِأَرْضِ
الْأَنْدَلُسِ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ، قَالَ: وَيَمُرُّ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عَلَى سَاحِلِهَا الْجَنُوبِيِّ وَمَا قَارَبَهُ مِنْ قُرْطَبَةٍ
وَإِشْبِيلِيَّةَ، وَمُرْسِيَّةَ، وَبَلَنْسِيَّةَ، ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةَ
وَعَلَى مَا فِي سَمْتِهَا^(١) مِنَ الْجَزَائِرِ، وَالشَّمْسُ مُدْبِرَةٌ لَهُ. وَالْإِقْلِيمُ
الْخَامِسُ يَمُرُّ عَلَى طَلَيْطَلَةَ، وَسَرْقُسْطَةَ، وَمَا فِي سَمْتِهَا إِلَى بِلَادِ
أَرْغُونِ الَّتِي فِي جَنُوبِهَا بَرْشَلُونَةُ، ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى رُومِيَّةَ
وَبِلَادِهَا وَيَشُقُّ بَحْرَ الْبَنَادِقَةِ، ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ،
وَمُدْبِرَتُهُ الزُّهْرَةُ. وَالسَّادِسُ يَمُرُّ عَلَى سَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ
الشَّمَالِيِّ الَّذِي عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَمَا قَارَبَهُ وَبَعْضُ الْبِلَادِ

الدَّاخِلَةِ فِي قَشْتَالَةِ وَبُرْتَقَالِ وَمَا فِي سَمْتِهَا^(١)، وَعَلَى بِلَادِ بُرْجَانِ^(٢)
وَالصَّقَالِبَةِ وَالرُّوسِ، وَمُدَبَّرُهُ عَطَارِدُ. وَيَمُرُّ الْإِفْلِيمُ السَّابِعُ
فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّذِي فِي شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى جَزِيرَةِ
انْقَلَطِرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْجَزَائِرِ وَمَا فِي سَمْتِهَا مِنْ بِلَادِ
الصَّقَالِبَةِ وَبُرْجَانِ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَفِيهِ تَقَعُ جَزِيرَةُ تُولِي
وَجَزِيرَتَا أَجْبَالِ وَالنَّسَاءِ، وَبَعْضُ بِلَادِ الرُّوسِ الدَّاخِلَةِ فِي
الشَّمَالِ وَالْبُلْغَارِ، وَمُدَبَّرُهُ الْقَمَرُ. انْتَهَى.

« وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ النَّصَارَى حُرِمُوا جَنَّةَ
الْآخِرَةِ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَنَّةَ الدُّنْيَا بُسْتَانًا مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ
الْمُحِيطِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَعِنْدَهُمْ عُمُومُ
شَاهٍ^(٣) بَلُوطَ وَالْبَنْدُقُ وَالْجَوْزُ وَالْفُسْتُقُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا
يَكُونُ أَكْثَرَ وَأَمْكَنَ فِي الْأَقَالِيمِ الْبَارِدَةِ، وَالْتَمَرُ
عِنْدَهُمْ مَعْدُومٌ، وَكَذَا الْمَوْزُ وَقَصَبُ الشُّكْرِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ
شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي السَّاحِلِ لِأَنَّ هَوَاءَ الْبَحْرِ يُدْفِئُ. انْتَهَى.

(١) السمْت : الجهة والطريق ، ويقال : خذ في هذا السمْت أى النحو
والطريق (٢) بنواحى الحزر ، وكان المسلمون قد غزوه في أيام عثمان
رضى الله عنه (٣) الشجر المعروف بالكستنة أو « أبو فروة »



الحضر واشبان

« قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ فِي الْمُقْتَبَسِ : ذَكَرَ رُؤَاةُ الْعَجَمِ أَنَّ
الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَفَ عَلَى إِشْبَانَ الْمَذْكُورِ وَهُوَ
يَحْرُثُ الْأَرْضَ بِهَدْنٍ ^(١) لَهُ أَيَّامَ حِرَاسَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا إِشْبَانُ
إِنَّكَ لَدُو شَانٍ ، وَسَوْفَ يُحْطِيكَ زَمَانٌ ، وَيُعْلِيكَ سُلْطَانٌ ،
فَإِذَا أَنْتَ غَلَبْتَ عَلَى إِبِلِيَا ^(٢) فَارْفُقْ بِذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ . فَقَالَ
لَهُ إِشْبَانُ : أَسَاخِرُ ^(٣) بِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - ؟ أَتَنِي يَكُونُ هَذَا مِنِّي
وَأَنَا ضَعِيفٌ مُتَمَهَّنٌ حَقِيرٌ فَقِيرٌ ؟ لَيْسَ مِنِّي يَنَالُ السُّلْطَانُ .
فَقَالَ لَهُ : قَدْ قَدَّرَ ذَلِكَ فِيكَ مَنْ قَدَّرَ فِي عَصَاكَ الْيَابِسَةِ
مَا تَرَاهُ ، فَنَظَرَ إِشْبَانُ إِلَى عَصَاهُ فَإِذَا بِهَا قَدْ أَوْرَقَتْ ، فَرِيعٌ ^(٤)
لِمَا رَأَى مِنَ الْآيَةِ ، وَذَهَبَ الْخَضِرُ عَنْهُ وَقَدْ وَقَعَ الْكَلَامُ
بِجَلَدِهِ ، وَوَفَّرَتْ ^(٥) فِي نَفْسِهِ الثَّقَّةُ بِكَوْنِهِ ، فَتَرَكَ الْأَمْتِهَانَ مِنْ

(١) فدن. جمع فدان : وهو الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث عليهما .
والفدان أيضا : ما يجمع أداة الثورين في القران للحرث ، ولا يقال للواحد
فدان (٢) إبلية بيت المقدس قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إبلية مشرف

(٣) سخر به : هزأ به (٤) أي خاف (٥) وفرت : كثرت . ولعله وفرت

أي ثبتت وفرت وسكنت

وَقَتِهِ ، وَدَاخَلَ النَّاسَ وَصَحِبَ أَهْلَ الْبَاسِ مِنْهُمْ ، وَسَمَّا بِهِ
جَدُّهُ فَارْتَقَى فِي طَلَبِ السُّلْطَانِ ^(١) ، حَتَّى أَدْرَكَ مِنْهُ عَظِيمًا
وَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ ، ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِ مَا أَتَى عَلَى الْقُرُونِ قَبْلَهُ ،
وَكَانَ مُلْكُهُ كُلُّهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَتَمَادَى مُلْكُ الْإِسْبَانِيِّينَ
بَعْدَهُ إِلَى أَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ الْأَنْدَلُسَ خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ مَلِكًا ، ثُمَّ
دَخَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْإِسْبَانِيِّينَ مِنْ عَجَمٍ رُومَةٌ أُمَّةٌ يُدْعَوْنَ
الْبَشْتُولِقَاتِ ، وَمَلَكَهُمْ طَلْوَيْشُ بْنُ بَيْطَةَ ، وَذَلِكَ زَمَنٌ بَعَثَ
الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَوْا الْأَنْدَلُسَ مِنْ قَبْلِ
رُومَةٍ ، وَكَانُوا يَمْلِكُونَ إِفْرَنْجَةَ ، مَعَهَا وَيَبْعَثُونَ عُمَّالَهُمْ إِلَيْهَا ،
فَاتَّخَذُوا دَارَ مَمْلَكَتِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ مَدِينَةً مَارِدَةً ^(٢) ، وَأَسْتَوَلُوا
عَلَى مَمْلَكَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاتَّصَلَ مُلْكُهُمْ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ مَلَكَ
مِنْهُمْ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مَلِكًا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ
الْبَشْتُولِقَاتِ أُمَّةُ الْقُوطِ ^(٣) مَعَ مَلِكٍ لَهُمْ ، فَعَلَبُوا عَلَى الْأَنْدَلُسِ
وَاقْتَطَعُوا هَامِينَ يَوْمِئِذٍ مِنْ صَاحِبِ رُومَةٍ ، وَتَقَرَّدُوا بِسُلْطَانِهِمْ ،
وَاتَّخَذُوا مَدِينَةَ طَلَيْطَلَةَ دَارَ مَمْلَكَتِهِمْ ، وَأَقْرَبُوا بِهَا سَرِيرَ

(١) أى الملك والغلبة (٢) كورة واسعة من أعمال قرطبة ، احدى القواعد التى
تخبرتها للوك للسكنى من القياصرة والروم (٣) القوط الغربيون (الواندال)

مُلْكِهِمْ، فَبَقِيَ بِإِسْبِيلِيَّةَ عِلْمُ الْإِسْبَانِيِّينَ وَرِيَاسَةُ أَوْلِيَّتِهِمْ

عيسى عليه
السلام
والحواريون

« وَقَدْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ » بَعَثَ الْخَوَارِئِينَ (١) فِي
الْأَرْضِ يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَى دِيَارَتِهِ ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ
وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ ، وَاسْتَجَابَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَكَانَ مِنْ
أَسْرَعِهِمْ إِجَابَةً لِمَنْ جَاءَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِئِينَ خَشَنَدَشُ
مَلِكُ الْقُوطِ ، فَتَنَصَّرَ وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ
صَيِّمِ أَعَاظِمِهِمْ ، وَخَيْرِ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَعْدَلُ مِنْهُ حُكْمًا ، وَلَا أَرْشَدُ رَأْيًا ، وَلَا
أَحْسَنُ سِيرَةً ، وَلَا أَجْوَدُ تَذَيُّرًا ، فَكَانَ الَّذِي أَصْلُ (٢)
النَّصْرَانِيَّةِ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَمَضَى أَهْلُهَا عَلَى سُنَّتِهِ إِلَى الْيَوْمِ ،
وَحَكَمُوا بِهَا . وَالْإِنْجِيلَاتُ فِي الْمَصَاحِفِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي
يُخْتَلِفُونَ فِيهَا مِنْ أَنْتِسَاخِهِ وَجَمْعِهِ وَتَثْقِيفِهِ . فَتَنَاسَقَتْ
مُلُوكُ الْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ غَلِبَتْهُمْ الْعَرَبُ عَلَيْهَا ،
وَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى جَمِيعِ الْأَذْيَانِ .

(١) حواري الرجل : خلاصه وأتباعه (٢) أصل الخ : أى جعلها أصلاً ثابتاً

« فَوَقَعَ فِي تَوَارِيخِ الْعَجَمِ الْقَدِيمَةِ » أَنَّ عِدَّةَ مُلُوكِ
هُوْلَاءِ الْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ - مِنْ عَهْدِ أَتَانَاوِينُوسَ ، الَّذِي مَلَكَ
فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ مَمْلَكَةِ فِلِيشَ الْقَيْصَرِيِّ لِمَضَى
أَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعٍ مِنْ تَارِيخِ الصُّفْرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْعَجَمِ إِلَى
عَهْدِ لُذْرِيْقَ آخِرِهِمْ ، الَّذِي مَلَكَ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ مِنْ تَارِيخِ الصُّفْرِ ، وَهُوَ الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ
الْعَرَبُ فَأَزَالَتْ دَوْلَةَ الْقُوطِ - سِتَّةً وَثَلَاثُونَ مِلَكًا ، وَأَنَّ
مُدَّةَ أَيَّامِ مُلِكِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ
سَنَةً . اِنْتَهَى .

« وَقَالَ جَمَاعَةٌ » : إِنَّ الْقُوطَ غَيْرُ الْبَشْتُولَقَاتِ ، وَإِنَّ
الْبَشْتُولَانَاتِ مِنْ عَجَمِ رُومَةَ ، وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا دَارَ مُلِكِهِمْ
مَارِدَةَ ، وَاتَّصَلَ مُلِكُهُمْ إِلَى أَنَّ مَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ
مِلَكًا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْقُوطُ وَاتَّخَذُوا طَلِيظَةَ دَارِ
مَمْلَكَةٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ تَنْصَرَّ مِلِكِهِمْ خَشَنْدَشَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ ،
ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ عِدَّةَ مُلُوكِ الْقُوطِ سِتَّةً وَثَلَاثُونَ مِلَكًا .

« وَذَكَرَ الرَّازِي : أَنَّ الْقُوطَ مِنْ وَلَدِ يَاجُوجَ بْنِ
يَافِثَ بْنِ نُوحٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . اُنْتَهَى .

« وَذَكَرَ الرَّازِي » فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ
وَزِيَادَةً ، وَنَصَّهُ : إِنَّ الْأَنْدَلُسَ فِي آخِرِ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ
مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، الَّتِي هِيَ رُبْعُ
مَعْمُورِ الدُّنْيَا ، فِي مَوْسَطَةٍ مِنَ الْبُلْدَانِ ، كَرِيمَةُ الْبَقْعَةِ
بِطَنْعِ الْخَلْقَةِ ، طَيِّبَةُ التَّرْتِيَةِ . مُنْخَصِبَةُ الْقَاعَةِ ^(١) ، مُنْبَجِسَةُ الْعُيُونِ
الْتَرَارِ ^(٢) ، مُنْفَجِرَةُ الْأَنْهَارِ الْغَزَارِ . قَلِيلَةُ الْهَوَاءِ ذَوَاتِ
السُّمُومِ . مُعْتَدِلَةُ الْهَوَاءِ أَكْثَرُ الْأَزْمَانِ . لَا يَزِيدُ
قِيْظُهَا ^(٣) زِيَادَةً مُنْكَرَةً تَضُرُّ بِالْأَبْدَانِ ، وَكَذَا سَائِرُ
فُضُولِهَا فِي أَعْمَ سِنِيهَا ، تَأْتِي عَلَى قَدَرٍ مِنَ الْإِعْتِدَالِ ، وَتَوْسِطِ
فِي الْأَحْالِ ، وَفَوْا كِهْمَا تَنْصِلُ طُولَ الزَّمَانِ فَلَا تَكَادُ
تُعَدُّ . لِأَنَّ السَّاحِلَ وَنَوَاحِيَهُ يُبَادِرُ بِأَكْثَرِهِ ، كَمَا أَنَّ
الْتَغَرَّ وَجِهَاتِهِ وَالْجِبَالَ الَّتِي يُحْصِيهَا بَرْدُ الْهَوَاءِ وَكَثَافَةُ

(١) القاعة : الأرض الواسعة اللطيفة قد انفرجت عنها الآكام (٢) جمع

ثرة : غزيرة الماء (٣) أى الحر

الْجَوْ، تَسْتَأْخِرُ بِمَا فِيهَا مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكَادَ طَرَفَا فَاكِهِمَا
يَلْتَقِيَانِ، فَمَادَّةُ الْخَبَرَاتِ فِيهَا مُصَلَّةٌ كُلُّ أَوَانٍ . وَمِنْ
بَحْرِهَا بِجَهَةِ الْغَرْبِ يَخْرُجُ الْعَنْبَرُ الْجَيِّدُ الْمُقَدَّمُ عَلَى
أَجْناسِهِ فِي الطَّيْبِ وَالصَّبْرِ عَلَى النَّارِ، وَبِهَا شَجَرُ الْمُخَلَبِ
الْمَعْدُودِ فِي الْأَفَاوِيهِ، الْمُقَدَّمِ فِي أَنْوَاعِ الْأَشْنَانِ كَثِيرٌ
وَاسِعٌ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْهِنْدِ وَبِهَا فَقَطْ،
وَلَهَا خَوَاصٌّ نَبَاتِيَّةٌ يَكْثُرُ تَعْدَادُهَا . اِنْتَهَى .



أَفَاوِيهِ وَمَادَن
الْأَنْدَلُسِ

« وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ تَفْصِيلَ بَعْضِ ذَلِكَ فَقَالَ : يُوجَدُ
فِي نَاحِيَةِ دَلَايَةِ (١) مِنْ إِقْلِيمِ الْبَشْرَةِ عُودُ الْأَلَنْجُوجِ (٢)،
لَا يَفُوقُهُ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ ذِكَاً وَعِطْرَ رَائِحَةٍ، وَقَدْ سَبَقَ
مِنْهُ إِلَى خَيْرَانَ الصَّقَلِيِّ صَاحِبِ الْمَرْيَةِ، وَأَنَّ أَصْلَ مَنْبَتِهِ

(١) دلالة : بلد قريب من المرية (٢) عود الطيب أو شجر آخر يتبخره ،
ويسمى يُلَنْجُوج قال حميد بن ثور :

لَا تَسْطُلُ النَّارُ إِلَّا حَمْرًا أَرْجَا قَدْ كَسَرَتْ مِنْ يُلَنْجُوجٍ لَهُ وَقْصَا
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ :
تَجْمَلُ النَّادِيَةُ بِالْيُلَنْجُوجِ وَلَسَّ لَكَ صَلَاةٌ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ

كَانَ بَيْنَ أَحْجَارِ هُنَالِكَ ، وَبِأَكْشُونِيَّةَ جَبَلٌ كَثِيرًا
مَا يَتَضَوَّعُ ^(١) رِيحُهُ رِيحَ الْعُودِ الَّذِي إِذَا أُرْسِلَتْ فِيهِ النَّارُ .
وَيَبْخُرُ شَذُونَةً ^(٢) يُوجَدُ الْعَنْبَرُ الطَّيِّبُ الْغَرَبِيُّ . وَفِي جَبَلٍ
مُنْتَلِيُونَ ^(٣) الْمَخْلَبُ . وَيُوجَدُ بِالْأَنْدَلُسِ الْقِسْطُ ^(٤) الطَّيِّبُ
وَالسُّبُلُ الطَّيِّبُ ، وَالْجَنْطِيَانَةُ ^(٥) تُحْمَلُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى جَمِيعِ
الْآفَاقِ وَهُوَ عَقَارٌ ^(٦) رَفِيعٌ ، وَالْمَرْءُ الطَّيِّبُ يَقْلَعُهُ أَيُّوبُ ^(٧)
وَأَطِيبُ كَهْرَبَاءُ ^(٨) الْأَرْضِ بِشَذُونَةٍ ، دِرْهَمٌ مِنْهَا يَمْدُلُ دَرَاهِمَ
مِنَ الْمَجْلُوبَةِ . وَأَطِيبُ الْقَرْمِزِ ^(٩) قَرْمِزُ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَكْثَرُ
مَا يَكُونُ بِنَوَاحِي إِشْبِيلِيَّةَ وَلَبْلَةَ وَشَذُونَةَ وَبَلَنْسِيَّةَ ،
وَمِنَ الْأَنْدَلُسِ يُحْمَلُ إِلَى الْآفَاقِ . وَبِنَاحِيَةِ لُورَقَةَ مِنْ عَمَلٍ

(١) يتضوع : ينتشر (٢) ويقال شذونة (بفتح فسكون ففتح الواو)
من أعمال أشبيلية (٣) حصن من نواحي جيان و (منت) اسم للجبل mont
وهناك أيضا منت أشيون من أعمال أشبونة ، ومنت شون حصن من
حصون لاردة ملكه الأفرنج سنة ٤٨٢ (٤) القسط : بضم القاف : عود
هندي وعربي يتداوى به (٥) الجنطيانة : نبات يشبه ورقه ورق الجزر
(٦) عقار : أى دواء والجمع عقاير (٧) مدينة عظيمة من أعمال سرقسطة
بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار وللزارع ، وكانت جليلة القدر لها عدة
حصون . وبقربها مدينة لبلة (٨) هو ما يعرف : بالكهرمان تتخذ منه
العقود والمساج (٩) صبغ أحمر

تُذْمِرُ يَكُونُ حَجَرُ اللَّازُورِدِ^(١) الْجَيِّدُ ، وَقَدْ يُوجَدُ فِي
غَيْرِهَا . وَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ حَضْرَةِ لُورَقَةٍ مِنْ عَمَلِ قُرْطَبَةٍ
مَعْدِنُ الْبَلُورِ ، وَقَدْ يُوجَدُ بِجَبَلِ شُحِرَانَ وَهُوَ شَرْقِي
يَبْرَةِ^(٢) ، وَحَجَرُ النَّجَادِي يُوجَدُ بِنَاحِيَةِ مَدِينَةِ الْأَشْبُونَةِ فِي
جَبَلٍ هُنَاكَ يَتَلَأَلُ فِيهِ لَيْلًا كَالسَّرَاجِ . وَالْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ
يُوجَدُ بِنَاحِيَةِ حِصْنِ مَنَتِ مُيُورَ مِنْ كُورَةِ مَالَقَةِ ، إِلَّا
أَنَّهُ دَقِيقٌ جِدًّا لَا يَصْلُحُ لِلِاسْتِعْمَالِ لِصِفَرِهِ . وَيُوجَدُ
حَجَرٌ يُشَبِّهُ الْيَاقُوتَ الْأَحْمَرَ بِنَاحِيَةِ يَمَّانَةِ^(٣) فِي خَنْدَقٍ
يُعْرَفُ بِقَرِيَةِ نَاشِرَةِ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً ، كَأَنَّهُ مَصْبُوعٌ ، حَسَنُ
الْوَنِ ، صَبُورٌ عَلَى النَّارِ . وَحَجَرُ الْمَغْنَاطِيسِ الْجَذَابِ
لِلْحَدِيدِ يُوجَدُ فِي كُورَةِ تَذْمِيرَ . وَحَجَرُ الشَّادِنَةِ بِجَبَالِ

(١) اللازورد : معدن مشهور ، وأجوده الصافي الشفاف الضارب الى
خضرة وحمرة يتخذ للحلى ، وينتفع به في الطب . (٢) يبرة : بلدة
قريبة من ساحل البحر ، كان لها مرسى ترسو فيه السفن ما بين مرسية
والمرية (٣) مدينة من أعمال كورة البيرة كانت قد خربت فانتقل أهلها
الى المرية ، وبينهما نحو فرسخين

قُرْبَةً كَثِيرٌ، وَيُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي التَّذَاهِبِ. وَحَجَرُ
الْيَهُودِيِّ^(١) فِي تَاحِيَةِ حِصْنِ الْبُونْتِ^(٢)، وَهُوَ أَفْغَعُ شَيْءٍ
لِلْحِصَاةِ. وَحَجَرُ الْمَرْقِيشِيَا الذَّهَبِيَّةِ فِي جِبَالِ أُبْدَةَ^(٣) لَا نَظِيرَ
لَهَا فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ الْأَنْدَلُسِ تُحْمَلُ إِلَى جَمِيعِ الْأَفَاقِ لِفَضْلِهَا.
وَالْمَغْنِيسِيَا بِالْأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ حَجَرُ الطَّلِقِ،
وَيُوجَدُ حَجَرُ اللُّوْلُو بِمَدِينَةِ بَرَشْلُونَةَ، إِلَّا أَنَّهُ جَامِدُ
الْلَوْنِ. وَيُوجَدُ الْمَرْجَانُ بِسَاحِلِ بَيْرَةَ مِنْ عَمَلِ الْمَرْيَّةِ
مَا لُقِطَ مِنْهُ فِي أَقَلِّ مِنْ شَهْرٍ نَحْوُ ثَمَانِينَ رُبْعًا، وَمَعْدِنُ
الذَّهَبِ بِنَهْرِ لَارِدَةَ يُجْمَعُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا فِي

(١) قَالَ ابْنُ الْبَيْطَارِ : هُوَ حَجَرٌ بِفِلَسْطِينَ شَبِيهِ فِي شَكْلِهِ بِالْبَلُوطِ أَيْضُ
خَسَنَ الشَّكْلِ جَدَا فِيهِ خُطُوطٌ مُتَوَازِيَةٌ كَأَنَّهَا خَطَّتْ بِالْبَيْكَارِ ، وَهُوَ حَجَرٌ
يَنْمَاعُ بِالْمَاءِ لَا طَعْمَ لَهُ ، وَإِذَا أَخَذَ مِنْهُ مَقْدَارُ حَمْصَةٍ وَحَكَّ عَلَى مِسْنِ الْمَاءِ
وَشَرِبَ بِمَاءِ حَارٍ نَفَعَ مِنْ عَسْرِ الْبُولِ وَفَقْتُ الْحِصَاةِ الْمُتَوَلِّدَةِ فِي اللَّثَانَةِ . جَالِينُوسُ :
لَمَّا جَرَبْتُ هَذَا الْحَجَرَ فَبِمَنْ بِهِ حِصَاةٌ فِي مِثْلَانَتِهِ مَانِعٌ شَيْئًا ، وَلَسَكُنْهُ فِي
الْحِصَاةِ الْمُتَوَلِّدَةِ فِي الْكَلَيْتَيْنِ قَوًى جَدَا . اهـ مُلَخَّصًا (٢) بُذِتْ : بَلَدٌ مِنْ
تَاحِيَةِ بِلَنْسِيَةِ يَنْسَبُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْبَنْتِيُّ الْبَلَسَنِيُّ
(٣) أُبْدَةُ : مَدِينَةٌ مِنْ كُورَةِ جِيَانِ تُعْرَفُ بِأُبْدَةِ الْعَرَبِ اخْتَلَطَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَاتَمَّهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ

سَاحِلِ الْأَشْبُونَةِ^(١) . وَمَعَادِنُ الْفِضَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ كَثِيرَةٌ
فِي كُورَةِ تَدْمِيرَ وَجِبَالِ جَمَّةَ بِيَجَانَةَ . وَيَاقِدِيمَ كَرْتَشَ مِنْ عَمَلِ
قُرْطُبَةَ مَعْدِنُ فِضَّةٍ جَلِيلٌ . وَبِأَشْكُونِيَّةٍ مَعْدِنُ الْقَصْدِيرِ
لَا نَظِيرَ لَهُ يُشَبِّهُ الْفِضَّةَ . وَلَهُ مَعَادِنُ بِنَاحِيَةِ إِفْرَنْجَةَ
وَلِيُون ، وَمَعْدِنُ الرُّبِّيِّ فِي جَبَلِ الْبَرَانِسِ ، وَمِنْ هُنَاكَ
يُتَجَهَّزُ بِهِ إِلَى الْآفَاقِ ، وَمَعَادِنُ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ
وَالْأَصْفَرِ بِالْأَنْدَلُسِ كَثِيرَةٌ . وَمَعْدِنُ الثُّوتِيَا الطَّيِّبَةِ
بِسَاحِلِ الْبِيرَةِ^(٢) بِقَرْيَةٍ تُسَمَّى بَطْرَنَةَ ، وَهِيَ أَزْكَى ثُوتِيَا
وَأَفْوَاهَا فِي صَنْعِ النُّحَاسِ ، وَبِجِبَالِ قُرْطُبَةَ ثُوتِيَا وَلَيْسَتْ
كَأَبْطَرِنِيَّةٍ . وَمَعْدِنُ الْكُحْلِ الْمُسَبَّهِ بِالْأَصْفَهَانِيَّ بِنَاحِيَةِ
مَدِينَةِ طَرُطُوشَةَ يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ . وَمَعَادِنُ
الشُّبُوبِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ
تُحْصَى . وَمَا ذَكَرْتُ هُنَا وَإِنْ تَكَرَّرَ بَعْضُهُ مَعَ مَا
سَبَقَ أَوْ يَأْتِي فَهُوَ لِيَجْمَعَ النَّظَائِرَ ، وَمَا لَمْ نَذْكُرْهُ أَكْثَرُ .
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) هي عاصمة البرتغال الآن (Lisbonne) ويذكرها العرب باسم لشبونة،
أشبونة ، والأشبونة (٢) كورة كبيرة ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة



خوأس طليطلة

« وَمِنْ خَوَاصِّ طُلَيْطِلَةَ » أَنَّ حَنِظَتَهَا لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا
تُسَوُّ عَلَى طُولِ السِّنِّينَ ، يَتَوَارَثُهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ .
وَزَعْفَرَانُ طُلَيْطِلَةَ هُوَ الَّذِي يَمُتُّ الْبِلَادَ ، وَيَتَجَهَّزُ بِهِ
الرُّفَاقُ إِلَى الْأَفَاقِ ، وَكَذَلِكَ الصَّبْغُ السَّمَائِيُّ . اُنْتَهَى .
« وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ » فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ بَعْدَ كَلَامِ
مَا نَصَّهُ : وَالْعَنْبَرُ كَثِيرٌ يَبْخَرُ الْأَنْدَلُسَ يُجَهَّزُ إِلَى مِصْرَ
وغيرها ، وَيُحْمَلُ إِلَى قُرْطُبَةَ مِنْ سَاحِلِهَا ، يُقَالُ لَهُ شَتَرَيْنٌ ^(١)
وَشَذُونَةٌ تَبْلُغُ الْأَوْقِيَّةُ مِنْهُ بِالْأَنْدَلُسِ ثَلَاثَةَ مِثْقَالٍ ذَهَبًا ،
وَالْأَوْقِيَّةُ بِالْبَغْدَادِ ، وَتُبَاعُ بِمِصْرَ أَوْقِيَّتُهُ بِعِشْرِينَ دِينَارًا ،
وَهُوَ عَنْبَرٌ جَيِّدٌ ، وَيُمْسِكُنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَنْبَرُ الْوَاقِعُ إِلَى
بَحْرِ الرُّومِ ضَرْبَتُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى بَحْرِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى هَذَا
الْبَحْرِ لَا تَصَالُ الْمَاءُ . وَبِالْأَنْدَلُسِ مَعْدِنٌ عَظِيمٌ لِلْفِضَّةِ ،
وَمَعْدِنٌ لِلزُّبْقِ لَيْسَ بِالْجَيِّدِ ، يُجَهَّزُ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ

(١) مدينة غربي قرطبة على نهر تاجه قرب مصبه في البحر المحيط .

وَالْكَفْرِ . وَكَذَلِكَ يُحْمَلُ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ الزَّعْفَرَانُ
وَعُرُوقُ الزَّنَجِيلِ . وَأَصُولُ الطَّيْبِ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ :
الْمِسْكُ ، وَالْكَافُورُ ، وَالْمُودُ ، وَالْمَنْبَرُ ، وَالزَّعْفَرَانُ .
وَكُلُّهَا تُحْمَلُ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا ، إِلَّا الزَّعْفَرَانُ
وَالْمَنْبَرُ . انْتَهَى . وَهُوَ وَإِنْ تَكَرَّرَ مَعَ مَا ذَكَرْتُهُ عَنْ
غَيْرِهِ فَلَا يَخْلُو مِنْ فَايِدَةٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

« وَذَكَرَ الْبَعْضُ » أَنَّ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ جَمِيعَ الْمَعَادِنِ
الْكَاثِنَاتِ عَنِ النَّبَاتِ السَّبْعَةِ وَهِيَ الرَّصَاصُ مِنْ زُحَلٍ ،
وَالْقَصْدِيرُ الْأَيْضُ مِنَ الْمُشْتَرَى ، وَالْحَدِيدُ مِنْ قِسْمِ
الْمَرْيَخِ ، وَالذَّهَبُ مِنْ قِسْمِ الشَّمْسِ ، وَالنَّحَاسُ مِنَ الزُّهْرَةِ ،
وَالزُّبْقُ مِنْ عَطَارِدَ ، وَالْفِضَّةُ مِنَ الْقَمَرِ .

« وَذَكَرَ الْكَاتِبُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْقُرَوِيُّ ^{وصف أهل}
الْأَنْدَلُسِ ^{الأندلس} الْمَعْرُوفُ بِالرَّقِيقِ » بَلَدَ الْأَنْدَلُسِ فَقَالَ : أَهْلُهُ أَصْحَابُ
جِهَادٍ مُتَّصِلٍ ، يُحَارِبُونَ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ الْمُحِيطِينَ بِهِمْ أُمَّةً

يُدْعُونَ الْجَلَائِقَةَ يُتَاخَمُونَ حَوَزَهُمْ^(١) مَا بَيْنَ غَرْبٍ إِلَى
 شَرْقٍ ، قَوْمٌ لَهُمْ شِدَّةٌ وَلَهُمْ جَمَالٌ وَحُسْنٌ وَجُودٌ ، فَأَكْثَرُ
 رَقِيقِهِمُ الْمُؤَصُّوفِينَ بِالْجَمَالِ وَالْفَرَاهَةِ^(٢) مِنْهُمْ ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَهُمْ دَرْبٌ^(٣) ، فَالْحَرْبُ مُتَّصِلَةٌ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ تَقَعْ هُدْنَةٌ^(٤) .
 وَيُحَارِبُونَ بِالْأَفُقِ الشَّرْقِيِّ أُمَّةً يَقَالُ لَهُمُ الْفَرَنْجَةُ^(٥) ، هُمْ أَشَدُّ
 عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مَنْ يُحَارِبُونَهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، إِذْ كَانُوا خَلْقًا
 عَظِيمًا فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ وَاسِعَةٍ جَلِيلَةٍ ، مُتَّصِلَةِ الْعِمَارَةِ آهَلَةٍ ،
 تُدْعَى الْأَرْضُ الْكَبِيرَةُ ، هُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ الْجَلِيقِيِّينَ
 وَأَشَدُّ بَأْسًا ، وَأَحْدَشُونَ كَةً^(٦) ، وَأَعْظَمُ إِمْدَادًا . وَهَذِهِ الْأُمَّةُ
 يُحَارِبُونَ أُمَّةَ الصَّقَالِبَةِ الْمُتَّصِلِينَ بِأَرْضِهِمْ ، لِمُخَالَفَتِهِمْ
 إِيَّاهُمْ فِي الدِّيَانَةِ ، فَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَ رَقِيقَهُمْ بِأَرْضِ
 الْأَنْدَلُسِ ، فَلَهُمْ هُنَاكَ كَثْرَةٌ ، وَتُخَصِّصُهُمُ لِلْفَرَنْجَةِ يَهُودُ ذِمَّتِهِمْ
 الَّذِينَ بِأَرْضِهِمْ وَفِي ثَغْرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَّصِلِينَ بِهِمْ ، فَيَحْمِلُ

(١) يتاخمون : يلاصقون والحوز : الناحية (٢) الفراهة : الصباحة ،
 والحنق ، والمهارة (٣) الدرب : السكة وكل مدخل الى الروم درب
 من دروبها . وأصل الدرب المضيق في الجبال ، والمراد أنه ليس بينهم
 حواجز طبيعية (٤) أى مصالحة (٥) يريد فرنسة (٦) الشوكة : حدة
 السلاح

خَصِيْبَانَهُمْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ . وَقَدْ تَعَلَّمَ الْخِصَاءُ قَوْمَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ ، فَصَارُوا يَخْضُونَ وَيَسْتَحِلُّونَ الْمَثَلَةَ (١) .



« قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ » : وَخَرَجُ بَحْرِ الرُّومِ الْمُتَصَاعِدِ إِلَى
الشَّامِ هُوَ بِسَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ الْقَرِيبِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ
الْخَضْرَاءُ مَا بَيْنَ طَنْجَةَ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ وَبَيْنَ الْأَنْدَلُسِ ،
فَيَكُونُ مِقْدَارُ عَرْضِهِ هُنَاكَ - كَمَا زَعَمُوا - ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا ،
وَهَذَا عَرْضُ جَزِيرَةِ طَرِيفٍ إِلَى قَصْرِ مَصْمُودَةَ بِالْقُرْبِ
مِنْ سَبْتَةَ ، وَهُنَاكَ كَانَتْ الْقَنْطَرَةُ الَّتِي يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ
الْإِسْكَندَرَ بَنَاهَا لِيَعْبُرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرِّ الْعُدُودَةِ (٢) .

(١) اسم من التثنية أى التنكيل وتشويه الحلقة ، يقال : مثلت بالحيوان
أمثل به مثلا اذا قطعت أطرافه وشوهت به . ومثلت بالقتيل اذا جدعت
أنفه وأذنه أو هذا كبره أو شيئا من أطرافه (٢) العدو : المكان المتباعد ،
ويطلق العرب بر العدو على ماسات الأندلس من شمالى افريقية وبعد
عن بلادهم ويقصدون بها بلاد مراکش والجزائر وتونس : أى المغرب
الاقصى والاوسط والاثنى

بعض جزائر
الأندلس

وَيُعْرَفُ هَذَا الْمَوْضِعُ بِالزُّفَاقِ^(١)، وَهُوَ صَعْبُ الْمَجَازِ لِأَنَّهُ
يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ لَا تَزَالُ الْأَمْوَاجُ تَتَطَاوَلُ فِيهِ وَالْمَاءُ يَدُورُ.
وَطُولُ هَذَا الزُّفَاقِ الَّذِي عَرْضُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا مُضَاعَفُ
ذَلِكَ إِلَى مِائَةِ سَبْتَةٍ، وَمِنْ هُنَاكَ يَأْخُذُ الْبَحْرُ فِي الْإِتْسَاعِ
إِلَى ثَمَانِيَةِ مِيلٍ وَأَزِيدَ، وَمُنْتَهَاهُ مَدِينَةُ صُورَ مِنَ الشَّامِ،
وَفِيهِ عَدَدٌ عَظِيمٌ مِنَ الْجَزَائِرِ.

« قَالَ بَعْضُهُمْ » إِنَّهَا ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ جَزِيرَةً مِنْهَا صِقْلِيَّةٌ
وَمَالِطَةٌ وَغَيْرُهُمَا. انْتَهَى، وَبَعْضُهُ بِالْمَعْنَى
« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » عِنْدَ وَصْفِهِ ضَيْقَ بَحْرِ الزُّفَاقِ قُرْبَ
سَبْتَةٍ مَا صُورَتُهُ : ثُمَّ يَنْسِعُ كُلَّمَا أَمْتَدَّ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى
مَا لَا ذَرْعَ لَهُ وَلَا نِهَآيَةَ.

(١) يريد به مضيق جبل طارق وهو مجاز البحرين طنجة والجزيرة
الحضراء.. وقال العقبة المرادى المنكلم الغير وانى بمدخله من بحر الزقاق
ووصوله الى مدينة سبتة :

سمعت التجار وقد حدثوا لشدة أهوال بحر الزقاق
فقلت لهم قربوني اليه أنشفه من حريوم الغراق
فلما فعلت جرت أدمعي فماد كما كان قبل التلاق

« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » : وَكَانَ مَبْلَغُ خَرَّاجِ ^(١) الْأَنْدَلُسِ خَرَّاجِ الْأَنْدَلُسِ
الَّذِي كَانَ يُودَى إِلَى مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ قَدِيمًا ثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ دَرَاهِمٍ أَنْدَلُسِيَّةً كُلِّ سَنَةٍ قَوَانِينِ ^(٢) ، وَعَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ
مِنْ مَدَائِنِهِمْ مَالٌ مَعْلُومٌ ، فَكَانُوا يُعْطُونَ جُنْدَهُمْ وَرِجَالَهُمْ
الثُلُثَ مِنْ ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي أُمُورِهِمْ
وَنَوَائِبِهِمْ وَمُؤَنَ أَهْلِيهَا مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَيَدَّخِرُونَ لِحَادِثِ
أَيَّامِهِمْ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ
« وَذَكَرَ غَيْرُهُ » أَنَّ الْجَبَايَةَ كَانَتْ بِالْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ ،
وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَزِيدُ عَلَى سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ ،
حَكَاهُ ابْنُ سَعِيدٍ ، وَقَالَ إِنَّ الْأَنْدَلُسَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ
مُدُنًا وَعَمَّاكِرَ .

وَقَالَ قَاضِي الْقَضَاءِ ابْنُ خَلْدُونِ الْحَضْرَمِيُّ فِي تَارِيخِهِ

سكان الأندلس

(١) أى الضرائب الاميرية (٢) القانون : مقياس كل شئ وطريقه .

وهى كلمة دخيلة

(١٩ - نفح الطيب - أول)

الْكَبِيرِ مَا صُورَتْهُ : كَانَ هَذَا الْقَطْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ مِنَ
 الْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ عُدُوِّي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ، وَبِالْجَانِبِ
 الْغَرْبِيِّ مِنْهَا يُسَمَّى عِنْدَ الْعَجَمِ الْأَنْدَلُوشَ ، وَتَسْكُنُهُ أُمَمٌ
 مِنْ إِفْرَنْجِيَّةِ الْمَغْرِبِ أَشَدَّهُمْ وَأَكْثَرُهُمُ الْجَلَالَةَ ، وَكَانَ
 الْقُوطُ قَدْ تَمَلَّكَوهُ وَعَلَبُوا عَلَى أَهْلِهِ لِمِثْنِ مِنَ السِّنِينَ
 قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ حُرُوبٍ كَانَتْ لَهُمْ مَعَ اللَّطِينِيِّينَ ^(١) ،
 حَاصِرُوا فِيهَا رُومَةً ، ثُمَّ عَقَدُوا مَعَهُمُ السَّلْمَ عَلَى أَنْ يَتَّصِفَ
 الْقُوطُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَصَارُوا إِلَيْهَا وَمَلَكُوهَا . وَلَمَّا أَخَذَ
 الرُّومُ وَاللَّطِينِيُّونَ بِمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، سَمَلُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ
 بِالْمَغْرِبِ مِنْ أُمَمِ الْفَرَنْجِيَّةِ وَالْقُوطِ عَلَيْهَا فَذَاتُوا بِهَا . وَكَانَ
 مُلُوكُ الْقُوطِ يَنْزِلُونَ طُلَيْطَلَةَ ، وَكَانَتْ دَارَ مُلِكِهِمْ ،
 وَرُبَّمَا تَنَقَّلُوا مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ وَإِشْبِيلِيَّةَ وَمَارِدَةَ ، وَأَقَامُوا
 كَذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ إِلَى أَنْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ
 وَالْفَتْحِ ، وَكَانَ مِلِكُهُمْ لَذَلِكَ الْعَهْدِ يُسَمَّى لُذْرِيْقَ ، وَهُوَ
 سِمَةٌ لِمُلُوكِهِمْ ، كَمَا أَنَّ جَرْجِيرَ سِمَةٌ لِمُلُوكِ صِقْلِيَّةَ . انْتَهَى .

« وَمِنْ أَشْهَرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ » غَرْنَاطَةُ ، وَقِيلَ إِنَّ
الْصَّوَابَ إِنْ غَرْنَاطَةُ بِالْهَمْزِ وَمَعْنَاهُ بِلُفْتِهِمُ الرُّمَانَةُ ، وَكَفَاهَا
شَرْفًا وَلَادَةً لِسَانَ الدِّينِ بِهَا .

« وَقَالَ الشَّقْنَدِيُّ : أَمَّا غَرْنَاطَةُ فَإِنَّهَا دِمَشْقُ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ ، وَمَسْرُوحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ ، وَلَمْ تَخْلُ مِنْ
أَشْرَافٍ أَمَّا نِلٌ^(١) ، وَعُلَمَاءُ أَكْبَارٍ ، وَشُعْرَاءُ أَفَاضِلَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
لَهَا إِلَّا مَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْمَرْجِ^(٢) الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ
وَنَهْرٍ شَنِيلٍ لَكَفَاهَا .

« وَفِي بَعْضِ كَلَامِ لِسَانِ الدِّينِ » مَا صُورَتْهُ : وَمَا
لِمِصْرَ تَفَخَّرُ بِبَيْلِهَا ، وَالْفُ مِنْهُ فِي شَنِيلِهَا ، يَعْنِي أَنَّ الشَّيْنَ
عِنْدَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ عَدَدُهَا أَلْفٌ ، فَقَوْلُنَا شَنِيلٌ : إِذَا عَتَبَرْنَا
عَدَدَ شَيْنِهِ كَانَ أَلْفَ نِيلٍ ، وَفِيهَا قِيلَ :

غَرْنَاطَةُ مَا لَهَا نَظِيرٌ مَا مِصْرُ^(٣) مَا الشَّامُ مَا الْعِرَاقُ ؟
مَا هِيَ إِلَّا الْعَرُوسُ تُجَلَّى وَتَلَكَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّدَاقِ^(٤)

(١) أماتل جمع أمثل : أى أفاضل (٢) هو أرض واسعة فيها نبت كثير تمرح
فيه البواب أى ترعى حيث شاءت (٣) استفهام يراد به تصغير الشأن
(٤) أى للمهر

وُسَمِيَ كُورَةُ الْبَيْرَةِ الَّتِي مِنْهَا غَرْنَاطَةُ دِمَشْقَ لِأَنَّ
جُنْدَ دِمَشْقَ تَزَلُّوْهَا عِنْدَ الْفَتْحِ ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ
بِذَلِكَ لِشَبْهِهَا بِدِمَشْقَ فِي غَزَاةِ الْأَنْهَارِ ، وَكَثْرَةِ
الْأَشْجَارِ ، حَكَاهُ صَاحِبُ مِنْهَاجِ الْفِكْرِ . وَقَالَ : وَلَمَّا
أَسْتَوَى الْقَرْنِجُ عَلَى مُعْظَمِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ انْتَقَلَ أَهْلُهَا
إِلَيْهَا فَصَارَتْ الْمِصْرَ الْمَقْصُودَ ، وَالْمَعْقِلَ الَّذِي تَنْضَوِي^(١)
إِلَيْهِ الْمَسَاكِرُ وَالْجُنُودُ ، وَيَشْقُهَا نَهْرٌ عَلَيْهِ قَنَاطِرٌ يُجَازُ
عَلَيْهَا ، وَفِي قَبْلِهَا جَبَلٌ شَلِيرٌ ، وَهُوَ جَبَلٌ لَا يُفَارِقُهُ الثَّلَاجُ
صَيْفًا وَلَا شِتَاءً ، وَفِيهِ سَائِرُ الثَّبَاتِ الْهِنْدِيِّ ، لَكِنْ لَيْسَ
فِيهِ خَصَائِصُهُ . اُنْتَهَى .

« وَمِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ » قَطْرُ لَوْشَةَ ، وَبِهَا مَعْدِنٌ
لِلْفِضَّةِ جَيِّدٌ ، وَمِنْهَا - أَغْنَى لَوْشَةَ - أَصْلُ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ
الْخَطِيبِ ، وَهَذَا الْقَطْرُ ضَخْمٌ يَنْضَافُ إِلَيْهِ مِنَ الْحُصُونِ
وَالْقُرَى كَثِيرٌ ، وَقَاعِدَتُهُ لَوْشَةُ يَنْتَهَى وَبَيْنَ غَرْنَاطَةَ مَرَحَلَةٌ

قطر لوشة

(١) تنضوي : تجتمع وتلجأ

وَهِيَ ذَاتُ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، وَهِيَ عَلَى نَهْرٍ غَرْنَاطَةَ
الشَّهْرِ بِشَنْيَلٍ^(١).



« وَمِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ الْكِبَارِ » عَمَلُ بَاغَةٍ ، وَالْعَامَّةُ
يَقُولُونَ بَيْغَةُ ، وَإِذَا نَسَبُوا إِلَيْهِ قَالُوا بَيْنِي ، وَقَاعِدَتُهُ
بَاغَةُ^(٢) مَلِيَّةُ الزَّرْعِ ، كَثِيرَةُ الشَّامِ ، غَزِيرَةُ الْمِيَاهِ ، وَيَجُودُ
فِيهَا الزَّعْفَرَانُ



« وَمِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ » وَادِي آشٍ^(٣) ، وَيُقَالُ وَادِي
الْأَشَاتِ ، وَهِيَ مَدِينَةُ جَلِيلَةٍ قَدْ أَحْدَقَتْ بِهَا الْبَسَاتِينُ
وَالْأَنْهَارُ ، وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ أَهْلَهَا بِالْأَدَبِ وَحُبِّ الشَّعْرِ ،
وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زَرَّارٍ :

(١) Jenil(Xenil) (٢) باغة : مدينة من كورة البيرة جنوبى قرطبة .

منها عبد الرحمن بن أحمد بن أبى المطرف عبد الرحمن قاضى الجماعة بقرطبة
استقضاه بها الخليفة هشام بن الحكم فى دولته الثانية سنة ٤٠٢ وكان

أديبا فاضلا عدلا ، توفى سنة ٤٠٧ (٣) Cuadix

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيْجُ وَجَدِي كَلَمًا
 أَذْكَرْتُ مَا أَفْضَتْ بِكَ النِّعَمَاءُ
 لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ^(١) مُسَلَّطٌ
 قَدْ بَرَّدَتْ لَفْحَاتِهِ الْأَنْدَاءُ^(٢)
 وَالشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ
 مِنْهُ فَتَطْرِفُ طَرْفَهَا الْأَفْيَاءُ^(٣)
 وَالنَّهْرُ يَنْسِيمُ بِالْحَبَابِ^(٤) كَأَنَّهُ
 سِلَاحُ^(٥) نَضَتْهُ حَيَّةٌ رَقَشَاءُ
 فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ الْفُصُونُ فَيَسْلُمُهَا
 أَبَدًا عَلَى جَنَابَاتِهِ^(٦) إِيْمَاءُ

* *

« وَمِنْ أَعْمَالِ وَادِي آشٍ » حِصْنٌ جَلِيْلَانَةٌ ، وَهُوَ كَبِيرٌ

حسن جليانة

(١) المهجير : شدة الحر ، ولفحة النار والحر : الهبة من حرها وقيظه
 (٢) جمع ندا : وهو الظل (٣) أى الظلال ، وطرفه : أصاب طرفه ، يعنى أن
 الظل يرد الشمس أن تسطع فى موضعه فكأن طرفها يطرف عنه فتغمضه
 ولا تقدر أن تفتحه (٤) حباب الماء : نفاخاته التى تعالوه (٥) السليخ
 بالكسر : الجلد ، وقشر الحية ، ونضته : نزعته . والرقشاء للنقطة بسواد
 وبياض (٦) أى حوافيه

يُضَاهِي الْمُدْنَ ، وَبِهِ التَّفَاحُ الْجَلِيَانِي الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِهِ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، يَجْمَعُ عِظَمَ الْحُجَمِ ، وَكَرَمَ الْجَوْهَرِ ، وَحَلَاوَةَ
الطَّعْمِ ، وَذَكَاءَ الرَّائِحَةِ ، وَالنِّقَاءَ ، وَبَيْنَ الْحِصْنِ الْمَذْكُورِ
وَوَادِي آشٍ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .

« وَمِنْ غَرَائِبِ الْأَنْدَلُسِ » أَنَّ بِهِ شَجَرَتَيْنِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَنْدَلُسِ
شَجَرِ الْقَسْطَلِ ، وَهُمَا عَظِيمَتَانِ جِدًّا ، إِحْدَاهُمَا بِسَنْدٍ ^(١) وَادِي
آشٍ ، وَالْأُخْرَى بِبَشْرَةٍ ^(٢) غَرْنَاطَةٍ ، فِي جَوْفٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا حَاتِكٌ يَنْسِجُ الثِّيَابَ ، وَهَذَا أَمْرٌ مَشْهُورٌ قَالَهُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جُزَيٍّ وَغَيْرُهُ . وَكَانَتْ الْبِيرَةُ هِيَ الْمَدِينَةُ
قَبْلَ غَرْنَاطَةٍ ، فَلَمَّا بَنَى الصُّنْهَاجِيُّ مَدِينَةَ غَرْنَاطَةَ وَقَصَبَتْهَا
وَأَسْوَارَهَا أُنْتَقَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ زَادَ فِي عِمَارَتِهَا ابْنُهُ
بَادِيسٌ بَعْدَهُ .

(١) السند : ما قبالك من الجبل وعلا عن السفح ، وجمعه أسناد (٢) البشرة : ظاهر الجلد ، ومن المجاز : بشرة الأرض ما ظهر من نباتها وما يبدو من زرعها فيلبسها

« وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ » أَنَّ فِي كُورَةَ سَرْقُسْطَةَ الْمِلْحَ
الْأَنْدَرَانِيَّ^(١) الْأَيْضَ الصَّافِي الْأَمْلَسَ الْخَالِصَ ، وَلَيْسَ
لِلْأَنْدَلُسِ مَوْضِعٌ فِيهِ مِلْحٌ مِثْلُ هَذَا الْمِلْحِ

وَقَالَ وَسَرْقُسْطَةُ بَنَاهَا قَيْصَرُ مَلِكُ رُومَةَ الَّذِي
تَوَرَّخُ مِنْ مُدَّتِهِ مُدَّةُ الصَّغَرِ قَبْلَ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ عَلَى
نَبِيئًا وَعَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
وَتَقْسِيرُ أَسْمَاهَا : قَصْرُ السَّيِّدِ ، لِأَنَّهُ اخْتَارَ ذَلِكَ الْمَكَانَ
بِالْأَنْدَلُسِ .

سرقسطة

« وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ » شَرِبَ مِنْ مَاءِ نَهْرِ
جِلْقٍ بِسَرْقُسْطَةَ ، فَاسْتَعَذَبَهُ وَحَكَمَ أَنَّهُ لَمْ يَشْرَبْ
بِالْأَنْدَلُسِ أَغْذَبَ مِنْهُ ، وَسَأَلَ عَنْ أَسْمِهِ فَقِيلَ جِلْقُ
وَنَظَرَ إِلَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَسَاتِينِ فَشَبَّهَهَا بِغُوطَةٍ جِلْقٍ
الْشَّامِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ بَنَاءِ الْأَمْسَكَنْدَرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

نهر جلق



وَبِمَدِينَةِ رَجَّةٍ سَوَّيٍّ مِنْ أَعْمَالِ الْمَرْيَةِ سَمْعِدِينَ الرِّصَاصِ بِرَجَّةٍ
وَهِيَ عَلَى وَادٍ مُبْهَجٍ يُعْرَفُ بِوَادِي عَذْرَاءَ، وَهُوَ مُحْدَقٌ^(١)
بِالْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ. وَتُسَمَّى رَجَّةٌ بِهَجَّةٍ لِهَجَّةِ مَنْظَرِهَا، وَفِيهَا
يَقُولُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ شَرْفٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:
رِيَاضٌ تَعَشَّهَ سُنْدُسٌ تَوَشَّتْ مَعَاطِفُهَا بِالزَّهَرِ
مَدَامِعُهَا فَوْقَ خَدَّيْ رَبٍّ لَهَا نَظْرَةٌ قَنَنْتَ مَنْ نَظَرَ
وَكُلُّ مَكَانٍ بِهَا جَنَّةٌ وَكُلُّ طَرِيقٍ إِلَيْهَا سَقَرٌ^(٢)
وَفِيهَا أَيْضًا قَوْلُهُ :

حُطَّ الرَّحَالُ بِرَجَّةٍ وَأَرْتَدَّ لِنَفْسِكَ بِهَجَّةٍ
فِي قَلْعَةٍ كَسِلَاجٍ^(٣) وَدَوْحَةٍ مِثْلِ لُجَّةٍ
فَحِصْنُهَا لَكَ أَمْنٌ وَرَوْضُهَا لَكَ فُرْجَةٌ
كُلُّ الْبِلَادِ سِوَاهَا كَمُزَّةٍ وَهِيَ حَجَّةٌ^(٤)

(١) أحرق به استدار وأحاط . والحديقة من الرياض كل أرض
استدرت وأحاط بها حائط وأرض مرتفعة (٢) أى فيه مشقة وحر
شديد (٣) وى روى : كسلام : فالمنى أن القلعة التى جعلت موضع خوفه
وحضر صارت محل أمن وسلام (٤) أى بمنزلة النفل من الفرض

وَبِمَالَقَةِ الثَّيْنِ الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحُسْنِهِ ، وَيُحْلَبُ
 حَتَّى لِلْهِنْدِ وَالصِّينِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ .
 وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ^(١) بْنُ الشَّيْخِ الْبَلَوِيُّ
 الْمَالِئِيُّ حَسْبَمَا أَنْشَدَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ ، مِنْهُمْ ابْنُ سَعِيدٍ :
 مَالَقَةٌ حُيِّتَ يَأْتِينَهَا الْفُلُكُ^(٢) مِنْ أَجْلِكَ^(٣) يَأْتِينَهَا
 نَمَى طَيْبِي عَنْهُ فِي عِلَّتِي مَا لَطِيبِي عَنْ حَيَاتِي نَمَى ؟
 وَذَيْلَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْحَطِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ
 الْمُنَشِّي^(٤) يَقُولُهُ :

وَحِمَصُ لَا تَنْسَ لَهَا تَيْنَهَا وَأَذْكَرُ مَعَ الثَّيْنِ زِيَا تَيْنَهَا^(٥)

(١) هو يوسف بن محمد صاحب كتاب ألف باو يعرف بابن الشيخ ، وبلوى :
 نسبة الى بلى ناحية بالأندلس (٢) يطلق على المفرد والجمع (٣) أى أن السفن
 يأتين اليها من أجلك ، ويقرأ بحذف همزة الفعل : يأتينها ليكون في البيت
 جناس تام بين عروضه وضربه وكذلك بينهما وبين آخر البيت الثاني
 وكذلك مع البيت للذيل به ، وقد كان لشعراء هذا العصر ولوع بأنواع
 الجناس يستكفونها ويقسمون للمعاني عليها (٤) أظنه القيسى . وهو
 الخطيب الفقيه الأديب أبو محمد عبد الوهاب بن علي القيسى من شيوخ
 أبي الحجاج البلوى وأصحابه ، وكثيرا ما يذكره وينقل شيئا من كلامه
 في كتابه ألف با (٥) جمع زيتون

وَفِي بَعْضِ النَّسَخِ:

لَا تَنْسَ لِإِشْبِيلِيَّةٍ تَيْنَهَا وَأَذْكَرُ مَعَ الثَّيْنِ زَيْمَا تَيْنَهَا
وَهُوَ نَحْوُ الْأَوَّلِ لِأَنَّ حِمَصَ هِيَ إِشْبِيلِيَّةٌ لِنُزُولِ أَهْلِ
حِمَصَ مِنَ الْمَشْرِقِ بِهَا حَسْبَمَا سَنَذْكُرُهُ
«وَلَسَبَ» ابْنُ جُزَيٍّ فِي تَرْتِيبِهِ لِرِحْلَةِ ابْنِ بَطُوطَةَ
الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ لِلْخَطِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَلْأَقِيِّ ،
وَالْتَذْيِيلَ لِقَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ ابْنُ بَطُوطَةَ^(١): وَبِمَالَقَةَ يُصْنَعُ الْفَخَّارُ الْمَذَهَّبُ مَالَقَةَ
الْعَجِيبُ وَيُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ ، وَمَسْجِدُهَا كَبِيرُ
السَّاحَةِ كَثِيرُ الْبَرَكَةِ شَهِيرُهَا ، وَصَحْنُهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي
الْحُسْنِ ، وَفِيهِ أَشْجَارُ النَّارِ نَجِ الْبَدِيعَةِ . انْتَهَى . وَقَالَ قَبْلَهُ
إِنَّ مَالَقَةَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِ وَبِلَادِهَا الْحَسَانِ ، جَامِعَةٌ بَيْنَ

(١) هو الامام المؤرخ الرحالة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي اللواتي الطنجي صاحب الرحلة المشهورة : واختصرها ابن جزى البنسي

مَرَافِقِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، كَثِيرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْفَوَاكِهَ، رَأَيْتُ الْعِنَبَ
يُبَاعُ فِي أَسْوَاقِهَا بِحَسَابِ ثَمَانِيَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ صَغِيرٍ، وَرُثْمَانُهَا
الْمُرْسِيُّ الْيَاقُوتِيُّ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا. وَأَمَّا التِّينُ وَاللُّوزُ
فَيُجْلَبَانِ مِنْهَا وَمِنْ أَحْوَازِهَا إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.
انتهى.

« وَبِكُورَةِ أَشْبُونَةَ » الْمُتَّصِلَةِ بِسَنْتَرِينَ مَعْدِنِ التَّنْبَرِ،
وَفِيهَا عَسَلٌ يُجْعَلُ فِي كَيْسٍ كَتَّانٍ فَلَا يَكُونُ لَهُ رُطُوبَةٌ
كَأَنَّهُ مُسَكَّرٌ، وَيُوجَدُ فِي رِيْفِهَا الْعَنْبَرُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ إِلَّا
الشَّحْرِيُّ^(١)

« وَمِنْ أَشْهَرِ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ » مَدِينَةُ قُرْطُبَةَ أَعَادَهَا
اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ، وَبِهَا الْجَامِعُ الْمَشْهُورُ، وَالْقَنْطَرَةُ
الْمَعْرُوفَةُ بِالْجُسْرِ.
« وَقَدْ ذَكَرْتُ ابْنَ حَيَّانَ » أَنَّهُ مُنِيَ عَلَى أَمْرِ عُمَرَ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَوْصُهُ :

(١) نسبة الى بلاد الشحر التي بقرب عمان ببلاد العرب

وَقَامَ فِيهَا بِأَمْرِهِ عَلَى النَّهْرِ الْأَعْظَمِ بِدَارِ مَمْلَكَتِهَا
قُرْطُبَةَ الْجَنْسِ الْأَكْبَرِ الَّذِي مَا يُعْرَفُ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ. انْتَهَى
وَفِيهَا يَقُولُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ :

بَارِزِعٍ فَاقَتْ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةُ

مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ نِثْنَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ

وَالْعِلْمُ أَكْثَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

« وَقَالَ الْجَارِيُّ فِي الْمُنْهَبِ : كَانَتْ قُرْطُبَةُ فِي وَصْفِ قُرْطُبَةِ

الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ قُبَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَتَجْتَمِعُ أَعْلَامُ الْأَنْامِ ، بِهَا
أَسْتَقَرَّ سِرْبُ الْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَفِيهَا تَمَحَّضَتْ خُلَاصَةُ
الْقَبَائِلِ الْمَعْدِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَإِلَيْهَا كَانَتْ الرِّحْلَةُ فِي
الرَّوَايَةِ ، إِذْ كَانَتْ مَرْكَزَ الْكُرْمَاءِ وَمَعْدِنِ الْعُلَمَاءِ ، وَهِيَ
مِنَ الْأَنْدَلُسِ بِعَمْرَلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَنَهْرُهَا مِنْ
أَحْسَنِ الْأَنْهَارِ ، مُكْتَنَفٌ بِدِيَابِجِ الْمُرُوجِ مُطَرَّزٌ بِالْأَزْهَارِ ،

تَصَدَّحُ فِي جَنَابَتِهِ^(١) الْأَطْيَارُ ، وَتَتَعَرُّ التَّوَاعِيذُ^(٢) وَيَسْمُ
النُّوَارُ ، وَقُرْطَاهَا الزَّاهِرَةُ وَالزَّهْرَاءُ حَاضِرَتَا الْمَلِكِ ، وَأُفْقَاهُ
الْتَّعْمَاءُ وَالسَّرَاءُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْنَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ ، وَعَيَّرَ
بَهْجَةَ أَوْجُهَا الْحَسَانَ ، فَتَلَكَ عَادَتُهُ وَسَلَّ الْخُورَتَقُ
وَالسِّدِيرُ وَمُحَمَّدَانُ^(٣) ، وَقَدْ أَعْدَرَ^(٤) يَأْنِذَارِهِ إِذْ لَمْ يَزَلْ يُنَادِي
بِصُرُوفِهِ لَا أَمَانَ لَا أَمَانَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُلُوكَ لَكَ تَبْنِي عَلَى قَدَرِ أخطَارِهَا
وَقَالَ السُّلْطَانُ يَمْقُوبُ^(٥) الْمَنْصُورُ ابْنُ السُّلْطَانِ

(١) جناباته : نواحيه (٢) السواقي مفردة ناعورة ، وهي السولاب يستقي
بها ويديره الماء ، سميت بذلك لنعيرها وصوتها (٣) قصور للنعمان بن النضر
(٤) أعذر : أبدى عذرا ، وكان منه ما ينعرب ، وفي المثل : أعذر من أنذر
(٥) هو صاحب بلاد المغرب والاندلس بإيمه للوحدون عقب موت أبيه
سنة ٥٨٠ هـ ودعوه أمير للآومنين ولقبوه النصور فقام بالامر أحسن قيام
وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل ،
وكان من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثا وأكثرهم إصابة الظن ، قد
أحكمته التجارب وحسنكته الخبرة ، وله مع الفرنج وقائع عظيمة ، وتقلبت
به الأحوال حتى توفي سنة ٥٩٥ هـ بمراكش . وكان من شعراء دولته
أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الاندلسي المرسى
المتوفى سنة ٥٨٧ هـ

يُوسُفَ بْنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ لِأَحَدِ رُؤَسَاءِ
أَجْنَادِهَا: مَا تَقُولُ فِي قُرْطُبَةَ؟ فَخَاطَبَهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ كَلَامُ
عَامَّةِ الْأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ: جَوْفُهَا شَمَامٌ، وَغَرِيْبُهَا قُمَامٌ^(١)، وَقَبْلَتُهَا
مُدَامٌ، وَالْجَنَّةُ هِيَ وَالسَّلَامُ، يَعْنِي بِالشَّمَامِ جِبَالَ الْوَرْدِ،
وَيَعْنِي بِالْقُمَامِ مَا يُؤْكَلُ إِشَارَةً إِلَى مَحْرَثِ الْكُتُبَانِيَّةِ^(٢)،
وَيَعْنِي بِالْمُدَامِ النَّهْرَ. وَلَمَّا قَالَ وَاللَّهِ السُّلْطَانُ يُوسُفُ
ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِأَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ سَعِيدِ الْمَنْسِيِّ^(٣):
مَا عِنْدَكَ فِي قُرْطُبَةَ؟ قَالَ لَهُ: مَا كَانَ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ حَتَّى
أَسْمَعَ مَذْهَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، فَقَالَ السُّلْطَانُ: إِنَّ
مُلُوكَ بَنِي أُمَيَّةَ حِينَ اتَّخَذُوهَا حَضْرَةَ مَمْلَكَتِهِمْ لَعَلَّى
بَصِيرَةٍ، أَلَدَيَّارُ الْمُنْفَسِحَةِ الْكَبِيرَةِ، وَالشَّوَارِعُ الْمُنْتَسِعَةُ،
وَالْمَبَانِي الضَّخْمَةُ الْمَشِيدَةُ، وَالنَّهْرُ الْجَارِي، وَالنَّهْوَاءُ

(١) يقال: قم ماعلى المائدة قما: أكله فلم يدع منه شيئا فهو رجل
مقم (٢) ناحية من الأندلس قرب قرطبة ينسب إليها أبو عبد الله محمد بن القاسم
ابن محمد الأموي القرطبي الفقيه الأديب ولي الصلاة والخطبة بمجامع الزهراء
وتوفي سنة ٤٠٣ هـ (٣) أظنها القيسي: فهناك الأمام الفقيه الورع أبو عمران
موسى بن عمران القيسي الميرنلي وله ذكر في ألف با

الْمُعْتَدِلُ، وَالْخَارِجُ النَّاصِرُ، وَالْمَخْرُتُ الْعَظِيمُ، وَالشَّعْرَاءُ^(١)
الْكَاغِيَةُ، وَالْتَوَسُّطُ بَيْنَ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ وَغَرْبِهَا. قَالَ
فَقُلْتُ: مَا أَبْقَى لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقُولُ.

(قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ) وَلِأَهْلِهَا رِيَاسَةٌ وَوَقَارٌ، لَا تَرَالُ
سِمَةُ الْعِلْمِ وَالْمَلِكِ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ، إِلَّا أَنَّ عَامَّتَهَا أَكْثَرُ
النَّاسِ فُضُولًا وَأَشَدُّهُمْ تَشْفِيعًا^(٢) وَيُضْرَبُ بِهِمُ الْمَثَلُ
مَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْقِيَامِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالتَّشْنِيعِ
عَلَى الْوَلَاةِ وَقِلَّةِ الرِّضَا بِأُمُورِهِمْ، حَتَّى إِنَّ السَّيِّدَ
أَبَا يَحْيَى أَخَا السُّلْطَانِ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ قِيلَ لَهُ لَمَّا
انْفَصَلَ عَنْ وَلَايَتِهَا: كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَ قُرْطَبَةَ؟ فَقَالَ:
مِثْلُ الْجَمَلِ إِنْ خَفَّتْ عَنْهُ الْحِمْلَ صَاحَ، وَإِنْ أَثْقَلَتْهُ
صَاحَ، مَا نَدْرِي أَيْنَ رِضَاهُمْ فَتَقْصِدُهُ؟ وَلَا أَيْنَ سَخَطُهُمْ
فَتَجْتَنِبُهُ؟ وَمَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَجَّاجَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى كَانَ

(١) لعله يريد بالشعراء الأرض ذات الشجر الكثير، والشعراء أيضا
الاجمة والشجر الكثير الملتف، ويقال: روضة شعراء: أى كثيرة
الأشجار، والشعراء: روضة يغطي رأسها الشجر لكثرتة وتكافئه،
وكثرة العشب فيها (٢) أى ثورة على الحكام واحداً للفتن وتهيجاً للشر

عَامَّتَهَا شَرًّا مِنْ عَامَّةِ الْعِرَاقِ ، وَإِنَّ الْعَزَلَ عَنْهَا لِمَا
قَاسَمْتُهُ مِنْ أَهْلِهَا عِنْدِي وَلايَةٌ ، وَإِنِّي وَإِنْ كُلفْتُ
الْعَوْدَ إِلَيْهَا لَقَائِلُ : لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ .
اتَّعَى .

« وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ التِّيفَاشِيُّ ^(١) » : جَرَتْ مُنَاطَرَةٌ بَيْنَ فَضْلِ قُرْطَبَةَ
يَدَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ الْمَنْصُورِ يَعْقُوبَ بَيْنَ الْفَقِيهِ أَبِي الْوَلِيدِ
أَبْنِ رُشْدٍ ، وَالرَّيِّسِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ زُهْرٍ ^(٢) ، فَقَالَ ابْنُ رُشْدٍ
لِابْنِ زُهْرٍ فِي تَفْضِيلِ قُرْطَبَةَ : مَا أَدرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ
أَنَّهُ إِذَا مَاتَ عَالِمٌ بِإِسْبِيلِيَّةَ فَأَرِيدَ يَتَّعُ كُتُبَهُ مُحِلَّتْ
إِلَى قُرْطَبَةَ حَتَّى تُبَاعَ فِيهَا ، وَإِنْ مَاتَ مُطْرِبٌ بِقُرْطَبَةَ
فَأَرِيدَ يَتَّعُ آلَاتِهِ مُحِلَّتْ إِلَى إِسْبِيلِيَّةَ . قَالَ : وَقُرْطَبَةُ
أَكْثَرُ بِلَادِ اللَّهِ كُتُبًا . اُنْتَهَى .

(١) تيفاش : مدينة قديمة بإفريقية ذات عيون ومزارع كثيرة ، وهي في
سفح جبل (٢) هو محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي الملاء زهر
ابن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي الأندلسي الإشبيلي ،
كان من أهل بيت كلهم علماء حكماء ورؤساء وزراء ، وكان أبو بكر هذا
أديبا لغويا وطيبيا نطاسيا وشاعرا مجيدا وله موشحات حسنة ، ولد سنة ٥٠٧
هـ وتوفي سنة ٥٩٥ هـ

« وَحَكَى » الْإِمَامُ ابْنُ بَشْكُوَالٍ عَنِ الشَّيْخِ
 أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَعَادَةَ أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ طَلَيْطَلَةَ مَعَ أَخِيهِ
 عَلَى الشَّيْخِ الْأَسْتَاذِ أَبِي بَكْرٍ الْمَخْزُومِيِّ ، قَالَ فَسَأَلْنَا
 مِنْ أَيْنَ ؟ فَقُلْنَا مِنْ قُرْطُبَةَ ، فَقَالَ مَتَى عَهْدُكُمْ بِهَا ؟ فَقُلْنَا
 الْآنَ وَصَلْنَا مِنْهَا ، فَقَالَ أَقْرَبًا إِلَى أَشْمٍ نَسِيمٍ قُرْطُبَةَ ،
 فَقَرَّبْنَا مِنْهُ فَشَمَّ رَأْسِي وَقَبَّلَهُ وَقَالَ لِي أَكْتُبْ :
 أَقْرُطُبَةَ الْغُرَّاءِ هَلْ لِي أَوْبَةٌ ^(١) إِلَيْكَ وَهَلْ يَذْنُونَنَا ذَلِكَ الْعَهْدُ
 سَقَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنْكَ غَمَامَةً
 وَقَمَّقَعَ ^(٢) فِي سَاحَاتِ دَوْحَاتِكَ ^(٣) أَلْرَّعْدُ
 لِيَا لِيكَ أَسْحَارُ وَأَرْضُكَ رَوْضَةٌ
 وَتُرْبُوكِ فِي أَسْتِنَشَافِهَا عَنَبَةٌ وَرَدُّ
 وَكَتَبَ الرَّئِيسُ الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْقُبْطَرِيَّةِ ^(٤)

(١) أى رجعة وعودة (٢) قمعقع : صوت (٣) جمع دوحه : الشجرة العظيمة
 الظلة (٤) الوزراء بنو القبطرية من أهل بطليوس (في القرنين الخامس
 والسادس) من أشهرهم الوزير أبو محمد ، وبينه وبين الوزير ابن عبدون
 والفتح بن خاقان مراسلات أدبية ، وكان أخوه أبو بكر هذا شاعرا أديبا ،
 وكذلك أخوهما أبو الحسن . والأبيات أرسلها الوزير أبو بكر إلى الوزير
 أبي الحسن بقُرطبة يذكر له من أخواته ، وهى أربعة عشر بيتا مذكورة
 فى قلانة العقيان

لِلْعَالِمِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سِرَاجٍ بِقَوْلِهِ :

يَا سَيِّدِي وَأَبِي هَوَى وَجَلَالَةٍ

وَرَسُولٍ وَدَى إِنَّ طَلَبْتُ رَسُولًا

عَرَّجَ بِقُرْطُبَةٍ إِذَا مُبْلَقَتْهَا بِأَبِي الْحُسَيْنِ وَنَادِهِ تَعْوِيلًا^(١)

وَإِذَا سَعِدْتَ بِنَظَرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ فَأَهْدِ السَّلَامَ لِكَفِّهِ تَقْيِيلًا

وَإِذَا كُرَّ لَهُ شَوْقِي وَشُكْرِي مُجْمَلًا

وَلَوْ أُسْتَطَعْتُ شَرَحْتُهُ تَفْصِيلًا

بِتَحِيَّةٍ تُهْدَى إِلَيْهِ كَأَمَّا

جَرَّتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ ذُيُولًا

وَفِي بَابِ الْيَهُودِ بِقُرْطُبَةٍ يَقُولُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ^(٢) :

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ الْيَهُودِ دِ بَدْرًا أَبِي الْحُسَيْنِ أَنْ يُكْسَفًا

تَرَاهُ الْيَهُودُ عَلَى بَابِهَا أَمِيرًا فَتَحْصِبُهُ يُوسُفًا

(١) لعلها تعويلا ، أى معولا عليه ولائذا به ، وموله صيره ذا مال

(٢) هو أحمد بن أبي مروان بن شهيد حفيد ذى الوزارتين أحمد بن عبد

الملك بن شهيد وزير الناصر . ولد أبو عامر سنة ٣٨٢ وتوفى سنة ٤٢٦

وكان علما أديبا ناظما ناثرا وكانت له براعة فائقة فى أسلوب الرسائل القصصية

النادرة المثال فى الكتاب العربى

وَأَسْتَقْبَحُوا قَوْلَهُمْ بَابَ الْيَهُودِ فَقَالُوا بَابَ الْهُدَى ؛
وَسَنَدُ كُرْمٍ قُرْطُبَةٍ وَالزَّهْرَاءُ وَالزَّامِرَةُ وَمَسْجِدَهَا فِي الْبَابِ
الْمُتَفَرِّدِ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَذَلِكَ الْقَنْطَرَةُ

« وَمِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ إشبيلية » قَالَ الشَّقْنَدِيُّ:
مِنْ حَاسِنِهَا أَعْتَدَالُ الْهَوَاءِ ، وَحُسْنُ الْمَبَانِي ، وَنَهْرُهَا الْأَعْظَمُ
الَّذِي يَصْعَدُ الْمَدَى فِيهِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِيلًا ثُمَّ يَحْسِرُ^(١) ، وَفِيهِ
يَقُولُ ابْنُ سَفَرٍ :

إشبيلية

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَمِيصِهِ
فَأَنْسَابُ^(٢) مِنْ شَطِئِهِ يَطْلُبُ نَارَهُ
فَتَضَاكَكَتْ وَرُقُ الْحَمَامِ يَدْوَحِيهَا
هَزْءًا فَضَمَّ مِنْ الْحَيَاءِ إِزَارَهُ^(٣)

وَقِيلَ لِأَحَدٍ مَنْ رَأَى مِصْرَ وَالشَّامَ : أَيُّهُمَا رَأَيْتَ أَحْسَنُ ؟ ، أَمْ هَذَانِ
أَمْ إشبيلية ؟ فَقَالَ بَعْدَ تَفْضِيلِ إشبيلية : شَرَفُهَا^(٤) غَايَةُ بِلَا
أَسَدٍ ، وَنَهْرُهَا نَيْلٌ بِلَا تَمْسَاحٍ . أُنْتَهَى .

(١) حسر الماء عن موضعه : نفث وغار (٢) أنساب الماء : جرى وذهب
كل مذهب (٣) ضم إزاره : كناية عن انحصاره عن الشاطئ (٤) جبل
بها كثير القياض

وَيُقَالُ : إِنَّ الَّذِي بَنَى إِشْبِيلِيَةَ اسْمُهُ تُولَيْسُ ؟ وَإِنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ قَيْصَرَ ؟ وَإِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ أُعْجِبَ
بِسَاحَتِهَا وَطَيْبِ أَرْضِهَا ؛ وَجَبَلَهَا الْمَعْرُوفَ بِالشَّرَفِ ؛ فَرَدَمَ
عَلَى النَّهْرِ الْأَعْظَمِ مَكَانًا وَأَقَامَ فِيهِ الْمَدِينَةَ ، وَأَحْدَقَ عَلَيْهَا
بِأَسْوَارٍ مِنْ صَخْرِ صَلْدٍ ؛ وَبَنَى فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ قَصَبَتَيْنِ
بِدَيْمَتَي الشَّكْلِ تُعْرَفَانِ بِالْأَخَوَيْنِ ؛ وَجَعَلَهَا أُمَّ قَوَاعِدِ
الْأَنْدَلُسِ ؛ وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ رُومِيَّةٍ وَمِنْ اسْمِهِ فَسَمَّاها
رُومِيَّةً تُولَيْسَ . انْتَهَى .

(وَقَدْ تَقَدَّمَ) شَيْءٌ مِنْ هَذَا . وَكَانَ الْأَوَّلُونَ مِنْ مُلُوكِ
الْأَعَاجِمِ يَتَدَاوَلُونَ بِسُكْنَاهُمْ أَرْبَعَةَ بِلَادٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ
إِشْبِيلِيَّةَ وَقُرْطُبَةَ ، وَقَرْمُونَةَ ، وَطَلَنْطَلَةَ ، وَيُقَسَّمُونَ
أَزْمَانَهُمْ عَلَى الْكَيْثُونَةِ بِهَا . وَأَمَّا شَرَفُ^(١) إِشْبِيلِيَّةَ فَهُوَ
شَرِيفُ الْبُقْعَةِ كَرِيمُ التَّرْبَةِ ، دَائِمُ الْخُضْرَةِ ، فَرَسَخٌ فِي
فَرَسَخٍ طَوْلًا وَعَرْضًا ، لَا تَكَادُ تَشْمِسُ فِيهِ بُقْعَةٌ
لَا لَيْتُونَةٌ

(وَأَعْلَمَ) أَنَّ إِشْبِيلِيَّةَ^(١) لَهَا كُورٌ جَلِيلَةٌ ، وَمُدُنٌ
كَثِيرَةٌ ، وَخُصُونٌ شَرِيفَةٌ ، وَهِيَ مِنَ الْكُورِ الْمُجَنَّدَةِ
تَزَلَّهَا جُنْدٌ حَصَصَ وَلِوَاؤُهُمْ فِي الْمَيْمَنَةِ بَعْدَ لُؤَا جُنْدِ دِمَشْقَ .
وَأَتَمَّتْ جَبَايَةُ إِشْبِيلِيَّةَ أَيَّامَ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ إِلَى خَمْسَةِ
وَتَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَةِ دِينَارٍ . وَفِي إِقْلِيمٍ طَالِقَةٍ مِنْ أَقَالِيمِ
إِشْبِيلِيَّةَ وَجِدَتْ صُورَةً جَارِيَةً مِنْ مَرْمَرٍ مَعَهَا صَيٌّ وَكَانَ حَيَّةً
تُرِيدُهُ . وَلَمْ يُسْمَعْ فِي الْأَخْبَارِ ، وَلَا رُئِيَ فِي الْأَنْكَارِ
صُورَةٌ أَبَدْعُ مِنْهَا ، جُعِلَتْ فِي بَعْضِ الْحَمَامَاتِ ، وَتَعَشَّقَهَا
جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَوَامِّ . وَفِي كُورَةٍ مَارِدَةٍ حِصْنٌ شَتٌّ^(٢) أَفْرَجَ
فِي غَايَةِ الِارْتِفَاعِ لَا يَمْلُؤُهُ طَائِرُ الْبَيْتَةِ لَا نَسْرٌ وَلَا غَيْرُهُ
« وَمِنْ عَجَائِبِ الْأَنْدَلُسِ » أَنْبَلَاطُ الْأَوْسَطِ مِنْ مَسْجِدِ
جَامِعِ أَفْلَيْشِ^(٣) فَإِنَّ طُولَ كُلِّ جَائِزَةٍ مِنْهُ مِائَةُ شِبْرٍ وَاحِدَ
عَشَرَ شِبْرًا ، وَهِيَ مُرَبَّعَةٌ مَنْحُوْتَةٌ مُسْتَوِيَةٌ الْأَطْرَافِ
« وَقَالَ بَعْضُ مَنْ وَصَفَ إِشْبِيلِيَّةَ » إِنَّهَا مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ

(١) معناها : المدينة للنبسطة (٢) قال ياقوت : شت فروس حصن من

أعمال ماردة (٣) أفليش : بلدة من أعمال طليطلة

عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ الْمَرْوُوفِ بِنَهْرِ قُرْطُبَةَ، وَعَلَيْهِ
جَسْرٌ مَرْبُوطٌ بِالسُّفُنِ، وَبِهَا أَسْوَاقٌ قَائِمَةٌ وَتِجَارَاتٌ رَاجِحَةٌ
وَأَهْلُهَا ذَوُو أَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ، وَأَكْثَرُ مَتَاجِرِهِمُ الزَّيْتُ
وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَقْلِيمِ الشَّرَفِ. وَإِقْلِيمُ الشَّرَفِ
عَلَى تَلٍّ عَالٍ مِنْ تَرَابٍ أَمْرَ مَسَافَتِهِ أَرْبَعُونَ مِيلًا فِي مِثْلِهَا
يَمْشِي بِهِ السَّائِرُ فِي ظِلِّ الزَّيْتُونِ وَالْتِينِ. وَلَهَا فِيمَا ذَكَرَ
بَعْضُ النَّاسِ قُرَى كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ قَرْيَةٍ عَامِرَةٌ بِالْأَسْوَاقِ
وَالدِّيارِ الْحَسَنَةِ وَالْحَمَامَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَرَافِقِ

« وَقَالَ صَاحِبُ مِنْهَاجِ الْفِكْرِ » عِنْدَ ذِكْرِ إِشْبِيلِيَّةَ : وَصَفَ إِشْبِيلِيَّةَ
وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَدُنِ الدُّنْيَا، وَبِأَهْلِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فِي الْخُلَاعَةِ ^(١) وَانْتِهَازِ فُرْصَةِ الزَّمَانِ السَّاعَةِ بَعْدَ السَّاعَةِ، وَيُعِينُهُمْ
عَلَى ذَلِكَ وَادِيهَا الْفَرَجُ ^(٢)، وَنَادِيهَا ^(٣) الْبَهْجُ، وَهَذَا الْوَادِي

(١) الخلاعة : التهنك والاستخفاف واللهو والمجون (٢) والفرج هي المدينة
المروقة بوادي الحجارة وهي بين الجوف والشرق من قرطبة . واشبيلية
واقعة على شاطئ النهر العظيم المعروف بالوادي الكبير تسير فيه المراكب
الثقيلة . وأصل الوادي : كل مفرج بين جبال وآكام وتلال يكون مسلكا
للسيل أو منفذا (٣) ناحيتها وقاصبتها، وقد يكون (باديا) أي ظاهرها وما
يبدو منها ويبرز ، والبهجة الحسن والنضارة

يَأْتِيهَا مِنْ قُرْطَبَةَ وَيَحْزُرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَلَهَا جَبَلُ الشَّرَفِ
وَهُوَ تَرَابٌ أَحْمَرُ طُولُهُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ أَرْبَعُونَ
مِيلًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا ، يَشْتَمِلُ
عَلَى مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ قَرْيَةً قَدْ اتَّخَفَتْ بِأَشْجَارِ الزَّيْتُونِ
وَأَشْتَمَلَتْ . ائْتَمَى

وَلِكُورَةَ بَاجَةَ - مِنَ الْكُورِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ
مِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَّةِ أَيَّامِ بَنِي عَبَّادٍ - خَاصَّةً فِي دِبَاغَةِ الْأَدِيمِ
وَصِنَاعَةِ الْكُتَّانِ ، وَفِيهَا مَعْدِنُ فِضَّةٍ ، وَبِهَا وَلَدُ الْمُعْتَمِدِ ^(١)
أَبْنُ عَبَّادٍ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِكُورَةِ مَارِدَةَ . وَلِجَبَلِ طَارِقٍ
حَوْزُ قَصَبِ السَّبْقِ بِنِسْبَتِهِ إِلَى طَارِقِ مَوْلَى مُوسَى بْنِ
نُصَيْرٍ ، إِذْ كَانَ أَوَّلَ مَا حَلَّ بِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ الْفَتْحِ ، وَلِذَا شَهَرَ بِجَبَلِ الْفَتْحِ ، وَهُوَ مُقَابِلُ
الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، وَقَدْ تَجَوَّهَ ^(٢) الْبَحْرُ هُنَاكَ مُسْتَدِيرًا حَتَّى

(١) من ملوك الطوائف (٢) أحدث جونا وفرضة، ولما هاجم الجونة وهي

سليانة مستديرة « بالتصغير » مفضاة بالأدم

صَارَ مَكَانَ هَذَا الْجَبَلِ كَالنَّاطِلِ لِلْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَفِيهِ
يَقُولُ مُطَرِّفٌ شَاعِرٌ غَرَنَاطَةَ :

وَأَقْوَدُ^(١) قَدْ أَلْقَى عَلَى الْبَحْرِ مَتْنَهُ

فَأَصْبَحَ عَنْ قُودِ^(٢) الْجِبَالِ بِمَنْزِلِ

يُعْرَضُ نَحْوَ الْأَفْقِ وَجْهًا كَأَنَّمَا

تُرَاقِبُ عَيْنَاهُ كَوَاكِبَ مَنَزِلِ^(٣)

وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمُسَافِرُونَ مِنْ جِهَةِ سَبْتَةٍ فِي الْبَحْرِ
بَانَ كَأَنَّهُ سَرَجٌ . قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ :
أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً مَعَ وَالِدِي فَنَظَرْنَا إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ
فَقَالَ وَالِدِي أَجْزُ ، فَقُلْتُ :

انْظُرْ إِلَى جَبَلٍ أَلْفَتْ جِ رَاكِبًا مَتْنَ لُجْ

وَقَدْ تَفَتَّحَ مِثْلَ آأَ أَفْنَانِ^(٤) فِي شَكْلِ سَرَجٍ

« وَأَمَّا جَزِيرَةُ طَرِيفٍ » فَلَيْسَتْ بِجَزِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ
بِذَلِكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي أَمَامَهَا فِي الْبَحْرِ مِثْلَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ .

(١) الأَقْوَدُ : الجبل الطويل (٢) جمع أقود (٣) كواكب من ذات النازل
والطالع (٤) الأفنان : جمع فنن : وهو النصن .

وَعَرِيفُ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ بَرَبْرِيٌّ مِنْ مَوَالِي مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ،
وَيُقَالُ إِنَّ مُوسَى بَعَثَهُ قَبْلَ طَارِقٍ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ، فَتَرَكَل
بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ، وَبَعْدَهُ دَخَلَ
طَارِقٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ

« وَمِنْ أَكْثَرِ كُورِ الْأَنْدَلُسِ » كُورَةُ طُلَيْطَلَةَ، وَهِيَ
مِنْ مُتَوَسِّطِ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَتْ دَارَ مَمْلَكَةِ بَنِي ذِي الْأُنُونِ
مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، وَكَانَ أَوَّلُهَا مُلْكُهُمْ صَدْرَ أَلْبَانَةِ
الْخَامِسَةِ، وَسَمَّاها قِصْرُ بِلِسَانِهِ بَرْطَيْطَلَةَ^(١)، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ،
أَنْتَ فَارِحٌ، فَعَرَّبَتْهَا الْعَرَبُ وَقَالَتْ طُلَيْطَلَةَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا
وَجِهَاتَهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْفَرَا الْأَذَى، وَيُسَمُّونَ سَرْقُطَةَ
وَجِهَاتَهَا بِالْفَرَا الْأَعْلَى. وَتُسَمَّى طُلَيْطَلَةُ مَدِينَةَ الْأَمْلَاكِ لِأَنَّهَا
- فِيمَا يُقَالُ - مَلِكُهَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ إِنْسَانًا، وَدَخَلَهَا سُلَيْمَانُ
ابْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَذُو الْقَرَيْنَيْنِ،
وَفِيهَا وَجَدَ طَارِقٌ مَائِدَةَ سُلَيْمَانَ، وَكَانَتْ مِنْ ذَخَائِرِ أَشْيَانِ

(١) أَكْثَرُهَا : تَوَلِيطُهُ - بِضَمِّ التَّاءِ وَالْعِلَاءِ - ، مِثْلُ التَّسْمِيَةِ الْأَسْبَانِيَّةِ
Toledo وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَ الرُّومَانِيِّينَ Toletula وَمِنْهُ الْأَسْمَاءُ الْعَرَبِيَّةُ طُلَيْطَلَةُ

مَلِكِ الرُّومِ الَّذِي نَبَى إِشْبِيلِيَّةَ، أَخَذَهَا مِنْ يَتِّ الْمَقْدِسِ
كَأَمْرٍ، وَقُومَتِ هَذِهِ الْمَائِدَةُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
بِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ زُمُرٍ أَخْضَرَ .
وَيُقَالُ: إِنَّهَا الْآنَ بِرُومَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ . وَوَجَدَ طَارِقُ
بَطْلِيظَةَ ذَخَائِرٍ عَظِيمَةٍ : مِنْهَا مِائَةٌ وَسَبْعُونَ تَاجًا مِنْ الذُّرِّ
وَالْيَاقُوتِ وَالْأَخْجَارِ النَّفِيسَةِ، وَإِيوَانٌ^(١) مُثَمِّلِيٍّ مِنْ أَوَانِي
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَهُوَ كَبِيرٌ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الْخَيْلَ تَلْعَبُ
فِيهِ فُرْسَانَهَا بِرِمَاحِهِمْ لَوْسَمِهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَوَانِي الْمَائِدَةِ
مِنْ الذَّهَبِ وَصَحَافَهَا مِنَ الْيَشْمِ^(٢) وَالْجَزَعِ^(٣). وَذَكَرُوا فِيهَا
غَيْرَ هَذَا بِمَالٍ لَا يَكَادُ يُصَدَّقُهُ النَّاطِرُ فِيهِ، وَبَطْلِيظَةَ بَسَاتِينَ
مُحَدِّقَةٍ، وَأَنْهَارٍ مُخْتَرِقَةٍ، وَرِيَاضٍ وَجَنَّاتٍ، وَقَوَاعٍ كِهْ حِسَانٍ،

(١) الإيوان : بناء في مقدم المنزل مرفوع على حنايا غير مسدودة كأيوان
كسرى . (٢) اليشم وهو البشب : حجر قريب من الزبرجد لكنه أصفى
منه . فارسي (٣) الجزع . بالفتح : الحرز الجماني والعصبي، وهو الذي فيه
سواد وبياض تشبهه الأعين ، وسمى جزعا لأنه مقطع بألوان مختلفة ،
أي قطع سواده بياضه وصفرته . قال امرؤ القيس يصف سربا

فأدبرن كالجزع للفصل بينه بجيد معم في العشرة مخول

الواحدة جزعة

مُخْتَلِفَةُ الطُّغُومِ وَالْأَلْوَانِ ، وَلَهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا أَقَالِيمُ
رَفِيعَةٌ ، وَرَسَائِقُ ^(١) مَرِيئَةٌ ، وَصِنَاعُ بَدِيعَةٌ ، وَقِلَاعُ مَبِيعَةٌ ،
وَبِالْجُمْلَةِ : فَمَحَاسِنُهَا كَثِيرَةٌ . وَلَمَلْنَا نُلْمُ بِيَمْنِ مُنْتَزَهَاتِهَا
فِيمَا يَأْتِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَطَلَيْطَلَةٌ
قَاعِدَةٌ مُلْكِ الْقَوِطِيِّينَ ، وَهِيَ مُطَلَّةٌ عَلَى نَهْرٍ تَاجَهُ ، وَعَلَيْهِ
كَانَتِ الْقَنْطَرَةُ الَّتِي يَمْجِزُ الْوَاصِفُونَ عَنْ وَصْفِهَا ، وَكَانَتْ
عَلَى قَوْسٍ وَاحِدٍ تَكْنُفُهُ فُرُجَتَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . وَطُولُ
الْقَنْطَرَةِ ثَلَاثُمِائَةِ بَاعٍ ، وَعَرْضُهَا ثَمَانُونَ بَاعًا ، وَخُرِبَتْ أَيَّامَ
الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَفَزَأُمُ وَاحْتَالَ فِي هَدْمِهَا ،
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَكِيمُ عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسٍ :

أَضَحَتْ طَلَيْطَلَةٌ مُعْطَلَةٌ

مِنْ أَهْلِهَا فِي قَبْضَةِ الصَّقَرِ

تَرِكَتْ بِلَا أَهْلٍ تُؤَمِّلُهَا

مَهْجُورَةٌ إِلَّا كَنَافِ كَالْقَبْرِ

مَا كَانَ يُبَيِّنُ اللَّهُ قَتْلَهُ
 نُصِبَتْ لِحَمَلِ كِتَابِ^(١) الْكُفْرِ
 وَسَيَأْتِي بَعْضُ أَخْبَارِ طَلَنْطَلَةَ :

« وَمِنْ مَشْهُورِ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ الْمَرِيَّةُ » وَهِيَ عَلَى
 سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَلَهَا الْقَلْعَةُ الْمُنِيْعَةُ الْمَمْرُوفَةُ بِقَلْعَةِ خَيْرَانَ
 بَنَاهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ ، وَعَظُمَتْ فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ
 ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا مَوْلَاهُ خَيْرَانَ فَنُسِبَتْ الْقَلْعَةُ
 إِلَيْهِ ، وَبِهَا مِنْ صَنْعَةِ الدِّيَبَاجِ مَا تَفُوقُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ ،
 وَفِيهَا دَارُ الصَّنَاعَةِ ، وَتَشْتَمِلُ كُورُهَا عَلَى مَعْدِنِ الْحَدِيدِ
 وَالرُّخَامِ ، وَمِنْ أَبْوَابِهَا بَابُ الْعُقَابِ^(٢) ، عَلَيْهِ صُورَةُ الْعُقَابِ
 مِنْ حَجَرٍ قَدِيمٍ عَجِيبِ الْمَنْظَرِ

« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » : كَانَ بِالْمَرِيَّةِ لِنَسِجِ طَرِزِ الْحَرِيرِ
 ثَمَانِي مِائَةَ نَوَلٍ ، وَلِلْحُلْلِ الثِّفَيْسَةِ وَالْدِّيَبَاجِ الْفَاخِرِ أَلْفُ نَوَلٍ ،

(١) الكتاب : جمع كتيبة وهو الجيش (٢) العقاب : من الطيور الجوارح
 وهو عاقل العنق والرأس من الريش ، وهو حاد البصر

وَلِلْإِسْقَلَاتُونِ^(١) كَذَلِكَ ، وَلِلثِيَابِ الْجُرْجَانِيَّةِ كَذَلِكَ ،
وَلِلْأَضْفَهَائِيَّةِ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَلِلْعُنَائِي وَالْمَعَاجِرِ^(٢) الْمُدْهَشَةِ
وَالشُّوْرِ الْمُكَلَّلَةِ ، وَيُصْنَعُ بِهَا مِنْ صُنُوفِ آلَاتِ الْحَدِيدِ
وَالنُّحَاسِ وَالزُّجَاجِ مَا لَا يُوصَفُ ، وَقَاكِهَةُ الْمَرِيَّةِ يَقْصُرُ
عَنْهَا الْوَصْفُ حُسْنًا ، وَسَاحِلُهَا أَفْضَلُ السَّوَاحِلِ ، وَبِهَا قُصُورُ
الْمُلُوكِ الْقَدِيمَةِ الْمَرِيَّةِ الْمَجِيَّةِ . وَقَدْ أَلْفَ فِيهَا أَبُو جَعْفَرٍ
ابْنُ حَاتِمَةَ تَارِيخًا حَافِلًا سَمَاءَهُ بِمَزِيَّةِ الْمَرِيَّةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ
الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، فِي مُجَلَّدٍ صَنَعَهُ تَرَكَتُهُ مِنْ جُمْلَةِ كُتُبِي
بِالْمَغْرِبِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْتُورُ فِي جَمْعِ الشَّمْلِ ، فَلَهُ
الْأَمْرُ مِنْ بَعْدُ وَمِنْ قَبْلُ . وَوَادِي الْمَرِيَّةِ طُولُهُ أَرْبَعُونَ
مِيْلًا فِي مِثْلِهَا كُلُّهَا بَسَاتِينَ بِهَجَّةٍ ، وَجَنَاتٌ نَضِرَةٌ ،
وَأَنْهَارٌ مُطَرَّدَةٌ^(٣) ، وَطُيُورٌ مُغَرَّدَةٌ

(١) سقلاطون : بلد بالروم تنسب اليه الثياب السقلاطونية ، وقد تسمى
الثياب نفسها سقلاطونا - وهي كلمة رومية . والى سقلاطون ينسب أبو علي
الحسن بن أحمد بن الحسن بن السباك السقلاطوني المعروف بابن اليرتوني
سنة ٥٠٤ (٢) المعاجر : جمع معجر : وهو نسيج تشده المرأة على رأسها
وثوب يمتدحى يلتحف به ويرتدى (٣) أنهار مطردة : جارية .

« قَالَ بَعْضُهُمْ » : وَلَمْ يَكُنْ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ
 مَا لَا مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِ ، وَلَا أَكْثَرُ مَتَاجِرَ وَذَخَائِرَ ، وَكَانَ
 بِهَا مِنْ الْحُمَامَاتِ وَالْفَنَاقِ نَحْوُ الْأَلْفِ ، وَهِيَ بَيْنَ
 الْجَبَلَيْنِ ، يَنْتَهَمَا خَنْدَقٌ مَعْمُورٌ ، وَعَلَى الْجَبَلِ الْوَاحِدِ
 قَصَبَتُهَا الْمَشْهُورَةُ بِالْحَصَانَةِ ، وَعَلَى الْآخَرِ رِبَضُهَا ^(١) ،
 وَالسُّورُ مُحِيطٌ بِالْمَدِينَةِ وَالرِّبَضِ ، وَغَرِيبُهَا رِبَضٌ لَهَا آخَرُ
 يُسَمَّى رِبَضَ الْحَوْضِ ، ذُو فَنَاقٍ وَحُمَامَاتٍ وَخَنَاقٍ وَصِنَاعَاتٍ ،
 وَقَدْ اسْتَدَارَ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حُصُونٌ مُرْتَفِعَةٌ وَأَحْجَارٌ
 أَوَّلِيَّةٌ ، وَكَانَتْ غُرِبَلَتْ أَرْضُهَا مِنَ التُّرَابِ ، وَلَهَا مُدُنٌ
 وَضِيَاعٌ ^(٢) عَامِرَةٌ مُتَّصِلَةٌ الْأَنْهَارِ . اُنْتَهَى

« وَقَالَ ابْنُ الْبَيْسَعِ » عِنْدَ ذِكْرِ مَدِينَةِ شَنْتَرَةَ ^(٣) : إِنَّ
 مِنْ خَوَاصِّهَا أَنَّ الْقَمَحَ وَالشَّعِيرَ يُزْرَعَانِ فِيهَا وَيُحْصَدَانِ
 عِنْدَ مُضَيِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ زِرَاعَتِهِ ، وَأَنَّ التُّفَاحَ فِيهَا

(١) ماحول المدينة من بيوت ومساكن (٢) الضياع : جمع ضيعة :
 الأرض المغلة (٣) هي من أعمال لشبونة ، وقد ملكها الافرنج

دَوْرُ كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ وَأَكْثَرُ . قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 أَلْبَا كُورِي - وَكَانَ ثَقَّةً : أَبْصَرْتُ عِنْدَ الْمُتَمِّدِ بْنِ عَبَّادٍ
 رَجُلًا مِنْ أَهْلِ شَنْتَرَةَ أَهْدَى إِلَيْهِ أَرْبَعًا مِنَ التُّفَاحِ مَا
 يُقَالُ الْخَامِلُ عَلَى رَأْسِهِ غَيْرَهَا ، دَوْرُ كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةُ
 أَشْبَارٍ ، وَذَكَرَ الرَّجُلُ بِحَضْرَةِ ابْنِ عَبَّادٍ أَنَّ الْمُتَمِّدَ
 عِنْدَهُمْ أَقَلُّ مِنْ هَذَا ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَجِيءَ بِهَذَا الْعِظَمِ
 وَهَذَا الْقَدْرِ قَطَعُوا أَصْلَهَا وَأَبْقَوْا مِنْهُ عَشْرًا أَوْ أَقَلَّ
 وَجَعَلُوا تَحْتَهَا دِعَامَاتٍ ^(١) مِنَ الْخَشَبِ . انْتَهَى .

وَيَحْصُنِ شَنْشَ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَرِيَّةِ الثُّوْتُ
 الْكَثِيرُ ، وَفِيهَا الْحَرِيرُ وَالْقَرْمِزُ ، وَيُعْرَفُ وَادِيهَا بِوَادِي
 طَبْرَنْشَ . وَبِغَرْبِي مَالَقَةَ عَمَلٍ ^(٢) سُهَيْلٍ ، وَهُوَ عَمَلٌ عَظِيمٌ
 كَثِيرُ الضِّيَاعِ ، وَفِيهِ جَبَلُ سُهَيْلٍ لَا يُرَى نَجْمُ سُهَيْلٍ
 إِلَّا بِأَنْدَلُسٍ إِلَّا مِنْهُ

(١) دعامات : جمع دعامه : الخشب المنصوب لتعريض (٢) ومن احدى
 قرى هذا العمل الامام عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي شارح سيرة ابن هشام
 (الروض الاثنف) ولد بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ وتوفى بمراكش سنة ٥٨١



« وَمِنْ كُورِ الْأَنْدَلُسِ الشَّرْقِيَّةِ تُدْمِيرُ » وَتُسَمَّى
مِصْرَ أَيْضًا لِكَثْرَةِ شَبْهَائِهَا ، لِأَنَّ لَهَا أَرْضًا يَسِيحُ عَلَيْهَا
نَهْرٌ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ مِنَ السَّنَةِ ، ثُمَّ يَنْصُبُ ^(١) عَنْهَا قَنْزَرُغُ
كَمَا تُزْرَعُ أَرْضُ مِصْرَ ، وَصَارَتْ الْقَصَبَةُ بَعْدَ تُدْمِيرِ
مُرْسِيَةٍ ، وَتُسَمَّى الْبُسْتَانُ لِكَثْرَةِ جَنَائِهَا الْمُحِيطَةِ بِهَا ، وَلَهَا
نَهْرٌ يَصُبُّ فِي قَبِيلِهَا



وَأَعْلَمُ أَنَّ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ - أَعَادَهَا اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ -
مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مُوسَطَةٍ وَشَرْقٍ وَغَرْبٍ . فَالْمُوسَطَةُ فِيهَا
مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُمَصَّرَةِ ، الَّتِي كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْهَا مَمْلُوكَةٌ
مُسْتَقِلَةٌ لَهَا أَعْمَالٌ ضِحَامٌ ، وَأَقْطَارٌ مُتَّسِعَةٌ : قُرْطُبَةٌ وَطَلَيْطَلَةٌ
وَجَيَّانٌ وَغَرْنَاطَةٌ وَالْمَرِيَّةُ وَمَالَقَةٌ . فَمِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةٍ اسْتِجَّةُ ^(٢) ،
وَبَلْكَوْنَةُ ، وَقَبْرَةُ ، وَرَنْدَةُ ^(٣) ، وَغَافِقُ ، وَالْمُدَوَّرُ ، وَأُسْطُبَةُ ،

(١) ينصب : ينحسر ويسفل ماؤه (٢) استجة : كورة متصلة بأعمال البرية
بين الجنوب والغرب من قرطبة وهي كورة قديمة واسعة الرساتيق
والأراضي ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة - ينسب إليها محمد بن الليث الاستجعي
من المحدثين توفي سنة ٣٢٨ (٣) رندة : بين اشبيلية ومالقة

وَيَاثَةُ وَالْبَسَانَةُ وَالْقَصِيرُ وَغَيْرُهَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ طَلِيظَةُ وَادِي
الْحَجَّارَةِ ، وَقَلْعَةُ رَبَاحٍ ، وَطَلَمَنْكَةُ ^(١) ، وَغَيْرُهَا ، وَمِنْ أَعْمَالٍ جَبَّانَ
أَبْدَةَ ، وَيَّاسَةَ ، وَقَسْطَلَةَ ^(٢) ، وَغَيْرُهَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ غَرْ نَاطَةَ
وَادِي آشٍ ، وَالْمَنْكَبِ ^(٣) ، وَلَوْشَةَ ، وَغَيْرُهَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ
الْمَرْيَةِ أَنْدَرَأَشٍ ^(٤) ، وَغَيْرُهَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ مَالِقَةَ : بَلَشُ ، وَالْحَامَةَ
وَغَيْرُهَا . وَيَبْلَشُ مِنَ الْقَوَاكِهِ مَا بِمَالِقَةَ ، وَبِالْحَامَةِ
الْعَيْنُ الْحَارَةُ عَلَى صَفَةِ وَادِيهَا . وَأَمَّا شَرْقُ الْأَنْدَلُسِ فَفِيهِ
مِنَ الْقَوَاعِدِ مُرْسِيَّةٌ ، وَبَلَنْسِيَّةٌ ، وَدَانِيَّةٌ ، وَالسَّهْلَةُ ، وَالشَّرُّ
الْأَعْلَى . فَمِنْ أَعْمَالٍ مُرْسِيَّةٍ : أَوْرِيُولَةُ ^(٥) ، وَلَقَنْتُ ، وَلُورَقَةُ ،
وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنْ أَعْمَالٍ بَلَنْسِيَّةٍ : شَاطِبَةُ الَّتِي يُضْرَبُ
بِحُسْنِهَا الْمَثَلُ ، وَيَعْمَلُ بِهَا الْوَرَقُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ، وَجَزِيرَةُ

- (١) مدينة اختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وأبوه هو الذي اختط مدينة أبدة
(٢) ينسب إلى قسطلة الشاعر المشهور أبو عمر أحمد بن محمد بن درَّاج
القسطلي كاتب الانشاء للنصور بن أبي عامر - ومن أعمال جبان أيضا
قسطرة بينها وبين يياسة (٣) المنكب : بلد على الساحل بينه وبين
غرناطة أربعون ميلا (٤) مدينة كانت مشهورة بصنع الكتان الفايق
(٥) مدينة قديمة كانت بساينها متصلة بلساتين مرسية ، وينسب إليها
جماعة من ذوى العلم والأدب

شَقَرٌ^(١) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَأَمَّا دَانِيَةٌ : فَهِيَ شَهِيرَةٌ وَلَهَا
أَعْمَالٌ . وَأَمَّا التَّهْلَةُ : فَإِنَّهَا مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ بَلَنْسِيَّةَ وَسَرْقُسْطَةَ ،
وَلِذَا عَدَّهَا بَعْضُهُمْ مِنْ كُورِ الثَّغْرِ الْأَعْلَى ، وَلَهَا مُدُنٌ
وَحُصُونٌ . وَمِنْ أَعْمَالِ الثَّغْرِ الْأَعْلَى : سَرْقُسْطَةُ ، وَهِيَ أُمُّ ذَلِكَ
الثَّغْرِ ، وَكُورَةُ لَارِدَةَ ، وَقَلْعَةُ رَبَاجٍ ، وَتُسَمَّى بِالْبَيْضَاءِ ،
وَكَوْرَةُ تُطِيلَةَ^(٢) ، وَمَدِينَتُهَا طَرَسُونَةُ^(٣) ، وَكَوْرَةُ وَشَقَّةَ ،
وَمَدِينَتُهَا تَمْرِيطُ ، وَكَوْرَةُ مَدِينَةِ سَالِمٍ ، وَكَوْرَةُ قَلْعَةِ أَيُّوبَ ،
وَمَدِينَتُهَا بَلِيَانَةُ . وَكَوْرَةُ بَرْبَطَانِيَّةَ^(٤) وَكَوْرَةُ بَارُوشَةَ^(٥) . وَأَمَّا
غَرْبِيُّ الْأَنْدَلُسِ فَفِيهِ إِشْبِيلِيَّةُ ، وَمَارِدَةُ ، وَأَشْبُونَةُ ، وَشَلْبُ .
فَمِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَّةَ شَرِيشُ ، وَأَخْضَرَاءُ ، وَلَبْلَةُ ، وَغَيْرُهَا .

- (١) كانت من أزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجرا وماء ، وللأديب
أبي عبد الله محمد بن عائشة الأندلسي قصيدة يذكرها ، منها :
وهيهات حالت دون شقر وعهدا ليال وأيام تحال لياليا
(٢) مدينة شرق قرطبة غزيرة المياه كثيرة الأنهار والأشجار اختلطت
في أيام الحكم بن هشام (٣) قريبة من تطيلة كان يسكنها المقاتلة والعمال
(٤) مدينة كبيرة يتعمل عملها بعمل لاردة شرق الأندلس وكانت سدا
بين المسلمين والروم ذات حصون ، وكان في أهلها قوة وجلادة ومناعة للعدو
(٥) مدينة غربي مرقسطة وشرق قرطبة

وَمِنْ أَعْمَالٍ مَارِدَةٍ بَطْلَمَيْوسُ وَبَابِرَةُ وَغَيْرُهُمَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ
أَشْبُوْنَةَ شَنْتَرِيْنُ وَغَيْرُهَا . وَمِنْ أَعْمَالٍ شَلَبَ : شَنْتَ رِيَّةُ
وَعَيْرُهَا .



﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب نفع الطيب ﴾
ويليه الجزء الثانى وأوله « الجزر البحرية بالاندىس »

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

الدكتور احمد فريد رفاعى

جميع النسخ موهورة بخط ناشره

فهرس

الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تأليف العلامة احمد القرى المغربى للمالكى الأشعرى

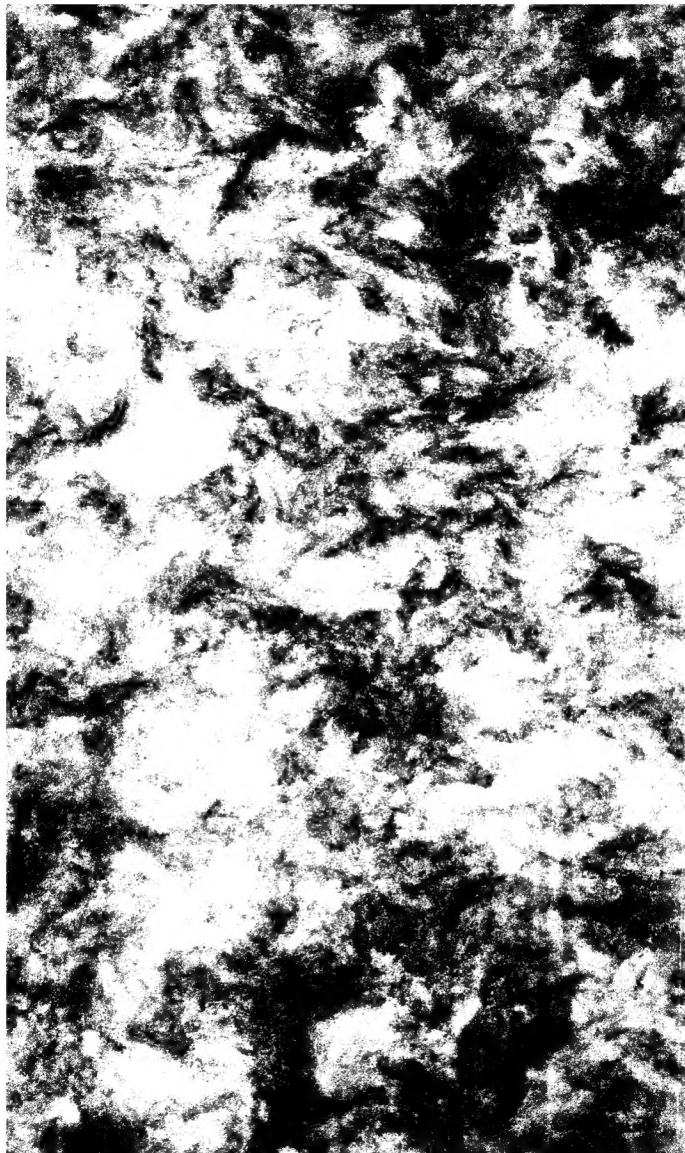
الموضوع	الصفحة	
	من	الى
اعتراف بالجميل	٢	٢
كلمة الهاد الأصفهاني	٣	٣
كلمة الاهداء	٨	٤
ترجمة القرى	٣٥	٩
مقدمة الكتاب	٦٦	٣٥
رحلة المؤلف الى الشرق	٩٥	٦٦
ركوب البحر	٩٨	٩٥
النجاة من العدو	١٠٥	٩٨
السفر الى الحرمين	١٣١	١٠٥
العودة الى مصر	١٣١	١٣١
زيارة بيت المقدس	١٣٥	١٣٢
العودة من بيت المقدس	١٣٨	١٣٥
الرحلة الى دمشق	١٤٤	١٣٨

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
وصف جلق	١٤٤	١٥٢
مدح دة شق وأنهارها	١٥٢	٢٣٤
أخبار الأندلس	٢٣٤	٢٣٥
وصف الأندلس	٢٣٥	٢٣٦
فتح الأندلس	٢٣٦	٢٣٦
الدين بالأندلس	٢٣٦	٢٣٦
قرطبة	٢٣٧	٢٣٧
رجال الأندلس	٢٣٧	٢٣٨
الوافدون على الأندلس	٢٣٨	٢٣٨
منة الله على الأندلس	٢٣٨	٢٣٩
حالة الجزيرة وتقلب العدو	٢٣٩	٢٤٠
التعريف بابن الخطيب	٢٤٠	٢٤٤
تلامذة ابن الخطيب	٢٤٤	٢٥٢
أخبار الأندلس أيضا	٢٥٢	٢٥٣
وصف جزيرة الأندلس	٢٥٣	٢٥٣
سبب تسمية الأندلس	٢٥٣	٢٥٤
وصف بلاد الأندلس أيضا	٢٥٤	٢٥٦
تحديد بلاد الأندلس	٢٥٦	٢٦٠
وصف اقليم الأندلس	٢٦٠	٢٦٣
تقسيم الأندلس	٢٦٣	٢٦٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
شكل الأندلس	٢٦٥	٢٦٩
غرائب الأندلس	٢٦٩	٢٧٠
اجتياز الاسكندر بالأندلس	٢٧٠	٢٧٤
الخضر واشبان	٢٧٤	٢٧٦
عيسى عليه السلام والحواريون	٢٧٦	٢٧٩
أفاويه ومعادن الأندلس	٢٧٩	٢٨٣
خواص طليطلة	٢٨٤	٢٨٥
وصف أهل الأندلس	٢٨٥	٢٨٧
بعض جزائر الأندلس	٢٨٧	٢٨٨
خراج الأندلس	٢٨٩	٢٩٢
قطر لوشة	٢٩٢	٢٩٣
عمل باغة	٢٩٣	٢٩٣
وادي آش	٢٩٣	٢٩٤
حصن جليانة	٢٩٤	٢٩٥
غرائب الأندلس	٢٩٥	٢٩٦
مرقسطة	٢٩٦	٢٩٦
نهر جلق	٢٩٦	٢٩٩
مالقة	٢٩٩	٣٠٠
أشبونة	٣٠٠	٣٠٠
قرطبة	٣٠٠	٣٠٠

٤ فهرست الجزء الأول من كتاب نفع الطيب

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
الجمر الأكبر	٣٠٠	٣٠١
وصف قرطبة	٣٠١	٣٠٥
فضل قرطبة	٣٠٥	٣٠٨
اشيلية	٣٠٨	٣١١
وصف اشيلية	٣١١	٣١٧
وصف المرية	٣١٧	٣٢١
وصف تدمير	٣٢١	٣٢١
وصف الأندلس	٣٢١	٣٢٤





Bibliotheca Alexandrina



0479928